

المَوْضُوعَاتُ
فِي الْأَشْرَافِ وَالْأَجْمَلِ
عَرْضٌ وَدِرَاسَةٌ

هَاشِمٌ مَعْرُوفٌ الْحَسَنِيُّ

دَارُ التَّعَارُفِ لِلْمَطْبُوعَاتِ
بِئِرُوتَ



الموضوعات
في الآثار والأخبار

الموضوعات
في الأشكال والأجناس
عرض ودراسة

هاشم معروف الحسني

دار المعارف للطباعة
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م



المكتب: شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الإدارة والمعرض - حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية ابو علي طعام

ص - ب ٨٦٠١ - ١١

تلفون ٨٣٦٦٩٦ - ٨٣٧٨٦٨

تلکس تعارف ٢٣٦٤٤ - LE

السيد هاشم معروف الحسني سيرة نقيّة، وفكر نقيّ . . .

نقاء سيرته، ونقاء فكره حقيقتان تواكبان اسمه: حياً وميتاً، حاضراً وغائباً . . .

ولد السيد هاشم معروف الحسني عام ١٩١٩ في قرية جناتا (قضاء صور - لبنان الجنوبي) وفي بيت من بيوت الصلاح والتقوى في جبل عامل، وفي رعاية والده السيد معروف، ذلك الرجل الوقور وقار المؤمن، الوديع وداعة الناس البسطاء، الطيب كطية الأرض التي كانت تعطيه من خيرها الوفير بقدر ما يعطيها من جهده الجاهد، وصبره المحتسب، وبركة يديه الخيرتين . . في ظل هذه المزايا الكريمة لوالده السيد معروف، نشأ السيد هاشم نشأة كريمة اكسبته منذ الفتوة وقار الرجال، ووداعة المؤمنين، وطيبة الناس الطيبين كأرضهم جبل عامل . . في ظل هذه المزايا بالذات تمارس السيد هاشم بأخلاق التواضع والصدق وعفة اليد واللسان والضمير وببساطة العيش رغم انه عاش فتوته وشبابه في بيت ميسور الحال موفور النعمة . .

ويشهد الذين عايشوه أو عاصروه في النجف الاشرف وهو يطلب علم الدين والشريعة هناك، ان هذه الاخلاق نفسها، وهذه العفة نفسها، وهذه البساطة الطيبة نفسها، ظلت من مميزات المرموقة التي كانت تكسبه احترام اساتذته وزملائه واصدقائه وتلامذته، بل كانت تمنحه جهم جميعا.

ونستطيع القول جازمين بأن هذه المميزات التي كانت تزدد ترسخاً في شخصية السيد هاشم، طول اعوام الدراسة في النجف الاشرف، هي اساس ما عُرف به ايام طلب العلم هناك من مثابرة مدهشة على الدرس والمدارسة، ومن انكباب نادر المثال على الكتاب لا تلهيه عنه مغريات المجالس العامة، يعقدها ايام العطل الاسبوعية، زملاؤه واصدقاؤه ترفيهاً لنفوسهم من عناء الدرس والتدريس . . . هذا لا يعني ان السيد هاشم كان زميئاً، أو انطوائياً، أو متحرجاً من مجالس الانس البريئة، أو كان كثر المزاج لا تُطيب له مؤانسة الاصدقاء والزُملاء . . بل كان أمره على عكس ذلك: كان الوفاً سريع اللفة طيب المؤالفة، تطرب نفسه للقاء الاصدقاء، يهتز جسده كله سروراً ومرحاً للفكاهة اللاذعة الناقدة ويضحك لها ملء صدره، بل كثيراً ما كان هو يبادر بها ويرسلها عفوية ضاحكة محبة . . غير انه لم يدع لنفسه ان تسترسل في الاستمتاع بهذا كله، كيلا يطغى على استمتاعه الروحي بتحصيل المعرفة والعلم . . لذا كان حريصاً على ان يقيم التوازن بين هذا وذاك في حياته اليومية، وكان ناجحاً جداً في إقامة هذا التوازن بالفعل . . .

السيد هاشم، طالب العلم، كان نموذجاً محترماً للطالب المنظم التفكير والعمل . . كان تنظيم عمله اليومي يتناسب مع نسق تفكيره الدقيق التنظيم . . فإنه بالرغم من تعدد عمله اليومي، كميّاً ونوعياً، كان يبدو صافي الذهن، هادئ الاعصاب، متهلل الوجه، فكأنه يعمل عملاً واحداً سهلاً . . مرجع هذه الظاهرة فيه هو قدرته الفائقة على تنظيم فكره وعمله . . هذه القدرة كانت له عوناً على إنجاز اعماله اليومية كاملة ومتقنة دون أن ترهقه ذهنياً ولا جسدياً . . بهذا القدر من حسن تصريفه الأمور كانت له الطاقة المدهشة في أن يحضر في اليوم الواحد أكثر من حلقة دراسية، وأكثر من حلقة مذاكرة، وأن يمارس التدريس لأكثر من حلقة وكتاب . . غير أن الأهم من كل ذلك انه كان يتعامل مع زملائه وتلامذته كأنه هو المستفيد دائماً منهم في حين كان هو يفيد أكثر مما يستفيد . . من هنا كان السيد هاشم نموذجاً في التواضع بقدر ما كان نموذجاً في تنظيم عمله وتفكيره . .

كل اخلاقه ومزاياه هذه سواء ما اكتسبه في نشأته برعاية والده السيد معروف، أم ما ترسّخ فيه منها خلال طلبه العلم بالنّجف الاشرف، هي جميعا اخذت تبرز وتتوهّج، أكثر فأكثر، منذ انتهت مرحلة طلب العلم، وعاد الى جبل عامل ليمارس مهمته كرجل دين.. في مرحلته الجديدة تغيرت كل الظروف السابقة، وجاءت ظروف مختلفة جداً.. وتبدلت شروط الحياة وشروط العمل، بل تبدّلت حتى شروط التفكير.. بمعنى ان شخصيته الانسانية اصبحت عرضة لأن تتكوّن من جديد بصيغة جديدة. وصار من الممكن والمحتمل أن تهتزّ شخصية طالب العلم حين ينتقل فورا الى مرحلة عليه أن يواجه فيها الحياة والناس والأشياء والقضايا بوجه جديد، بشخصية جديدة، بمواقف جديدة، بعادات جديدة، بمزاج جديد الخ، الخ..

وهنا الامتحان الكبير، العسير، الشاق... هنا التحول من شخصية طالب العلم الى شخصية رجل الدين بكل ما تحتمل شخصية رجل الدين من صفات وصيغ عيش وتفكير، ومن اشكال تعامل، مع الناس، مع الواقع الجديد... إنه التحول الصعب. فكيف إذن واجه السيد هاشم ظروفه الجديدة، واقعه الجديد... هل اهتزت شخصيته الطلابية النموذجية امام شخصية رجل الدين التي كان عليه ان يتقمّصها بسرعة دون اختلال؟

أسئلة كثيرة من هذا النوع تحتشد في الذهن.. مع أن سيرة السيد هاشم النقية، وفكره النقي، يقدمان لنا الجواب عن كل هذه الاسئلة بارتياح دون مشقة.. فقد بقيا على نقائهما دون انكسار.. وبقي السيد هاشم الطالب النموذجي، هو نفسه السيد هاشم العالم رجل الدين المرتجى.. بل أصبح اكثر نموذجية، اي اكثر توهجا، أي اكثر حضورا في ظروفه الجديدة منه في ظروفه السابقة كطالب علم...

كل المزايا التي عرفناها في السيد هاشم طالب العلم في النجف الاشرف، اثبتت حضورها الابهى في العلامة السيد هاشم رجل الدين في جبل عامل:

أخلاق التواضع والصدق وعفة اليد واللسان والضمير وبساطة العيش

رغم وفرة اسباب العيش لديه . . كل هذه الاخلاق والصفات فيه، برزت عنده بصيغتها الجديدة منذ بدأ حياته الجديدة كرجل دين .

لكن هذه الاخلاق والصفات ذاتها اتخذت صيغتها الجديدة مسيجة بسياج حصين منيع من الورع بأعمق معانيه وأكثرها شمولية، إنه الورع الذي يصون صاحبه لا من مقارنة المحرمات الدينية التعبدية وحدها، بل يصونه - أولاً وآخر - من مقارنة المحرمات التعاملية بخاصة: دينية، واجتماعية، وانسانية ووطنية . . إن هذا النوع التعاملي من الورع، هو ما يضع الفارق الحاسم بين الورع العادي والاستثنائي، أو بين الورع السطحي والعمقي، أو بين الورع الزائف والحقيقي . .

ورع العلامة السيد هاشم معروف كان ورعاً ذا طبيعة شمولية، أولاً، وكان - الى ذلك - ورعاً استثنائياً وعميقاً وحقيقياً . . نقول هذا لا اعتباطاً ولا امتداحاً . . وإنما نقوله اعتقاداً واستناداً الى الواقع والشاهد والملموس من سيرته النقية . . فنحن نعرف من سيرته هذه أنه :

اولاً : كان له من صدق إيمانه الديني حصانة قوية وراسخة تمنع عنه الوقوع في شرك المغريات الأثمة مهما تكن عليه من قوة الاغراء وسحره . . وهذا هو الورع الديني . .

ثانياً: كان له من ادراكه السليم وحده الصائب ما يعصمه من كلا الشرّين: شر العزلة المطلقة غن الناس دون تمييز بعضهم من بعض، وشر الاندماج المطلق بالناس دون الحيطة والحذر من بعضهم دون بعض . بفضل هذه العصمة أمكنه اجتناب اهل الشر منهم، مع الافادة من صلته بالخيرين فيهم . . وهذا الورع الاجتماعي .

ثالثاً: كان من سماحة القلب ونبل العاطفة ما يضعه قريباً من الناس الضعفاء والبؤساء والمعذّبين . . بفضل هذا القرب الحميم استطاع أن يلسم بعض الجراح قدر ما لديه من الممكنات . . وهذا هو الورع الانساني . .

رابعاً: كان له من شرف العقل ونزاهة الضمير ما يبعده عن اهل

الشبهات الذين لا يتورعون عن بيع الوطن والمواطنين لقاء مكاسب شخصية . .
بفضل هذا الشرف والتزاهة فيه كان قادرا ان يمتنع عن الانزلاق الى المنحدرات
الموبوءة . . وهذا هو الورع الوطني . .

دخل العلامة السيد هاشم معروف الحسني عالم الوظيفة كقاضٍ في
المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان . . لماذا فعل ذلك؟

نقول واثقين إنه لم يدخل عالم الوظيفة هذه إلا عن ضرورة دفعته الى
ذلك . . هذه الضرورة لا يستطيع ان يدركها ويدرك قدرها إلا من عرف ظروف
العيش التي يعانيها رجال الدين في جبل عامل، خصوصا منهم اهل العفة
والتواضع وصدق القول والعمل . . هؤلاء يعزّ عليهم أن تضطرهم ظروف
العيش احيانا الى الخروج - ولو مقدار شعرة - عن اخلاقية العفة والتواضع
والصدق . . من هذا الوجه المشروع اضطر السيد هاشم ان يتجنّب حالة الخروج
عن أخلاقيته الاصيلة فدخل عالم الوظيفة كازهاً لا مختاراً . . لكنه فعل حسناً . .
لقد أثبت ان الوظيفة ليست شراً بذاتها، وإنما هي تتشرف بمن يصاحبها بشرفه،
ويلطّخها بالدنس من يلصق بها دنس يده وضميره . . لقد شرفها السيد هاشم
بالفعل: شرفها بنزاهة يده وشرف ضميره، وشرفها بورعه الصارم . . وبسيرته
النقية .

ولقد اثبت السيد هاشم ايضا خطأ الزعم أن الغرق في حياة الناس أو
حياة الوظيفة يلغي فرص النشاط الفكري . أي يلغي إمكانات العمل في مجالات
الفكر والعلم . .

إن سيرة السيد هاشم وفكره يقولان: لا . . بل إن الاتصال بالناس، مهما
يكن واسعا وعميقا يكن باعثاً لنشاط العقل، ومصدرا لاغتناء الفكر، ومُلهماً
للعمل والابداع . . فقد برهن السيد هاشم، عملياً، أن فرص الانتاج العقلي اكثر
ما تكون توفراً حين يكون العالم والمفكر بين الناس يتعامل معهم ويتعرف
احتياجات عقولهم، ويتفهم قضاياهم ومشكلات حياتهم . . برهن على ذلك
بنشاطه الخصب منذ اخذت تتعدّد وتشابك علاقاته بالناس، ثم منذ اخذت

مهمات القضاء الشرعي تزدحم وتتكاثر عليه في المحكمة وفي البيت على حد سواء .

وبعد، فليس اقوى دلالة على السيد هاشم معروف الحسيني من مؤلفاته العلمية والفكرية . . مؤلفاته وحدها تقول لكم أية سيرة نقيّة، وأي فكر لقيّ ، ترك لنا فقيدنا الكبير السيد هاشم معروف الحسيني .

صديق المؤلف

يبحث هذا الكتاب عن الحديث والمحدثين وأصناف الحديث وأقسامه وتاريخ الكذب في الحديث وأثر الحكم والقصاصين والفرق والاتجاهات الفقهية والمقائدية والسياسية على الحديث والمحدثين ويقدم صوراً عن بعض المحدثين والقصاصين ونماذج من الأحاديث الموضوعة في المنال والفضائل والترغيب والترهيب بأسلوب هادئ وروح بعيدة عن التعصب والمحاباة لأي جهة من الجهات ويعتمد في جميع ذلك على أوثق المصادر السنية والشيعية وغيرها .

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الهداة الميامين وصحبه الطيبين
لم يخالف أحد من المسلمين في أن الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسيان
للتشريع ولكل ما جاء به الاسلام من انظمة وآداب وأخلاق وغير ذلك ،
وان السنة تأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب الله ، ولولاها لكان التشريع
ناقصاً لأن القرآن الكريم قد وضع القواعد العامة والأصول والمبادئ لكل
ما يحتاجه الانسان في دنياه وآخرته ، غير ان السنة قد تكفلت بشرحها
وبيان مجملاتها وتفريع الجزئيات على أصولها ومبادئها كما يعرف ذلك كل من
درس السنة والفقهاء الاسلامي دراسة وافية بتدبر واقتان ، ومن ثم لم يكن للمشرع
ولا للمحدث ولا لأي باحث في موضوع من المواضيع التي لها صلة بالاسلام كدين
ونظام مندوحة عن الاعتماد على السنة واللجوء إليها والاسترشاد بهديها في جميع
المواضيع الاسلامية منذ فجر التشريع حتى يومنا الحالي ، وستبقى السنة إلى
جانب القرآن من أغنى المصادر في جميع المجالات بالرغم من أنها كانت هدفاً
لهزات عنيفة وهجمات صاعقة من الحاقدين والمرتزقة والحاكين تستهدف

الجوانب المشرقة منها منذ أقدم العصور ، لقد بليت بالحاكين ففسروا نصوصها بما يتفق مع سياستهم وأهوائهم وتأولوا عشرات الأحاديث بما يتفق مع تصرفاتهم ووضعوا مئات الأحاديث التي تؤيد عروشهم وتضع الحجب بين الحقائق التي يهدف إليها الاسلام وبين جماهير الناس ، وبلت بالمرتقة والوعاظ وقادة الفرق والأحزاب فوضعوا ما شاؤوا من البدع والفيبيات التي تحقق أطماعهم وتؤيد اتجاهاتهم وآراءهم ، وبلت بالحاكين أعداء الاسلام الذين اندسوا بين صفوف المسلمين منذ مطلع فجره بعد أن عجزوا عن الوقوف في وجه الزحف الاسلامي الذي اجتاح العالم العربي والامبراطوريتين الفارسية والرومانية في بضع سنوات معدودات ، فوضع هؤلاء آلاف الأحاديث بقصد التخريب والتشويش ، وظلت جميع تلك الموضوعات في مجاميع الحديث يتوارثها الخلف عن السلف بدون تحقيق في أسانيدها ولا دراسة لمتونها إلى جانب الصحيح منها فاختلط الحق بالباطل والصحيح بالفساد بالرغم من بعض المحاولات البريئة التي بذلت ولا تزال تبذل من قبل السنيين والشيعة لتصفيتها وإبراز الجوانب المشرقة منها .

وقد قرأت أكثر من كتاب حول الحديث فرأيت الذين قد كتبوا في هذا الموضوع قد سلكوا مسلكين شأنهم في ذلك شأن غيرهم ممن كتبوا في غيره من المواضيع ، فمنهم من اكتفى بعرض المشاكل التي أحاطت بالحديث والتطورات التي مرت على تدوينه وتصنيفه وما يتصل بذلك وتجاهل أحداث العصور الاسلامية الأولى وأثرها على الحديث والمحدثين . ومنهم من جنح إلى الأسلوب العلمي في دراسته فنظر إلى الحديث والمحدثين من خلال التاريخ الاسلامي وسياسة الحاكين وما رافق العصرين الأموي والعباسي من أحداث وتطورات وكان موفقاً في دراسته واستنتاجه إلى حد ما ، غير أن هذا الفريق كغيره ممن كتبوا حول هذه المواضيع قد حملوا الشيعة مسؤولية التعدي على سنة الرسول والكذب فيها مما دعا غيرهم على حد زعم هؤلاء المؤلفين إلى السير على

هذا الخط ليدفعوا الباطل بمثله كما يزعمون وتجاهلوا تلك الظروف القاسية والأحداث المروعة التي استهدفت الشيعة والقضاء على التشيع ومقوماته منذ مطلع العهد الأموي إلى العصر العباسي والأيوبي والتركي وغيره من العصور ، وقد اخترت في هذه الدراسة المسلك الثاني لأنه أوسع عطاء وأصدق في أداء الواجب ، وألزمت نفسي قدر وسعي أن أقف موقفاً بعيداً عن التمسب والمحاباة وأصفيت لجميع الحجج والآراء ، فلم أسفه رأياً كما فعل السباعي في دراسته ولا أوسعت احداً سباً وتعنيفاً كما صنع محمد عجاج الخطيب وامثاله ممن يرون التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) وكرراً يأوي إليه كل من يريد هدم الاسلام وتقويض دعائمه ، كما واني لم ابرئ الشيعة والمندسين في صفوفهم من وضع الأحاديث كما يظهر من الأمثلة التي قدمتها في هذا الكتاب .

والذي انتهيت إليه في هذه الدراسة التي أقدم لها هذه الكلمة هو ان الكذب في الحديث كان نتيجة لمجموعة من العوامل كانت أولى بوادرها قبل ظهور الأحزاب والفرق السياسية والمذهبية بزمن يتصل بحياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته على أبعد التقدير .

وعلى أي الأحوال فلقد وضعت كتابي هذا حول الحديث والمحدثين بعد تردد دام أكثر من سنة كاملة كانت تشدني إليه بعض الاعتبارات وتمنعي عنه ظروف واعتبارات أخرى ، ولكنني أخيراً وبعد ان وقفت على مجموعة من الكتب حول المحدثين والأحاديث الموضوعة لجماعة من مؤلفي السنة القدامى ، ورأيت بعض الكتب التي تسيء إلى علي وبنيه الأئمة الهداة كمشارق الأنوار للبرسي ، وقضاء علي للستري ، وشجرة طوبى للحائري ومختصر البصائر وامثال هذه الكتب تطبع في بيروت بلد الطوائف والأديان والأحزاب من قبل بعض المؤسسات والمكاتب التي تتاجر بالدين والتشيع فيطلع عليها القريب والبعيد وحتى من لا يؤمن بالله ورسوله فضلاً عن الغيبيات والكرامات ،

وحسب تقديري ان هناك تصميم على المضي في نشر هذا النوع من الكتب الذي لا يعبر عن واقع الأئمة ولا عن عقيدة الشيعة ولا يمت إلى التشيع الصحيح بصلة من الصلات لأغراض لا استطيع تحديدها في هذه المقدمة ، لذلك ولغيره عازمت على تأليف هذا الكتاب وتم ذلك بتوفيق الله سبحانه ، وقد عرضت فيه المراحل التي مر بها الحديث وأصنافه والكذب فيه ودوافعه وأصناف الوضاعين والقصاصين من سنيين وشيعيين ، وقدمت امثلة من الأحاديث الموضوعة بين احاديث الشيعة وغيرهم في المثالب والفضائل وغيرها للسببين التاليين : الأول منهما ، لنقول لأولئك الذين قد حاولوا ولا يزال احفادهم يحاولون مسخ التشيع من خلال بعض المرويات في كتب الحديث لنقول لهم ان كتب الحديث الموجودة بين ايدي الشيعة فيها الصحيح والفساد لأنها من صنع الانسان الذي يخطئ ويصيب وتستبد به الأهواء والأغراض فتكيفه كما تشاء ، والثاني لتنزيه الأئمة الطاهرين مما الصق بهم زوراً وبهتاناً وبيان الاخطار التي تكمن في التفاضي عن بعض الأحاديث والمتاجرة فيها على حساب الدين .

وأنا واثق بأني سأعرض لملفات قاسية من بعض حشوية الشيعة والمتاجرين بالدين ولكني بحول الله وقوته سوف اتجاهل كل ما يقال معتمداً على الله وحده ومستعيناً به في جميع اموري ، ومنه سبحانه استمد العون والتوفيق إله قريب مجيب .

الفصل الأول

السنة في عرف المشرعين

السنة في اللغة هي الطريقة التي يختطها الانسان لنفسه قبيحة كانت أم محمودة ، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

وفي عرف المحدثين كل ما جاء عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو غير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية من غير فرق بين ما كان منها قبل نبوته أو بمسدها ، ولذلك اتجهوا إلى تدوين جميع المراحل التي مر بها والحالات التي اتصف بها منذ ولادته إلى آخر مرحلة من حياته ، وقد نظر إليها الأصولي والفقيه من الزاوية التي تعنيهما في بحثهما ففسروها بأقواله وأفعاله وتقديره التي تدل على الأحكام وتثبتها ، وحيثما نتكلم عن الحديث الموجود في الجامع لا بد لنا وان نتخطى ما يعنيه الأصولي والفقيه من هذه الكلمة إلى كل ما رواه الرواة من أقواله وأفعاله وتقديراته سواء من ذلك المتعلق منها بالأحكام وغيرها ، والمراد من التقرير الذي يهتم به الفقيه ويعتبره في مرتبة

أقواله وأفعاله من حيث دلالاته على الحكم ، هو سكوته عما كان يفعله أصحابه الكاشف عن رضاه ، فالسكوت المقترن بالرضا والاستحسان لا فرق بينه وبين القول من حيث دلالاته على مشروعية الفعل ورجحانه أو وجوبه أحياناً .

وقد وقف المسلمون عند سنة الرسول بهذا المعنى خاشعين مطمئنين كما وقفوا عند نصوص الكتاب وآياته يسترشدون منهما ويستلهمون من نصوصهما وظواهرهما الأحكام والأخلاق وكل ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة ، ودلهم الكتاب نفسه على أن الشريعة لا تتم به وحده كما لا تتم بالسنة وحدها ، فكان كل منها متمماً للآخر وكاشفاً عن غوامضه وأسراره ، فلولوا السنة ما عرفنا مجملات القرآن ولا اكتشفنا الكثير من أسرارها وغوامضها ، هذا بالإضافة إلى كثير من الحوادث التي لم ينص عليها القرآن باسمها ووصفها ، وتركها للرسول الذي ائتمنه على وحيه وحمله مسؤولية الأداء والتبليغ والتفسير وبيان ما اشبه حكمه وخفي عليهم وجهه ، قال تعالى : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون^(١) .

وقال في آية أخرى : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون^(٢) .

وأوجب عليهم النزول على حكمه في كل خلاف يحدث بينهم كما تنص على ذلك الآية :

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً^(٣) .

(١) النحل آية ٤٤ .

(٢) ٦٤ نفس السورة .

(٣) نفس المصدر آية ٦٥ .

وجاء في الآية من سورة آل عمران : لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويذكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين^(١) .

وليس من المستبعد كما ذهب بعض المفسرين أن تكون الحكمة غير القرآن كما يرجح ذلك عطفها عليه ، كما يجوز أن يكون المراد منها الأحكام الشرعية وأسرارها ونحو ذلك مما زوده به من الوصايا والنصائح مما يدخل في نطاق السنة النبوية .

وقال الشافعي في رسالته : لقد ذكر الله الكتاب وغنى به القرآن ، وذكر الحكمة وغنى بها سنة رسول الله ونسب ذلك إلى جماعة من العلماء ، وأضاف إلى ذلك : فلم يميزوا والله العالم أن يراد من الحكمة غير سنة رسول الله لأنها مقرونة بالكتاب ، ولا يصح أن تكون شيئاً آخر غير السنة لأنها من الله على عباده ولا يمين عليهم إلا بما هو حق وخير ، ولازم ذلك أن علينا أن نتعبد بالحكمة كما تعبدنا بالقرآن ، ولم يفرض الله علينا غير كتابه وسنة نبيه .

ومهما كان الحال فكما أنزل الله على رسوله الكتاب وأمره بتبليغه وتنفيذ أحكامه وإرشاداته ونصائحه ، أوحى إليه الكثير من الأحكام والإرشادات وما حدث للأمم السالفة وسيحدث في مستقبل الزمان وعصمه من الخطأ والزلل ، ووصفه في الآية من سورة الاعراف بأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاعلال التي كانت عليهم^(٢) .

(١) النحل آية ١٦٤ .

(٢) انظر الآية ١٥٦ من سورة الاعراف .

وجاء عنه انه قال : اني أوقيت الكتاب ومثله معه ، واكد القرآن الكريم على المسلمين أن يرجعوا إليه في أمور دينهم ، وحشهم على الاستجابة لما يدعوم إليه .

فقال في الآية من سورة النساء : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییکم ، واعتبر طاعته طاعة لله ، واتباعه حباً لله تعالى ، فقال ومن يطمع الرسول فقد أطاع الله^(١) ، وقال : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم^(٢) . إلى كثير من الآيات التي قرنت طاعته بطاعة الله ومحبه بحبه الله وانذرت مخالفيه بالعذاب الأليم ، ووضعهم في صفوف الجاحدين لله والكافرين برسله وانبيائه ، قال سبحانه : وما كان لمومن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللاً مبيناً^(٣) . فكان لهذه الآيات ولغيرها من الأدلة التي تراكت لديهم على صحة دعوته ونبل رسالته واخلاصه فيما يقول ويفعل ، كان لكل ذلك أثره البالغ في استلھام سنته وسيرته بالإضافة إلى تلك المجموعة الهائلة من الفضائل التي احتشدت في شخصه الكريم واملته إلى مركز القيادة الحكيمة التي غيرت وجه التاريخ ، وكشفت زيف العادات والاعراف ومناهج الحياة التي كانت تتحكم في مصير الإنسان تلك الرسالة التي اطلت بأشعتها على الحاضر والمستقبل لتمهد للانسان طريق المجد والخلود ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء .

(٢) الآية ٨٠ من سورة النساء .

(٣) الآية ٣١ من آل عمران .

لقد تدرج الرسول في نشر دعوته وانتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ومحاربة المنكرات التي اعتادوها وغرس مكانها العقائد والاحكام وشجع الذين التفتوا من حوله على قلتهم في بادية الامر على الصبر والثبات وتحمل المشاق والصعاب ، ومضى في التخطيط لدعوته وتركيز دعائها بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة يسائر الزمن ويستغل المناسبات إلى أن توفرت له الأسباب وانقاد لدعوته عرب الجزيرة واطمان على مصيرها في تلك البقعة من بقاع الارض فاتجه إلى ما وراء الجزيرة لينشر رسالته في جميع أرجاء الدنيا الواسعة ويبلغها للقريب والبعيد ، وهو مع ذلك يقوم بمهمة المعلم والحاكم والقاضي والمرشد خلال ربع قرن من الزمن بالاسلوب الذي يراه مجدياً حسب الزمان والمكان ، وأحياناً يحل مشاكل الناس بالاسلوب الذي يتناسب مع حالهم وظروفهم ، فقد جاء في بعض المرويات ان رجلاً جاءه ليطلق زوجته فقال له : ان امرأتى هذه جاءت بفلام أسود واني انكرته فقال له النبي ﷺ هل لك من ابل ؟ قال : نعم ، فقال له : فما ألوانها ؟ قال : حر ، فسأله هل فيها من اوراق ، قال نعم فقال له فمن اين أتاهما ذلك فأجابه البسودي عسى أن يكون نزع عرق ، وهنا وجد النبي المجال متسعاً لإقناعه بالعدول عن رأيه بما يحسه من ظروفه وحياته ، فقال له : وهذا عسى أن يكون نزع عرق ، فافتتح السائل ومضى لسبيله مطمئناً لمولوده الجديد وشاكراً للرسول العظيم هذا الاسلوب الذي أعاد إليه الاطمئنان بزوجه وشريكة حياته .

ومن ذلك ان أحد القرشيين قال له : يا رسول الله : ائذن لي في الزنا فقال له النبي ﷺ أحبه لأملك ، فقال : لا والله ، جعلني الله فداك ، فقال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، ومضى النبي يعرض عليه الزنا في قريباته يقصد اقناعه بالعدول عن رأيه ، وهو ينفر ويستنكر ، فقال له أخيراً : ان عملاً لا يرضاه ممن يتصلن بك بنسب أو سبب لا يرضاه غيرك ولا تطيب به نفسه ، فادرك الرجل خطأه وانصرف لشأنه نادماً على

طلبه الى كثير من امثال هذه الأساليب التي كان يستعملها حسب المناسبات وبلغ من حرصه على تأديب أصحابه وتربيتهم على منهج الإسلام ، انه كان يستغل المناسبات ويهيئ الفرص للاجتماع بهم والحديث معهم بما يعود عليهم نفعه ويكرر حديثه ويفصل بين كلماته ليسهل عليهم التثبت منها والافتناع بها .

وقال بعض أصحابه : ان رسول الله كان إذا حدث لا يسرد الكلام سرداً بل كان إذا تكلم بكلام لو عده العاد لاحصاء ليستقر في ذهن السامع ولا يبقى في شك منه ، وكان مع ذلك لا يكثر من الحديث ولا يرضى لهم إلا باليسير ، وهو الغائل : علموا ويسروا ولا تمسروا على أحد فغير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه ، وإذا أحس من أحد اطراءه والثناء عليه قال : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله فلا تزيدوا على ذلك .

بهذه الروح الطيبة والنفوس السامية والصدر الرحب والمنهج السليم الذي اختطه الله له حاول بكل ما لديه من امكانيات وجهود ان يفرسه في قلوب اتباعه ونفوسهم ، واستطاع أن يحقق الكثير من أمانيه وأن يصنع من عرب الجزيرة الجفافة الطغاة رسل خير ورحمة ، ودعاة سلام ومحبة ، وقادة يفزون العالم بمعقولهم وتعاليمهم التي استمدوها من الرسول الكريم قبل أساطيلهم وجنودهم ، تلك التعاليم التي نسميها بسنة الرسول نارة ومجديته أخرى ، والتي لو قدر لها أن تسلم من كيد الداسين وعبث المحرفين والمخربين ، وقدر لنا اليوم وقبل اليوم ان نحتضنها ونعمل بمضامينها ومحتوياتها لكانت من أفضل المصادر التي نستلهم منها قوتنا ونستعيد بها كرامتنا وحريتنا لأنها تجمعنا على صعيد الحق والهدى وتمدنا بكل أسباب القوة في مقابل أولئك الغزاة العقائديين والسياسيين من شرقيين وغربيين الذين جمعهم الأهداف بقصد أو بدونه

على تحطيم الإسلام وتقويض دعائمه ووجدوا بين المنتسبين إليه من يمهّد لتلك الأهداف التي لا تختلف عن الحروب الصليبية إلا بالشكل والمظهر .

لقد كانت كل أفعاله وأقواله تعنيهم أكثر من أي شيء آخر ، لأنه كان محور حياتهم الدينية والمدنية منذ أن هدام الله به من الضلالة إلى الهداية ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، وبلغ من حرصهم على احصاء أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته أنهم كانوا إذا اضطروا أحدهم للتغيب عن مجلسه يستنيب من يقوم مقامه لينقل إليه ما سمعه من الرسول عن حكم يتعلق بدينه أو أمر يتعلق بحياته ، وهو مع كل ذلك كان يتهرب من التدخل بشؤونهم التي لا تتصل بالأحكام والأخلاق والآداب ويقول :

أنا أعلم بأمور دينكم وأنتم أعلم بأمور دنياكم .

وتؤكد المصادر الموثوقة أن الطبقة الأولى من المسلمين قد أحصوا عليه جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته ما يتصل منها برسائله كرسول ومشرع وغير ذلك مما يتعلق بشؤون الحياة ، ونقلوا جميع ما شاهدوه وسمعوه منه للأجيال جيلاً بعد جيل ، غير أنهم بطبيعة الحال لم يكونوا في مستوى واحد في دينهم وخبرتهم بأقواله وأفعاله وتعاليمه ، فمنهم البدوي والحضري والتاجر والمنقطع للعبادة وغير ذلك من الأصناف الذين لا بد وأن يتفاوتوا في معرفتهم واحصائهم لأقواله وأدراكهم لها ولما ترمز إليه ، مع العلم بأنه لم يكن قد أعد لهم ندوة عامة ليجتمع بهم في ليل أو نهار وإذا استثنينا أيام الأعياد والجمع وبعض المناسبات الخاصة التي كانت تحدث عن طريق الصدفة بين الحين والآخر، ومع ذلك كله فقد كان يحاذر منهم الملل ويخشى أن تشغلهم العبادة عن السعي والعمل في طلب الرزق والعلم ، فقد أكد لهم في عشرات المناسبات أن السعي في شؤونهم الخاصة والعمل من أجلها لا ينفصل عن الدين ولا ينقص عن أجر الصائمين والمصلين بل يزيد عليها عشرات المرات ، كما يشير إلى ذلك قوله : عمل

يوم خير من عبادة سنة وأحياناً يتلو عليهم قوله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » الى غير ذلك من الآيات التي تحت على طلب العلم والرزق وتبشر العاملين من أجلهما بثواب الصديقين والمجاهدين .

وكان اعلم المسلمين واعرفهم بسنته وسيرته اولئك الذين لازموه طيلة حياته وكانوا اقرب إليه من الظل لذي الظل ، ولم يخالف احد من المؤرخين والمحدثين في ان علياً عليه السلام كان اقرب إليه وألصق به من جميع المسلمين وكان يتحدث إليه في سره وعلانيته ، ويبلغ عنه القريب والبعيد ، وإذا أخذنا بهذا المبدأ الذي يؤكد السباعي وغيره من المؤلفين في الحديث فيجب ان تأتي مروياته في الدرجة الأولى من حيث العدد والاعتبار ، في حين ان صحاح السنة وعلى رأسها صحيح شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري لم تدون له اكثر من ثمان وعشرين رواية ، ودونت لغيره المئات والآلاف ، ولو تفاضينا عن ذلك ورجعنا الى الصحابة نجد ان الذين كانوا ألصق بالرسول من أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر ، لم تدون لهم الصحاح شيئاً يذكر بالنسبة الى مدونات أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولنا وقفة مع الرواة المكثرين عن الرسول في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

ومهما كان الحال فبالرغم من ان المسلمين في حياته لم يتركوا شيئاً من اقواله وافعاله وتصرفاته الا احصوه في صدورهم وتناقلوه في مجالسهم جيلاً فجيلاً ، واخذوا احكام دينهم من سنته ومن القرآن الكريم ونظروا الى سنته بعين الاجلال والاكبار بعد ان تأكد لهم بأنه لا ينطق الا عن الوحي ولا يبلغ الا عن ربه ، بالرغم من كل ذلك ومن ان السنة من ادلة الاحكام كالقرآن ولولاها لم يكن التشريع بهذه الإحاطة والشمول ، فالمسلمون الأولون لم يهتموا بتدوينها كما اهتموا بالقرآن ، بل اعتمدوا على ذاكرتهم القوية ، مع العلم ان الرسول نفسه قد فتح باب التدوين واتخذ من المسلمين كتاباً لتدوين القرآن

وبعض رسائله التي كان يزود بها الولاة ، وبعض الشؤون الأخرى كالمراسلات ونحوها مما يتعلق بشؤون الدولة ، وقد اسرف من ادعى ان انصراف المسلمين عن تدوين الحديث في مطلع فجر الإسلام يرجع إلى نهي الرسول عنه ، ورووا عنه انه قال :

لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئاً فليمححه ، إلى غير ذلك من الروايات عنه حول هذا الموضوع ، وهذه الروايات بالإضافة إلى ضعف اسانيدھا وعدم توفر الشروط للأخذ بها ، تتناقض مع الطائفة الأخرى التي ترخص في التدوين؛ ومع حرصه على مكافحة الامية التي كانت متفشية بين العرب في مطلع فجر الإسلام ، وقد صح عنه انه فرض على من كانوا يحسنون القراءة والكتابة تعليم غيرهم من الاميين ، وخصص مقداراً من واردات الدولة لمكافحة الامية ، كما يؤكد المؤرخون انه فرض على كل اسير كان يحسن الكتابة والقراءة تعليم عشرة من الاميين كفدية له في مقابل الفدية النقدية التي فرضها يوم بدر على الاسرى في حين أنه كان أحوج ما يكون إلى المال في تلك الفترة من تاريخ الإسلام ، وامر بتعلم اللغتين العبرية والسريانية نظراً للحاجة الداعية إلى ذلك ، وبعد الدراسة الواعية لهذا الموضوع يمكن ان نخرج منه بالنتيجة التالية :

وهي ان النبي ﷺ لم يمنع عن التدوين مع حرصه على محاربة الامية كما ذكرنا ، وفي الوقت ذاته لم يكن حريصاً على تدوين اقواله وسيرته كما كان حريصاً على تدوين القرآن وتعلم الكتابة والقراءة مخافة ان ينصرف الناس عن القرآن إلى سنته وسيرته وينظروا إليهما كما ينظرون إلى القرآن ، وعلى مرور الزمن تحمل محله ، كما حلت اقوال المسيح وسيرته محل الانجيل الذي انزله الله عليه ، وبالتالي فإن عناصر التخريب التي كانت منتشرة هنا وهناك حتى في عهد الرسول ﷺ تجد منفذاً للتشويش على القرآن والسنة ولو بادخال

بعض اقواله بين آيات القرآن ، وعلى مرور الزمن يصبح من الميسور لهم أو لغيرهم اثاره الشكوك حول القرآن والسنة معاً .

ومهما كان الحال فالنبي ﷺ لم يكن متحمساً لتدوين آثاره ، ووقف موقفاً يمكن ان يتصف بالفتور بالنسبة لغيره مما كان يؤكده ويحث عليه ، ولم يرد عنه ما يصلح ان يكون سبباً كافياً لتعليل هذه الظاهرة ، وبنتيجة ذلك وقف المسلمون بعد وفاته هذا الموقف الفاجر من تدوين اقواله واعتمدوا على ذهنيته الحادة التي كانت تستوعب ادبهم واخبارهم وجميع ما كان يجري بينهم من الحروب والغارات ، ووجدوا من الذين استولوا على الحكم بعد وفاته تشجيعاً على هذا الموقف ونهياً صريحاً ينذر بعقوبة من يحاول القيام بعمل من هذا النوع ، كما اشرنا الى ذلك في كتابنا تاريخ الفقه الجعفري ، ومع كل ذلك فقد ظهرت بعض المدونات في عصر الصحابة لعلي عليه السلام وابن عباس وغيرهما وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفته الصادقة في عهد الرسول كما يدعي جماعة ممن كتبوا في هذا الموضوع - وان كنا قد أثروا حولها الشكوك في كتبنا السابقة .

ويحدث ابن النديم في كتابه الفهرست انه كان بمدينة الحيرة رجل يقال له محمد بن الحسن جماعة للكتب له خزانة لم ارَ لأحد مثلها تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب ، فلقيت هذا الرجل دفعات وكان نفوراً ضئيلاً بما عنده وخائفاً من بني حمدان فاخرج لي قطراً كبيراً فيه نحو من ثلاثمائة رطل من جلود وصكاك وقراطيس وورق صيني وتهامي وجلود آدم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم ، فرأيتها وقلبتها فرأيت عجباً إلا ان الزمان قد اخلفها ، وكان على كل جزء ورقة ومدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد ، ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي عليه السلام كما رأيت فيها

بخط الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي ﷺ ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني ، ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود إلى غير ذلك ، مما جاء في الفهرست وتؤكد به بقية المصادر ، وبالرغم من الموقف السلبي الذي وقفه الخلفاء من تدوين الأحاديث والسيرة النبوية . وظل هذا الموقف مسيطراً إلى أن انقرض عصر الصحابة وجاء دور التابعين فاتسمت بلا شك حركة التدوين لأكثر من سبب واحد ، ولعل من أبرز أسبابها اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم المتحضرة التي حملت معها أخبار الفرس والرومان وتاريخ ملوكهم وفلسفتهم وغير ذلك من آثارهم وأخبارهم ، هذا بالإضافة إلى أن المسلمين قد أحسوا بالخطر على السنة لأن أكثرها في صدور الحفاظ ، وقد انقرض بعضهم ، وضاعت معهم بعض الأحاديث ، وانتشر القصاصون والكذبة في تلك الفترة من التاريخ وبخاصة عندما استتب الحكم للأمويين كما سنثبت ذلك في الفصول التالية ، فأحس جماعة من العلماء بالحاجة الملحة إلى تدوين الحديث حذراً من ضياعه ومن التلاعب فيه ، وظلت حركة التدوين تسير بخطا واسعة مع الزمن ، وقبل أن ينتهي ذلك العصر هب العلماء يتسابقون إلى التدوين في مختلف المواضيع فدوّنوا كل ما وجدوه بين أيدي الرواة حتى موضوعات الأمويين .

ويحدثنا ابن سعد في طبقاته بأن هشام بن عروة بن الزبير قال : لقد أحرق أبي يوم الحرة كتب فقهاء كانت له ، وكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي ، وقال في موضع آخر :

إن عبد الرزاق قال : سمعت معمرأ يقول : كنا نرى أني قد اكثرت عن الزهري حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري .

ويقول ابن خلكان : ان ابن شهاب الزهري كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا ، فنقول له امرأته : والله لهذه الكتب اشد علي من ثلاث ضرائر . وأضاف الى ذلك ان ابا عمرو بن العلاء المولود سنة سبعين من الهجرة كانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف^(١) الى غير ذلك من عشرات الشواهد ، على ان فتور الطبقة الأولى من المسلمين عن التدوين قد تلاشى خلال النصف الثاني من القرن الأول وأخذت حركة التدوين تتصاعد وتتطور مع الزمن في مختلف المواضيع الى ان بلغت ذروتها في التبويب والتصنيف في مطلع النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، ولكن بعد ان مرت مراحل كثيرة كان المؤلف في بدايتها يحشد في جامعه كل ما تناقلته الالسن من مختلف المواضيع من غير تمحيص وتدقيق ، ومن غير تنسيق بين الأبواب والمواضيع ، فالكتاب الواحد كان يجمع النوادر والاحكام والامثال والقصص ونحو ذلك . وفي بداية النصف الاول من القرن الثاني اتخذت حركة التدوين شكلاً آخر واحس العلماء بالحاجة الملحة الى التنسيق بين مواضيع مؤلفاتهم ، وبرزت على اتمها في القرن الثالث كما يبدو ذلك من الصحاح الستة .

والذي لا يمكن التنكر له ان فتور الطبقة الاولى من الصحابة عن تدوين الأحاديث مهما كانت أسبابه قد يسر للعناصر الفاسدة التي اندست في صفوف المسلمين من اليهودية والنصرانية وغيرها من مشركي مكة وغيرها ممن لم يدخل الاسلام قلبهم قد يسر لهم الدس والكذب على الرسول وادخال الكثير من القصص واخبار الأمم السابقة ، وبخاصة اليهودية حسب روتها التوراة وشروحها وأضافوا قسماً من تلك الاساطير الى تفسير القرآن ، ومن بين اولئك عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم ممن اتخذوا

(١) انظر فجر الاسلام ص ١٦٨ .

القصص مهنة لهم يخدعون الجماهير السذج بأساطيرهم ليبتزوا أموالهم ويتملقوا^١ بذلك الى الحكم ليستندروا عطفهم واعطيائهم ، وقد ظهرت طلائع هؤلاء في عصر الطبقة الاولى من الصحابة ، ولعل أول من تعاطى هذه المهنة تميم الداري المعاصر للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وقد استأذنه في ان يقص على الناس فأنى عليه أولاً ، وفي اخريات أيامه أذن له ان يقص على الناس مرة في الاسبوع .

ولما جاء دور عثمان بن عفان اطلق له السراح ، فانطلق يحدث في المسجد والمجتمعات بما لذ له وطاب بدون وازع من دين أو رقابة من أحد ، وبما يشير الى عدم تخرج هذه الطبقة من الكذبة والقصاصين ان روح بن زنباع دخل عليه وهو ينهي لفرسه شعيراً ، فقال له : اما كان في هؤلاء من يكفيك قال بلى : ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلقه عليه إلا كتب له بكل حبة حسنة^(١) .

وحدث عبد الله بن سلام كما جاء في الجزء الأول من الطبري عن بداية الخلق ، فقال : ان الله بدأ الخلق يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال الرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة . الى كثير من امثال هذه الاساطير التي دسها اليهود وغيرهم بين المسلمين واصبحت بعد ذلك من جملة الاحاديث التي روتها الطبقة الثانية ونسبتها إلى الرسول ودونها المؤلفون في مجاميعهم بين المرويات هنا وهناك .

وعلى اي الاحوال ففي عصر التابعين كانت الحاجة الى الحديث اكثر من اي وقت مضى ، لأن المسلمين قد استقبلوا حياة جديدة حافلة بالحوادث

(١) فجر الاسلام ص ١٦٨ .

الغريبة عما اعتادوه وألفوه من قبل بسبب اتساع رقعة الاسلام واختلاطهم بالأمم الاخرى ، فكان من المحتم عليهم ان يرجعوا إلى مرويات الصحابة ومدوناتهم في ظروف كان فيها الكذب على الرسول ميسوراً ومنتشراً ، لأن الحكم أنفسهم ساهموا في الدعوة إلى وضع الاحاديث لاسيما التي تؤيد عروشهم وتسيء الى اخصامهم السياسيين ، على ان الصحابة الذين اصبحوا المرجع المفضل لكل من جاء بعدهم ، لم يكونوا في المستوى الذي يوفر لمروياتهم اسباب الطمأنينة والوثوق بها ، وحسبنا شاهداً على ذلك بعض الآيات التي وصفتهم بالنفاق والتمرد على الرسول ورسالته كما تنص على ذلك سورة التوبة وغيرها ، بالإضافة إلى المرويات للكثيرة التي وصفتهم بالارتداد عن الدين والتنكر لمبادئه وقيمه . هؤلاء وغيرهم قد وضعوا بين المرويات الصحيحة مئات المرويات في الحلال والحرام وغيرهما ، ولما جاء دور التصفية بحث المعنيون بتصفية الحديث احوال الرواة فرداً فرداً ووضعوا الشروط للأخذ بالرواية وصنفوا على اساسها الروايات الى الاصناف المتداولة ، وخضعت جميع المرويات للنقد والتمحيص عدا روايات الصحابة فإنها لم تخضع للنقد ولم تقبل المراجعة ، لأنهم فوق الشبهات والأهواء على حد تعبير المؤلفين في هذه المواضيع .

ولابد لنا ونحن نعالج موضوعاً من أوسع المواضيع الاسلامية وأوثقها صلة بحياة المسلمين أن نقف ولو قليلاً عند الحصانة التي وضعها المحدثون على من اسموهم بالصحابة وعن اسبابها ودوافعها ، في حين ان الصحابة أنفسهم كانوا يتراشقون بالتفسيق والتكفير ويستبيحون من بعضهم بعضاً ما لا يبيحه الشرائع والأديان ولا تقره حتى شريعة الغاب ، وظلمات الجاهلية الأولى ، ولو أردنا احصاء الجرائم والمخالفات التي دونها التاريخ لمن هم في الطليعة بين الصحابة لخرجنا من ذلك بمجلد من أضخم المجلدات وأغناها بالحقائق والوثائق التي لا تقبل المراجعة ، ويكفيها لو أردنا ان نكون مجردين وواقعيين تلك الحملات العنيفة التي شنّها القرآن الكريم عليهم ووصفهم فيها بالنفاق والفسق وفضح

فيها مؤامرتهم ودسائسهم التي كانوا يمحكونها في الظلام للقضاء على الرسول ودعوته ، هذا بالإضافة إلى عشرات الأحاديث التي اختارها أصحاب الصحاح ووصفتهم بالارتداد عن الدين والتمرد على أصوله ومبادئه بنحو لا يدع مجالاً للريب في أنهم ان لم يكونوا اسوأ من غيرهم ، فهم كغيرهم من سائر الناس فيهم الصالح والطالح والمنافق والمؤمن ومن قذفت به النزعات والاهواء الى اسفل درك من الانحطاط والتدهور .

اجل ان الباحث في تاريخ المسلمين خلال القرن الاول من تاريخهم الحافل بالحوادث والتطورات ، يدرك ان فكرة تقديس الصحابة - التي راجت بعد هذا القرن واصبحت عقيدة لمئات الملايين من المسلمين المتدفقة عبر التاريخ وعلى أساسها درس العلماء الحديث ووضعوا أصوله وقواعده وخرجوا بتلك النتائج المروعة التي شوهت معالم السنة ، وامتدت الحصوم الألداء بأسلحة الهدم والتخريب - هذه الفكرة لقد نشط الحاكسون واتباعهم في تركيزها وتثبيتها لأسباب فرضتها السياسة والصراع على الحكم الذي تزعمه الامويون طيلة قرن من الزمن استهدف اخصامهم بكل أنواع البلاء والتعذيب وكبت الحريات والمشاعر ، وقد أدرك الامويون ان المسلمين سوف لا يقفون من هذه الخلافة موقف المتفرج فجدوا في وضع الاحاديث التي تؤيد عروشهم وشرعية حكمهم وتضع من شأن اخصامهم ، فوضعوا هم واتباعهم سيلاً من المرويات ونسبوا إلى الرسول بتوسط الصحابة بعد ان اكلت الحروب والسنين اكثرهم ، وحق لا يتسرب الشك إليها ولا يتسع المجال للطعن بها وتجريحها ، خلقوا للصحابة تلك الهالة من القداسة ومنحهم صفة العدالة ، وأشاعوها بين الناس على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم ، وجدوا في تثبيتها وتركيزها في النفوس بالمال والسلاح وكل المقريات ، وظلت هذه الفكرة تسير مع الاجيال جيلاً بعد جيل الى ان جاء دور المؤلفين في الرجال واحوال الرواة في عصر يختلف عن اي عصر مضى من حيث الصراع الفكري والعقائدي الذي شاع وانتشر بين أوساط المسلمين

خلال القرن الثاني من الهجرة فوجد هؤلاء ان محاكمة الصحابة وتجريحهم كغيرهم يؤدي إلى الإطاحة بأكثر الروايات عن الرسول ، لأن أكثرها مروي بواسطتهم وفي ذلك انتصار للعناصر الأخرى التي لم ترض للعقل بأن يبقى بعيداً عن المسرح واعطوه الحق في ان يتدخل في كل شيء ما لم يكن من الضرورات التي لا تقبل الشك والمراجعة ، هذا بالإضافة إلى ان السياسيين وغيرهم يعلمون ان التشكيك بالصحابة ومحاكمتهم كغيرهم يؤدي بالنتيجة إلى التشكيك بالخلافة الإسلامية بالنحو الذي سارت عليه ، لأن عدالتهم وعدم اجتماعهم على ضلال كما يزعمون من أوفر الأدلة حفظاً على شرعيتها ، فإذا التزموا بأنهم كغيرهم من سائر الناس ووضعهم في قفص الاتهام كان ذلك انتصاراً للحزب المعارض لخلافة الثلاثة ، وبالتالي تبطل خلافة الأمويين من أساسها حتى على منطقهم الذي ضلوا به الجماهير المغلوطة على امرها .

وما يؤكد ان محاكمة الصحابة ووضعهم في قفص الاتهام كغيرهم يوجب الإطاحة بأكثر الروايات المنسوبة إليهم ، ان الذين قفلتوا من تلك الحالة وخرقوها ووضعوا الصحابة على طاولة التشريح كغيرهم لم يصح عندهم من الروايات التي تتصل بسند لهم إلا القليل القليل من الروايات المنسوبة إليهم ، مما اضطرهم إلى تخريج بعض الاصول والقواعد للتعرف على بعض الاحكام التي لم يحدوا لها مدركاً من كتاب أو سنة ، ومن هؤلاء شيخ الاحناف الذي اعتمد القياس دليلاً على كثير من الاحكام لأنه لم يثق بكل مرويات الصحابة ولم يصح عنده إلا بضع عشرات منها .

الصحابة

ولا بد لنا ونحن نتكلم عن الموضوعات وما يتعلق بهذا الموضوع من عرض موجز لآراء العلماء والمحدثين في تحديد الصحابة ومراتبهم في الرواية عن الرسول ﷺ ، وقد جاء في الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير والتدريب للسيوطي وابن الصلاح في مقدمته وغيرهم .

انه كل مسلم رأى الرسول او سمع حديثه ، طالت الصحبة او قصرت بل ولو كانت يوماً واحداً على حد تعبير الإمام أحمد بن حنبل^(١) واسرف بعضهم اسرافاً لا مبرر له فألحق بهم من رآه قبل النبوة ومات على الحنيفية كزيد بن عمر بن نفيل ، أو رآه قبلها وأدرك البعثة مسلماً وان لم يره .

ومن نص على ان مجرد الرؤية يكفي في اعطائه صفة الصحبة ، البخاري وأبو زرعة وابن عبد البر ، وأبو موسى المديني ، وابن الأثير في كتابه اسد الغابة في معرفة الصحابة^(٢) .

(١) انظر الكفاية ص ٥١ وتلخيص فهوم أهل الآثار ص ٢٧ .
(٢) لقد تحدثنا عن الصحابة وتحديد الصحبة مفصلاً في كتابنا دراسات في الكافي والبخاري ولكن الموضوع الذي نحن فيه يفرض علينا ان نتحدث عنهم على ان اعادة الحديث لا تخلو من بعض الفوائد والزيادات .

وجاء في مقدمة ابن الصلاح انهم توسعوا في اعطاء من رآه ولو مرة صفة الصحبة لشرف منزلته وعلو مقامه ، و اضاف بعضهم الى الرؤية ان يروي عنه ولو حديثاً او حديثين . وتعرض سعيد بن المسيب لهجوم عنيف من المحدثين والفقهاء لأنه اشترط ان يصحبه سنة أو سنتين ، أو يغزومه غزوة أو غزوتين ، لأن ذلك يؤدي إلى خروج جرير بن عبد الله البجلي وامثاله من الصحابة ، لأنهم لم يكتثوا معه المدة المذكورة على حد تعبيرهم .

وقد ألحق ابن الأثير مؤمني الجن بالصحابة ، وتعدد بعض في إلحاقهم دون إلحاق الملائكة ، ولكن ابن الأثير اجاب بأن الجن من المكلفين بالإسلام وقد آمن بعضهم برسالة النبي ، والملائكة لم يشملهم هذا التكليف ، لذلك يتصف من آمن من الجن بها ولا يتصف بها احد من الملائكة ، و اضاف إلى ذلك أن نبي الله عيسى بن مريم إذا نزل إلى الارض وحكم بشريعة محمد ﷺ يصح اعطاؤه هذا الوصف لأنه رآه على وجه الارض .

ونصّ الزرقاني في شرح المواهب : ان وصف الصحبة يثبت للملائكة كما يثبت لغيرها ، لأن النبي ﷺ ارسل إليهم ايضاً ولكن ارسال تشریف ، او تكليف خاص غير التكليف الذي كلف به الإنسان .

وجاء عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري : ان الصحبة تثبت لكل من ادرك عصر النبي ﷺ وان لم يره ، وعلى هذا الاساس فقد عدوا عبد الله بن مالك الجيشاني من الصحابة مع انه لم ير النبي ﷺ ولم يدخل المدينة إلا في خلافة عمر بن الخطاب (١) .

وألحق ابن عبد البر وابن منده بالصحابة كل من حكم باسلامه تبعاً

(١) انظر التدريب للسيوطي ص ٢١٣ عن شرح التلخيص للفراي .

لأبويه الصحابين^(١) إلى غير ذلك من الأقوال والآراء التي لا تركز على أساس من العلم أو العرف ، ذلك لأن العلم والعرف لا يسمحان بإعطاء هذا الوصف لكل من رآه أو سمع حديثه أو ولد في عصره ونحو ذلك ما لم يكن متصلاً به ولو شطراً من الزمن بنحو من الاتصال الذي يختلف حسب الظروف والملابسات ، ومن أجل ذلك فإن الناس يتفاوتون تفاوتاً عسوساً في الاتصاف بها حسب طول المدة وقصرها والاتصال الوثيق وعدمه والاطمئنان النفسي وغير ذلك ، كما يتفاوتون في اتصافهم بسائر الصفات كالعلم والكرم والشجاعة والبخل والجمال ونحو ذلك ، ومن هنا كان انطباق هذا الوصف على الذين لازموا منذ الأيام الأولى إلى المرحلة الأخيرة من حياته أصدق وأظهر من الذين اسلموا في أخريات أيامه ولازموا فيها حتى ولو أخذوا من أحاديثه ورووا عنه أكثر من أولئك بعشرات المرات ، كما وأنه من اسلم بعد الهجرة لم يكن ارتباط هذا الوصف به وملاءمته له كارتباطه بمن آمن به في وقت مبكر من تاريخ اعلانه بالدعوة ، في حين أن اتصاف من اسلم بعد الهجرة بها أتم واكمل من اتصاف من تأخر اسلامه إلى قبيل وفاته ، وهذا لا يعني أن لطول المدة دخلاً في صدق هذا الوصف ، وإنما الذي يعنيه هذا التفصيل هو أن الصفة كغيرها من الصفات التي تنسب إلى الذات وتحمل عليها بعد وجود أسبابها وملابساتها ، وفي الوقت ذاته لا بد وأن تختلف من حيث ارتباط المحمول بالموضوع باعتبار طول المدة وقصرها وكثرة المعاشرة وتبادل الوثوق والاطمئنان بين الطرفين ، كما تختلف في ذلك بقية الصفات التي تنسب لموضوعاتها كالعلم والكرم والشجاعة ونحو ذلك ، أما مجرد الرؤية كما ذهب إلى ذلك أكثر أهل السنة ، أو شمولها لكل من ولد في عصره كما ذهب إلى ذلك آخرون ، أو مجرد الاسلام في عهده كما نسب لبعضهم ، أو الرواية عنه كما جاء في بعض الأقوال ، أو شمولها حتى للجن والملائكة كما جنع لذلك بعض المنحرفين كابن الأثير والزرقاني في شرح

(١) نفس المصدر والصفحة .

المواهب ، هذه الآراء لاتعتمد على سنة مقبولة ولايقرها العقل والعرف في اي عصر من العصور ، وإذا أردنا فحص هذه الآراء فحسباً جديداً لا يثبت منها امام النقد والتمحيص سوى الرأي الملسوب الى سعيد بن المسيب الذي يضع حداً للاحد الأدنى بسنة أو سلتين ، أو يفزرو معه ويجاهد بين يديه ولو مرة واحدة.

ومع ان الجمهور الأعظم من علماء السنة ومحدثهم قد اعطوا هذا الوصف لكل من رأى النبي وسمع حديثه ، حتى ولو رآه لحظة واحدة صنفوا المتصنفين بها الى اصناف كثيرة أنهاها الحاكم النيسابوري الى اثنتي عشرة طبقة، وانهاها ابن سعد في طبقاته إلى خمس طبقات الى غير ذلك من الأقول الكثيرة التي لا يعنينا احصاؤها ، في حين انهم اتفقوا على ان الطبقة الاولى تشمل كل من اسلم في عهد مبكر من تاريخ البعثة ، وان الخلفاء الاربعة أفضلهم ، ويأتي من بعدهم بقية العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة على حد زعم أهل السنة ، ونحن لاننكر أن الأولين يتصفون بالصحة اتصافاً صحيحاً ، ولكننا ندعي ان الصحة مهما بلغت مدتها ومهما كان نوعها ومع اي كانت من الناس نبياً كان أو وصياً أو غيره لا ترفع من شأن الإنسان ولا توجب له ميزة على غيره من الناس ما لم يتأثر بها وينفعل بصاحبه بنحو يكون في أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته يعكس أقوال وأفعال وتصرفات الطرف الآخر ، وأصحاب النبي ليسوا بأقرب إليه ولا بالصق به من بنيه الاقربين ، ومع ذلك فلم يعمل الإسلام لهم ميزة على غيرهم من سائر الناس إلا بالعمل الطيب والخدمات التي يقدمونها لغيرهم من بني الإنسان ، وقد صح عنه انه قال : خير الناس من نفع الناس ، وانه قال لفاطمة عليها السلام وهي وحيدته وأعز الناس على قلبه وروحه ومن ألصق الناس به في ليله ونهاره ، اعملي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً . والشيء الغريب ان هؤلاء قد رووا عن النبي ﷺ قوله هذا لفاطمة ، وغيره من المرويات التي تلغي جميع الامتيازات والاعتبارات لأي كان من الناس ، ومع ذلك يزعمون بأن صحة معاوية وسمره بن جندب وعمر بن

العاص وغيرهم من العشرات الذين لطمخوا تاريخ الإسلام بالجرائم والموبقات ترفع من شأنهم وتجعلهم في صفوف القديسين ، مع ان التاريخ يؤكد بأنهم منذ دخلوا الإسلام الى ان خرجوا من هذه الدنيا وأيديهم تقطر من دماء الأبرياء والصلحاء ، واغرب من ذلك ان يبلغ الاسفاف ببعض المحدثين الى القول بأن يوماً واحداً من أيام معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأهل بيته^(١) .

هذا الاسفاف الجائر ان دل على شيء فلا يدل إلا على حماقة هؤلاء الذين يريدون أن ينتحلوا الفضل لمن عراهم الإسلام عن كل ما يمت الى الفضيلة بسبب قريب أو بعيد ، وعندما يستعرض الباحث مهما كان لونه تاريخ الرجلين ويقارن بينهما وهما من حكام تلك الدولة الجائرة التي اسسها معاوية فأما ما بها العدل وأحيا بها الجور وشريعة الغاب ، وعندما يستعرض الباحث تاريخ الاثنين لا يسعه إلا أن يقف بجانب عمر بن عبد العزيز الذي لم يكن همه من أمر الخلافة إلا محو ما علق بها من آثار اسلافه وجور آبائه والسير بها نحو الأهداف التي رسمها الإسلام للحاكمين ، عدل بدون مواربة ولا محاباة ، وزهد في كل شيء إلا في احقاق الحق وانصاف المظلومين ، وسهر دائم على مصالح الرعية من أجل سعادة الإنسان من غير تمييز بين قوم وقوم أو جنس وجنس . بهذا النحو من الاجمال تستطيع أن تضع الخطوط العريضة لمنهج هذا الحاكم وأهدافه خلال تلك الفترة القصيرة التي لو قدر لها ان تمت لفترة أطول وأشمل لغيرت وجه هذه الدولة للقائم المظلم الحافل بالمخازي والمنكرات والتي كان شعار قادتها السواد بستان لقريش ، وأسلوبهم استنزاف الثروات لإشباع شهواتهم ، احلب الدر فإذا نجف فاحلب الدم ، بهذا التخطيط الجائر قطعت دولة الامويين التي وضع نواتها معاوية بن ابي سفيان مسيرتها الواسعة من غير

(١) انظر الباحث الحديث للحافظ ابن كثير ص ١٨١ .

ان يتخللها ولو بصيص من امل بعيد الى تلك الشعوب ولو بعض أمانيتها ،
إذا استثنينا تلك الليالي البيض التي تخللت سسيرتها في عهد خليفتهم العادل
ومع ذلك فإن عدتي السنة يبلغون أبعد من الاسراف في القول :

في تمجيد صحبة معاوية للرسول ﷺ التي لم تغير من طبيعته المشتركة شيئاً ،
ويزعمون ان يوماً واحداً منها في مقياس الفضائل خير من عمر بن عبد العزيز
وأيامه الحافلة بالخير والصلاح ، وينتهي بهم الاسراف الى التعامل على الشيعة
لأنهم لا يشبتون العدالة لكل من رأى النبي من الأعراب الجفاة ومن مشركي
مكة الذين لم ينطقوا بكلمة الاسلام إلا تضليلاً ودجلاً ولأنهم لا يشبتون
العدالة هؤلاء ويصفونهم بالجهل والهذيان واتباع الهوى .

إذا عَيَّرَ الطائيَّ بالبخل ما درَّ وعَيَّرَ قُساَ بالفهامة بأقلِّ

قال ابن كثير في الباعث الحثيث : أما طوائف الروافض وجهلهم وقلة
عقلهم ودعائهم في الصحابة إلا سبعة عشر رجلاً منهم فهو من الهذيان
ولا دليل عليه إلا مجرد الرأي الفاسد عن ذهن بارد وهوى متبع وهو أقل
من أن يرد ، واستطرد المؤلف في حديثه عن قداصة الصحابة وعدالتهم إلى
القول بأن أفضلهم أبو بكر عبد الله بن عثمان المعروف بابي قحافة ويأتي
من بعده عمر بن الخطاب ، وان عبد الرحمن بن عوف كان في حيرة من أمره
في تعيين الأفضل من الاثنين علي وعثمان ، وانتهى أخيراً إلى أفضلية عثمان بعد
ان استشار أهل المدينة حق النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب على
حد تعبيره ، فاتفقوا جميعاً على فضل عثمان ، ولذا ولاه الخلافة ، وأضاف
إلى ذلك ان الدارقطني قال : من قدم علياً على عثمان فقد ازرى بالمهاجرين
والانصار ، وأبدى تعجبه واستنكاره ممن يقدم علياً عليه من أهل الكوفة^(١).

(١) انظر الباعث الحثيث ص ١٨٢ و ١٨٣ .

ومهما كان الحال فلا أريد أن اتبسط في هذه المباحث ولا يهمني منها إلا مقدار ما تدعو إليه الحاجة في الموضوع الذي بيدي ، ولولا أن البحث عن الحديث يتوقف على هذه الدعة الخاطفة لكنت في غنى عن هذا الموضوع ، وعلى أي الأحوال فالشيعة لا يغالون في تجرييهم إلى الحد الذي يدعيه ابن كثير في الباعث الحديث ويقفون موقفاً وسطاً معتدلاً لا يسيء إلى الحديث ولا يحابي المسيئين والمنافقين ، ويحكمون عليهم من خلال حكم القرآن والسنة الكريمة ، وبلا شك ان القرآن قد امتدح الطيبين منهم ووصفهم بما يليق بهم كما جاء في الآية من سورة الفتح : « محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سياماً في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في القرآن ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً » .

وجاء في آية ثانية « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها » .

إلى غير ذلك من الآيات التي أشادت ببطولاتهم وجهادهم وإخلاصهم لله ورسوله ورسالاته ، هؤلاء لا يتجاهلهم الشيعة ولا يتنكرون لمواقفهم المشرقة التي وقفوها في وجه الكفر والظلم ، ويستلهمون من سيرتهم وبطولاتهم أجل معاني الخير والنبيل والفضيلة ، ويصفونهم بما وصفهم به الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بقوله :

اللهم صل على أصحاب محمد الذين أحسنوا الصعوبة وأبلاوا البلاء الحسن في نصرة ، واسرعوا إلى وفادته وتسابقوا إلى دعوته وفارقوا الأزواج والأولاد في اظهار كلمته ، وقاتلوا الأبناء والآباء في تثبيت دعوته .

ولا نتردد في عدالتهم وقبول مروياتهم عن الرسول ﷺ مهما بلغت ، أما تقديس جميع من أسمىهم بالصحابة لمجرد أنهم رأوا الرسول أو سمعوا حديثه ، أو عاشروه ولو زمناً طويلاً ولكنهم مارسوا الفتن في حياته أو بعد وفاته ، وختموا حياتهم إلى جانب معاوية وغيرهم ممن تستروا بالإسلام بعد أن عجزوا عن مقاومته وباعوا ضمائرهم للشيطان ، هؤلاء لا يفرق الشيعة بينهم وبين الحاكمين الذين غيروا وبدلوا وانحرفوا عن الخطوط العريضة التي وضعها القرآن والرسول للحاكم والمحكوم ، وبالتالي فانا نطلب من القائلين بمدالة الصحابة وقبول مروياتهم ومرويات السيدة عائشة التي روت عن الرسول آلاف الأحاديث وكانت مصدراً من مصادر الحديث الذي استمدت منه الطبقة الأولى من التابعين كمروة بن الزبير وولده هشام وأمثالها نطلب منهم التوفيق بين قبول مروياتها وعدالتها ، وبين قول النبي فيها كما جاء في صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قام خطيباً وأشار إلى مسكن عائشة بيده وقال : الفتنة هنا ثلاثا حيث يطلع قرن الشيطان ، وجاء في رواية ثانية عنه أن النبي خرج من بيت عائشة وقال :

رأس الكفر هنا حيث يطلع قرن الشيطان ، فهل يعني النبي ﷺ بالفتنة وقرن الشيطان نفس البناء ومحتوياته من أثاث وأخشاب أو من يسكنه ويحل فيه ، أو أن النبي ﷺ قد استولى عليه الغضب من زوجته السيدة عائشة كما يستولي الغضب أحياناً على بعض الأزواج لأسباب شخصية فوصفها النبي ﷺ بهذا الوصف الذي لا يتفق مع واقعها ، لا يمكن لأي مسلم أن يحتفظ بإسلامه ويذهب إلى هذا الرأي ، لأن ذلك ينتهي بالنتيجة إلى القول بأن النبي كغيره من الناس العاديين الذين يحرمهم الرضا والغضب إلى التماهي في الباطل والانحراف عن الحق ، والسؤال بعينه يأتي بالنسبة لغيرها من الصحابة الذين التزموا بمدالتهم ووجوب الأخذ بكل مروياتهم في حين أن البخاري روى في صحيحه أحاديث الارتداد ونحوها مما ورد في مروان

وأبيه ومعاوية وأمثاله ، إلا أن يلتزموا بأن هذا النوع من المرويات موضوع على النبي ﷺ ، لو التزموا بذلك يبطل هذا السؤال ولكن عليهم والحال هذه ان يتراجعوا عن غلوهم في صحيح البخاري ، وينظروا إليه كغيره من مجاميع الحديث التي تخضع للنقد والحساب ، ولحد الآن لم يجرؤ أحد أن يقف منه هذا الموقف .

الفصل الثاني

في المؤلفين في الحديث

أصناف الحديث

لقد كان للحديث الحاكي لسنة الرسول ﷺ دوره العملي في التشريع كما ذكرنا في أوائل الفصل السابق ، ولولاه لفقدت الشريعة صفة الكمال والشمول والمرونة التي امتازت بها عن جميع الشرائع والتشريعات الوضعية ، وبالطبع فإن الحاجة إلى الحديث قد رافقت الطبقة الأولى من المسلمين والطبقات التي تلتها ، وتضاعفت الحاجة إليه على مرور الزمن بتوالي الاحداث وتطور أسباب الحياة ، فكان من المحتم ان تبذل الجهود في مختلف البلاد الإسلامية وبخاصة بلد التشريع إلى تدارس الحديث متناً وسنداً وتدوينه في المجاميع تدويناً منسقاً ومرتباً حسب الأبواب والمناسبات والمواضيع ، وكانت مدرسة أهل البيت التي وضع نواتها علي بن أبي طالب وأبناءؤه الكرام بقيادة الإمامين العظيمين الباقر وولده الصادق عليهما السلام تجمع من جميع البلاد آلاف الطلاب لأخذ الحديث من معدنه الرئيسي ، وحتى أبو حنيفة مؤسس المذهب

الحنفي وامام أهل الرأي في عصره مع تشكيكه بأحاديث الصحابة قد
التجأ لتلك المدرسة وأخذ منها في مختلف المواضيع ، ودفعه إعجابه بقائدها
وانتاجها إلى أن ينوه عنها في أكثر من مناسبة بقوله : لولا الستان لهلك
النعمان ، والف تلامذتها آلاف الكتب في الفقه والحديث وبقية العلوم ، كان
من أبرزها اربعمئة كتاب عرفت بعد ذلك بالأصول الاربعمئة لعلها من أبرز
المصادر للجاميع التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع ، والتي كان في
جملتها الكتب الاربعة للمحمدين الثلاثة^(١) كما اعتمد عليها علماء القرنين الثالث
والرابع الذي كتبوا في أصول المذهب الإمامي ونظموا أصوله ومبادئه وخلصوه من
خرافات الفرق وسخافات الفلاة والاسماعيلية ، كما يبدو ذلك من مؤلفات علماء
ذلك العصر كالقيد والمرتضى ومحمد بن الفتح الكراجلي والطوسي وغيرهم
من عاصروا أزمة الصراع العقائدي والنزاعات الفلسفية التي برزت في اتجاهات
المعتزلة وبعض طوائف الاسماعيلية الذين بحثوا الدين على أساسها واتجهوا إلى
التوفيق بينه وبين تلك المذاهب ، واتخذ هذا التفكير طابع الجدلية عند
أكثر العلماء إذا استثنينا القسم الأكبر من فقهاء السنة ومحدثيهم الذين أصروا
على موقفهم المتصلب البالغ حد الغلو في الجود على الحديث والاشاعة بقيادة
أبي الحسن الأشعري ، هذه الأصول الأربعمئة كانت من أوثق الكتب التي
الفها أصحاب الأئمة عليهم السلام وإذا لاحظنا تصلب القميين والأشعريين
والكوفيين في الحديث ودراستهم له متناً وسنداً ورقابته على الرواة إلى حد
أنهم كانوا يرفضون الرواية لمجرد التهمة بالانحراف عن مخطط الإمامية ، كما حدث
لمحمد بن أحمد بن عيسى القمي الذي أخرج من مدينة قم جماعة لمجرد
اتهامهم بالغلو .

(١) محمد بن يعقوب الكليني مؤلف الكافي ، ومحمد بن بابويه الصدوق مؤلف من لا يحضره
الفقيه ، ومحمد بن الحسن الطوسي مؤلف التهذيب والاستبصار .

وجاء في بعض المرويات أن المعتدلين من الشيعة كانوا يسمون الواقفية وغيرهم من الفرق بالكلاب المطورة ، وبلاشك فإن لهذا التصلب آثاره الحميدة لأن الكذب في الحديث كان قد فشا وانتشر إلى أبعد الحدود من الفرق والقصاصين وحتى من بعض المنحرفين في تشيعهم بالإضافة إلى العناصر المعادية لأهل البيت التي كانت تضع أحاديث الغلو والمثالب لإيجاد فجوة بين أمة الشيعة وجاهير المسلمين عن طريق تلك الأحاديث التي تسيء إلى سمعتهم ، لذلك فقد وقف شيوخ الشيعة هذا الموقف المتصلب وبذلوا أقصى ما لديهم من جهود للحد من ذلك النشاط المسموم الذي أحدث ثغرات في الحديث لا تزال نعاني من آثارها حتى اليوم ، ولم يكتف المخلصون بتلك المواقف ضد المنحرفين عن التشيع وطرح مروياتهم ، بل تطوع فريق منهم إلى التأليف في أحوال الرواة ووضعوا أصول علم الرجال والحديث ليكون الباحث على بينة فيما يعود إلى الراوي والرواية ، فألف علي بن الحسن بن علي بن نضال ، وكان مرجعاً في أحوال الرواة ومن الموثوقين في الجرح والتعديل كما ألف في الموضوع نفسه كل من الفضل بن شاذان ، ومحمد بن أحمد بن داود شيخ القميين في عصره ، ومحمد بن الحسن المعاري ، ونصر بن الصباح المكنى بابي القاسم البلخي ، ومحمد بن خالد البرقي ، ومحمد بن مسعود السمرقندي المعروف بالعيشي وغير هؤلاء ، كما نص أصحاب الفهارس كالنجاشي والفهرست للطوسي ومنتهى المقال للمرزا محمد وغيرهم ، وقد أكد هذه الحقيقة الشيخ الطوسي في كتابه (العدة) .

وجاء فيها ان الطائفة ميزت الرجال الناقلين لهذه الاخبار ووثقوا الثقات منهم وضعفوا الضعفاء ، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته وبين من لا يعتمد عليه ، وصنفوا المدوحين والمذمومين ، فقالوا : فلان متهم في حديثه وقلان كذاب أو مخالف في المذهب ، ونحو ذلك من الطعون التي تضع حداً بين من يجوز الاعتماد عليه ومن لا يجوز ، وتوالت بعد ذلك المؤلفات في علمي

الرجال والدراية بشكل أوسع تناولت أصناف الحديث من حيث ارساله وتقطيعه وتعليقه ونحو ذلك مما سيأتي بيانه خلال هذا الفصل ، وأصبح من الميسور لكل من يريد أن يتحرى الأحاديث الصحيحة ويميز بينها وبين غيرها ان ينتهي لذلك ، مع العلم بأن ضعف الحديث لايعني سقوطه وعدم الاعتداد به في جميع الأحوال ، ذلك لأن ضعفه من حيث عدم توفر الشروط المطلوبة في رواته لا يمنع من كونه محاطاً ببعض القرائن الخارجية^(١) أو الداخلية التي ترجع صدوره عن النبي ﷺ أو أحد الأئمة لجواز ان يصدق الكاذب أحياناً كثيرة ، وليس من الحق إذا كذب للراوى أحياناً ، أو كان مجهول الحال ، أو كان متصفاً بما أوجب عدم الوثوق به ان تسقط جميع مروياته مهما كان حالها ما دام احتمال صدقه في مروياته أحياناً كثيرة قائماً ، فلا بد من التحري والبحث عن حديثه ودراسته دراسة موضوعية حتى إذا تبين انه لا مانع منه ولم تظهر عليه امارات الكذب بأن كان مدعوماً ببعض الشواهد يتعين العمل به ويصبح كغيره من المرويات الصحيحة .

وكا الف علماء الشيعة في الحديث وأحوال الرواة الف علماء السنة أيضاً بعد أن كان التدوين محظوراً عندهم ، وفي ذلك يقول الحافظ الذهبي في حوادث ١٤٣ : وفي هذا العصر شرع العلماء في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، فصنف ابن جريج مؤلفاته في مكة ، كا الف أبي عروب وحماد بن سلمة وغيرهم^(٢) وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي بالكوفة ، كا صنف مالك موطأه بالمدينة ، والاوزاعي في بلاد الشام ، وسفيان الثوري كتابه الجامع ، وصنف عبد الله

(١) المراد من القرائن الخارجية هو أن يكون مدوناً في أحد الكتب التي أقرها الإمام عليه السلام ورخص بالرجوع إليها أو اثني على مؤلفيها ، أو كونه في أحد الأصول الأربعمائة ، أو رواه من لا يروي إلا عن الثقات ، والمراد بالقرائن الداخلية ، أن يكون موافقاً للكتاب أو للعقل أو لغيرها من الأدلة التي يجوز الاعتماد عليها .

(٢) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز ، وابن أبي عروبة هو سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٠ ، وحماد بن سلمة كانت وفاته سنة ١٦٧ .

ابن المبارك وهشيم بن بشر وغير هؤلاء في مختلف المناطق غير أن التأليف في هذه المرحلة كان ممزوجاً بأقوال الصحابة والتابعين كما يبدو ذلك في موطأ الامام مالك ، وجاءت الطبقة الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، فأفردت حديث رسول الله ﷺ عن أقوال الصحابة ، وأثبتوا في الحديث السند الذي يوصله إلى الرسول أو الصحابي ، وأصبحت مؤلفاتهم تعرف بالمسانيد لهذه الغاية .

وجاءت بعد هذه الطبقة طبقة أخرى رأت أمامها ثروة غنية بالكنوز غير أن الصحيح فيها قد ضاع بين المكذوب ، وكان الكذب في الحديث قد بلغ حده الأقصى في جميع المواضيع ، وتعددت المذاهب والاتجاهات،ومارس الحكام أساليب التضليل واستغلال الدين لتبرير تصرفاتهم، وانتشر القصاصون في المساجد والمجتمعات في جميع العواصم والمدن الاسلامية ، فالتجھوا إلى اختيار الصحيح وأفراده عن غيره، وكان في طليعتهم شيخا المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ فالصحيحين بعد أن دققا في سند الروايات، فاختار محمد بن اسماعيل صحيحه من ستمائة ألف رواية كما يدعون ، واختار الثاني صحيحه من نحو من هذا العدد ، وأصبحا من أجل المراجع وأقدسها عند جميع أهل السنة بعد كتاب الله على حد تعبیرهم ، وحذا حذوهما أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ وأبو عيسى محمد بن عيسى السلمي المعروف بالترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ ، وأبو عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ ، وأبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ، واشتهرت هذه الكتب الستة بالصحيح ونالت شهرة واسعة لم ينلها كتاب من كتب الحديث قبلها ، وبعدها ، ولكن جامع البخاري المعروف بالصحيح يأتي في الدرجة الأولى بين هذه الصحاح ، وقد غالى به أهل السنة غلواً مفرطاً حتى جعلوه ثاني كتاب الله، واضاف إلى ذلك المقدسي

بأن من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة إلى كثير من أمثال هذه المقالات ولو أراد الباحث أن يطبق اصول علم الدراية على صحيح البخاري ومسلم ويستقصي أحوال روايتها لم يجد مبرراً لهذا الغلو ولا وجهاً لوصفها بالصحة لأن الاسانيد الضعيفة فيهما حسب الأصول التي وضعوها لأحوال الرجال أكثر من الاسانيد الموثوقة .

وروياء عن المشبهين والمتهمين بالكذب والمجهولين والخوارج والنواصب وغير ذلك من الأصناف الذين يجب التثبت في أحاديثهم والوقوف عندها طويلاً للتأكد من صدورها ، وقد أعطينا أمثلة في كتابنا دراسات بين الكافي والبخاري من المتهمين والوضاعين بين رجال البخاري وتحدثنا عنه طويلاً في الفصل الذي تحدثنا فيه عن البخاري ومروياته ، والذي لا يمكن التنكر له هو أن البخاري وغيره من أصحاب الصحاح قد خططوا لكتبهم ووضعوا كل حديث في المحل المناسب له ووزعوها على الأبواب التي تناسبها وتحروا جهدهم في الاختيار والتنسيق فكانت كتبهم حديثاً جديداً في تاريخ التأليف من حيث التنسيق والتبويب والاختيار واستيعاب أكثر المواضيع الإسلامية مما سهل على الطبقة الرابعة أن ترجع إلى مصدر واحد في الموضوع الذي تريده بدلاً عن عشرات الكتب التي كانت تجمع الأحاديث المتنوعة وكأنها من موضوع واحد ، لذلك كانت الكتب الستة ومن بينها صحيح البخاري ناسخة تقريباً لجميع الكتب ومصدراً لكل مشرع ومحدث ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات أن تختلف الأنظار في تقييم هذا النوع من المؤلفات وأن يكون بينهم المغالي والمسرف في غلوه لاعتبارات حزبية أو شخصية ، والمعتدل في نظره وتقييمه كما هو الحال في كل ما يستهوي الإنسان من أشياء هذه الدنيا ، غير أن أهل السنة قد وقفوا صفاً واحداً من هذه الصحاح وبخاصة صحيح البخاري ولم أجد بينهم المعتدل في تقييمها كما يبدو ذلك المتتبع في آرائهم حولها وعندما نستعرض آراء الجعفرين في الكتب الأربعة التي اشتهرت بينهم نجد

المعتدل في نظرتة إليها بجانب المغالي بها والناقد لرواياتها ورواياتها بجانب من يقول وناهيك ممن روى عنه الكليني ، ولكن الغلاة في الكتب الأربعة وفي الكافي من بينها بصورة خاصة . على أنهم قلة بالنسبة للمعتدلين في تقييمها لم يبلغوا في غلوم غلو أكثر أهل السنة في صحيحي البخاري ومسلم .

وبلا شك أن الكليني قد بذل جهوداً يشكر عليها ويستحق التقدير والتعظيم ، ذلك لأن المميزات التي اشتمل عليها كتابه لم تتوفر في غيره من المؤلفات التي تقدمت عليه ولأنه جمع الأصول والفروع والأخلاق والآداب وجميع أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات ، ووضع الأحاديث التي تتناسب مع كل فصل بل وكل مسألة في المحل المناسب لها ، ولذا فإن المحققين من اعلام الامامية المقاربين لعصره كالمفيد والمرقضى والكراچي وغيرهم مع أنهم أبدوا حوله بعض الملاحظات وأخذوا عليه الاعتماد على بعض الروايات ، لم يتنكروا لحسناته ، فقالوا بأنه لم يصنف مثله وأنه من أجل الكتب وأكثرها فائدة على حد تعبير المفيد رحمه الله وإذا أردنا أن نستعرض الأسباب التي جعلت للكافي هذه المكانة عند القدامى من العلماء والمحدثين بل وحقى عند الاخباريين الذين هم أشبه بمحشوية العامة فلا بد وأن نضع في حسابنا شخصية الكليني وتلك الثقة التي كان يتمتع بها ، وشخصية المؤلف قد تطفئ أحياناً وتضيف الى قيمة الكتاب قيمة أعلى وأرفع من قيمته الواقعية ، والناس في كل عصورهم يؤخذون بشخصية المؤلف من حيث لا يشعرون ، وفي التاريخ عشرات الشواهد على هذه الظاهرة وحسبنا أني قد وفيت المقام حق في كتابي دراسات بين الكافي والبخاري ومهما كان الحال فإن تلك الهالة التي كانت للکافي ظلت تسيطر على عقول الكثيرين ومداركهم خلال قرنين من الزمن إلى أن جاء دور العلامة الحلي واستأذه احمد بن طاوس وسلطا الأضواء على جميع الروايات والمؤلفات في الحديث في غير استثناء وذلك بواسطة التصنيف الرابعي الذي كان من أعظم الأحداث خطراً على الحديث كما يزعم

الاخباريون لأنه يعرض أكثر من نصف الأحاديث الموجودة في المجاميع بما في ذلك الكافي إلى السقوط أو التشكيك بها على أقل التقادير ، ومن ذلك التاريخ بدأت نظرتهم إلى الحديث تختلف أشد الاختلاف عما كانت عليه قبل العلامة الحلي رحمه الله ، فلقد كان أمر الحديث يدور بين الصحيح وغيره ، والصحيح عندهم يتسع حق للضعيف إذا كان مدعوماً ببعض القرائن ، أو كان موافقاً للكتاب أو لدليل مقبول ، كما يتسع غير الصحيح للضعيف المجرد عن القرائن ، وللصحيح المخالف للكتاب أو لاصل معتبر ، والواقع أن العلماء والباحثين وجدوا بسبب هذا التقسيم منفساً للخروج من تلك الحالة التي كانت للكتب الأربعة بعد أن عرضوا مروياتها على الأصناف الأربعة ، وقد أحصى المجلسي في كتابه مرآة العقول أكثر من ثلثي مرويات الكافي مع النوع الذي لا يجوز الاعتماد عليه إذا لم يكن مدعوماً ببعض القرائن التي ترجح صدوره عن الأئمة (ع) بعد التحقيق الذي أجراه في أسانيدها ، مع العلم أن الكافي من أوثق الكتب الأربعة ، وكما ذكرنا أن الطبقة الأولى التي بدأت تدقق في مرويات الكتب الأربعة قد تعرضت لهجمات عنيفة واتهامات لا مبرر لها من أولئك الذين أفرطوا في ولائهم لهذه الكتب وأخذوا بمحتوياتها في غير تحقيق في متونها ولا تدقيق في أسانيدها كما فعل شيوخ السنة بالنسبة لصحيح البخاري ومسلم وبقية الصحاح ، ومؤلاء وإن كانوا يشكلون عدداً ضخماً خلال قرنين متتاليين من الزمن إلا أنهم لا يعكسون رأي الشيعة ، ذلك لأن المحققين من علماء الطائفة مع تقديرهم لجهود الكليني قد اقتصدوا في تقريره والثناء عليه ، ولم يدعوا أن كل ما جاء في مؤلفاته من النوع الذي لا يخضع للنقد والتجريح ووقفوا في وجه الاخباريين الذين جعلوه فوق الشبهات كما صنع حشوية العامة في احاديث سلفهم حتى ولو خالفت أصول الاسلام .

ومهما كان الحال فتصنيف الحديث إلى الأصناف الأربعة كان نتيجة حتمية

لدراسة الحديث متناً وسنداً، ونعني بمتن الرواية الصيغة الحاكية للمعنى المراد منها ، والصيغة مرة تكون نصاً في المعنى بنحو لا يقبل المراجعة ، وأخرى تكون صالحة لأكثر من معنى واحد ، كما لو احتملنا لها معنيين، فإن تساوت دلالتها عليهما بمعنى أن احتمال ارادة احدهما كان مساوياً لاحتمال ارادة الآخر يكون الحديث من نوع المجمل، وإن كان ظهورها في أحدهما أقوى وأتم من ظهورها في الآخر، فإن افترنت الصيغة بدليل يؤكد ارادة المرجوح منها، فالحديث من نوع المؤول حسب اصطلاح علماء الدراية ، وإن تجردت الصيغة عن ذلك تكون من نوع الظاهر بالنسبة لأحد المعنيين، ثم إن ظهورها في أحد المعنيين مرة يكون شرعياً كما في ظهور لفظي الصلاة والصيام في المعنى الشرعي وهو الكيفية الخاصة التي أرادها الشارع منهما وأخرى يكون عرفياً ، وثالثة يكون من حيث كثرة استعمال اللفظ في المعنى بنحو يحصل من كثرة الاستعمال آنس بين اللفظ والمعنى على حد تعبير أهل المعاني والبيان ، ومن أنواع الظاهر المطلق والعام ، ونعني بالمطلق أن يكون اللفظ دالاً على الماهية التي تتحقق في ضمن الواحد والأكثر، والعام هو الظاهر في أكثر من معنيين من غير تحديد بعدد خاص، فإن دلالة العام على جميع الأفراد التي يصدق عليها عنوان للعام ليست بنحو يمتنع ارادة بعضها من لفظه ، هذا كله من ناحية دلالة الألفاظ والصيغ على معانيها ، أما ناحية الاستعمال فاللفظ المستعمل في المعنى مرة يكون مستعملاً في المعنى الجزئي ومرة يكون مستعملاً في الكلي أي في القدر الجامع بين المعاني المتعددة وعلى التقديرين مرة يكون بنحو الحقيقة وأخرى بنحو المجاز وثالثة في المعنى المنقول إليه اللفظ، ورابعة في المطلق أو المقيد أو العام ، أو الخاص أو المبين ونحو ذلك من الاستعمالات التي قد تحدث في مقام التخاطب والتي قد تستعمل فيها متون الأحاديث . وفي الوقت ذاته لا يصح الأخذ بالحديث وتطبيق مضمونه إلا بعد الاطمئنان لجهة استعماله بعد أن تتوفر فيه الشروط من ناحية سنده .

والمراد بالسند الذي يعني الباحثين في علم الدراية هو عبارة عن مجموع الرواة الذين تناقلوا الحديث واحداً عن واحد حتى ينتهي الى النبي أو الامام (ع) ويسمى سنداً من حيث أن كل واحد يسند الحديث الى الآخر .

كما وأن الأوصاف التي توصف بها الرواية تتفرع على مراتب السند وتختلف باختلافه .

ولا فرق في هذه الجهة بين السنة التي هي عبارة عن الكلام الصادر عن النبي أو الامام وبين فعل النبي أو تقريره ، وان كان لكل من الفعل والقول والتقرير جهات تخصه ، فالسنة الفعلية إذا وقعت بياناً لتكليف من التكليف تكون تابعة لذلك التكليف من حيث الوجوب وغيره من الأحكام الخمسة ، وان وقع الفعل من النبي أو الامام ابتداءً بنحو لم يكن مسبوقاً بسؤال ولا بقرائن تدل على أنه لبيان حكم من الاحكام الشرعية ، فقد قوى الشيخ عبد الصمد في درايته عدم كونه دليلاً شرعياً ، واستطرد يقول : ان فعلهم المجرد عن السؤال والقرائن الدالة على جهة صدوره ان كان في الاشياء العرفية التي لا تتصل بالتشريع لا يستفاد منه اكثر من الإباحة المطلقة ، وان كان في العبادات يكون دليلاً على الرجحان بضميمة أن المعصوم لا يفعل المرجوح الراجح إلا لمصلحة تقتضي ذلك .

وأما السنة التقريرية التي هي عبارة عن سكوت النبي أو الامام (ع) من عمل يقوم به انسان برأى منهم ومسمع هذا السكوت يعتبر منهم اقراراً لذلك العمل ودليلاً على جوازه ورجحانه بنحو الوجوب أو الاستحباب ، والا يكون سكوتها مع عدم المانع عن اظهار الحق اذا لم يكن الفعل مشروعاً اقراراً للنكر والباطل ، وكما ذكرنا تثبت السنة الفعلية والتقريرية بالخبر الحاكي لهما وتجري فيه جميع الاقسام والاحتمالات التي تجري في الخبر الحاكي لاقوال المعصوم وتصريحاته كما ذكرنا .

ثم ان الخبر باعتباره كاشفاً عن قول المعصوم أو فعله أو تقريره مرة يكون مقطوع الصدق كخبر الله سبحانه وخبر الانبياء والاولياء ، وأخرى يكون مقطوع الكذب كخبر مسيلة بأنه يتلقى الوحي من الله سبحانه ، وكما لو أخبر انسان بخلاف الواقع أو بخلاف المحسوسات ونحو ذلك من الاخبار الكاذبة ، ومرة ثالثة يكون مظنون الصدق أو الكذب كخبر العادل والفاسق ومرة رابعة يكون مشكوكا أي أن احتمال صدقه مساو لاحتمال كذبه كما لو كان الخبر مجهول الحال ، أو كان معلوم الحال من حيث العدالة وعدمها ، ولكنه كان محاطا من ناحيتي صدقه وكذبه ببعض القرائن المتعادلة كما يتفق ذلك أحيانا .

وينقسم الحديث من حيث رواته الى متواتر وآحاد ، والحديث المتواتر مرة يكون متواتراً في لفظه ومعناه ، وأخرى يكون متواتراً في معناه لا غير ، والاول هو الذي يرويه جماعة يحصل العلم بصدقهم ولا بد من حصول العلم في جميع الطبقات فيما لو كانت المسافة بين الرواة والمعصوم بعيدة وتعددت الوسائط كما لو رواه التابعي عن الطبقة الاولى من التابعين عن الصحابي عن النبي ﷺ فان هذا النوع من المرويات لا يوصف بالتواتر إلا إذا رواه جماعة من تابعي التابعين يحصل العلم بصدقهم عن جماعة من التابعين يحصل العلم بصدقهم أيضاً وعن جماعة من الصحابة يحصل العلم من روايتهم وعن جماعة رَوَوْه عن النبي ﷺ ولا يشترط في الجميع العدالة ، ولا غيرها من الشروط التي لا بد منها في اخبار الآحاد ، ولا بد مع ذلك من العلم بأن المخبرين لم يتواطؤوا على الكذب ، وان لا يكون السامع عالماً بمضمون الخبر من طريق آخر كالحس ونحوه لأنه اذا كان عالماً بمضمونه من أي طريق يفقد الخبر فائدته ، ولا بد من أن يكون ذهن السامع خالياً من كل شبهة تخالف مضمونه ، وان لا يكون معتقداً لخلافه تقليداً واجتهاداً أو من سبب آخر ، ويشترط فيه أيضاً أن تستند جميع الوسائط في اخبارها الى الحس ، بأن

تسمع الطبقة الاولى من النبي ﷺ وتسمع الثانية منها وهكذا الى ان ينتهي الى الطبقة الاخيرة ، فلو استندوا الى دليل عقلي أو نص قرآني لا يكون الخبر من نوع التواتر ، ومع ذلك لا يشارط في حصول التواتر عددا معيناً وكل ما في الامر أن يبلغ رواته من الكثرة حداً يعتنق فيه افتراض تواترهم على الكذب ويحصل العلم من اخبارهم مهما كان عددهم أما تحديد الخبرين بعدد خاص ، أربعة عشر أو عشرين أو سبعين وغير ذلك مما جاء في مؤلفات أهل السنة ، هذه التقديرات لا أساس لها عند الشيعة .

ويرى أكثر المحدثين أن التواتر اللفظي بهذا المعنى من النوادر بين المرويات الشيعية بل لا توجد بينها سوى بضعة أحاديث من هذا النوع .

ويدعي جماعة من محدثي السنة أن هذا النوع من التواتر ميسور بين مروياتهم عن النبي ﷺ وعدوا منه حديث من كذب علي متعمداً ، وحديث انشقاق القمر ، واحاديث الترغيب في بناء المساجد والشفاعة وغير ذلك مما أورده صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته .

وأما التواتر المعنوي الذي يحصل من رواية جمع للحديث بألفاظ مختلفة مع الاتفاق على المعنى بنحو يحصل العلم بالمعنى المراد من اخبارهم ، هذا النوع من التواتر المعروف بالتواتر المعنوي لا يبعد أن يكون كثيراً بين المرويات الشيعية في الفروع والاصول كما يبدو ذلك للمتبع في مجاميع الحديث عند الفريقين (١) .

وكما يوصف الحديث بالتواتر يوصف بالشهرة والاستفاضة ، والمراد من المشهور أن يشتهر الحديث بين الرواة ولو في بعض الطبقات ، كما لو رواه

(١) انظر مقياس الهداية للمحققاني ، والوجيزة للشيخ عبد الصمد الحارثي ، والعدة للشيخ الطومري .

واحد عن النبي أو الامام (ع) ورواه عن الواحد جماعة ، فيوصف في مثل ذلك بالشهرة حتى ولو رواه واحد عن واحد هكذا وبالتالي رواه عن الواحد جماعة ، وقد مثلوا له بمحدث الأعمال بالنيات ، حيث رواه عن النبي واحد لا غير ، ورواه عن ذلك الشخص جماعة ، فاستحق بذلك الوصف بالشهرة.

اما الاستفاضة فلا يوصف بها الحديث إلا إذا رواه أكثر من ثلاثة في جميع مراحل حتى ينتهي إلى الراوي الأخير ، وهو في هذه الناحية يلتقي مع المتواتر غير أن الكثرة في التواتر تحدها الأدنى أن يحصل منها العلم، والمستفيض لا يشترط به ذلك .

وكما يوصف بهذه الاوصاف يوصف بالغرابة أيضاً اذا اشتمل على بعض الالفاظ الغامضة التي يصعب فهمها ويقل استعمالها في مقام التخاطب ، ويوصف بالندرة أيضاً إذا رواه اثنان أو أكثر عن مصدره ، وسبب تسميته بذلك هو ندرة هذا النوع من الروايات عن النبي والأئمة (ع) أو لأنه يصبح قوياً ومعنياً به فيما لو رواه الاثنان أو الاكثر في جميع مراحل (١) .

ومها كان الحال فالتقسيم الاولي للحديث في عرف المؤلفين هو المتواتر والاحاد والنسوع الاول لم يتردد أحد في وجوب اخذ به والتعبد بمقتضاه للم بصدوره عن المعصوم ، ومن هذه الناحية يصبح مقطوع الصدور من حيث سنده ، أما من حيث دلالة فهو كغيره من الادلة التي تختلف في مقدار دلالتها وقوة ظهورها، فالحديث المتواتر لا يمتاز عن غيره إلا من ناحية القطع بصدوره ، فان كان نصاً في معناه يجب اتباعه وإن كان ظاهراً يكون كغيره من الظواهر لا يجب التقيد بمضمونه إلا بناء على أن ظواهر الكلام والخطابات القرآنية وغيرها يجب التقيد بها والعمل بمقتضاها .

(١) كما نص على ذلك المؤلفون في دراية الحديث .

وأما الأحاد فهو الذي لا يبلغ رواقه من الكثرة حدّاً يحصل منه العلم بصدوره عن المعصوم سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر، ولذا فقد عد المؤلفون في دراية الحديث المشهور والمستفيض والعزیز من نوع الأحاد وانتهوا إلى النتيجة التالية ، وهي أن كل حديث يحصل العلم بصدوره عن مصدره الأول نبياً كان أو إماماً يتعين الأخذ به والعمل بمقتضاه إذا كان نصاً لا يحتمل الخلاف في معناه ، أو كان ظاهراً في المعنى ظهوراً يوفر للباحث مرحلة من مراحل العلم الذي يعتد به في مقام التفاهم والتخاطب ، وإذا لم تتوفر في الحديث هذه النواحي فمع العلم بكذب الراوي ولو في القرائن الخارجية يسقط الحديث عن الاعتبار ، إذ لا يمكن والحالة هذه ان يتعبدنا الشارع بما يتناقض مع العلم ومع الظن بصدوره كما لو كان الراوي له واحداً أو أكثر وكان عدلاً إمامياً، أو إمامياً مجهول الحال ، أو مستقيماً في دينه وسيرته ولو لم يكن إمامياً يصح من الشارع أن يرخص في العمل به ، ومهما كان الحال فالأحاد الذي يشمل المشهور والمستفيض والعزیز لم يعتن المؤلفون والمحدثون قبل القرن السابع الهجري بدراسة أسانيده دراسة موضوعية وتصنيفه إلى الأصناف الأربعة كما فعل العلامة الحلي جمال الدين واستأذنه أحد ابن موسى بن طاووس^(١) حيث انهما صنفا الحديث إلى الأصناف الأربعة ودرساه على أساسه وبعدهما مضى العلماء والمحدثون على هذا التخطيط ، بينما ظل الحديث أكثر من أربعة قرون ينقسم إلى مقبول ومردود ، فالمقبول هو الذي يرويه العدل الإمامي في جميع مراحل السند ، ومثله حديث غير العدل إذا كان مقترناً بإحدى القرائن التي ترجح صدوره ، والمردود هو الذي لم تتوفر فيه هذه الشروط .

وبجمل القول: إن الصحيح حسب التصنيف الأخير ، هو الذي يرويه العدل الإمامي أو العدلان في جميع مراتب السند إلى أن ينتهي إلى النبي أو الإمام

(١) المتوفى سنة ٦٧٣ ، والعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ .

(ع) ، وأضاف الى ذلك الشيخ عبد الصمد في وجيزته : على شرط أن لا يكون شاذاً أو معللاً ، واكد ان هذين القيدين لم يتبناهما أكثر محدثي الشيعة ، في حين أن محدثي السنة قد نظروا إليهما بعين الاعتبار ، ورجح اخيراً عدم التنافي بين صحة الحديث وشذوذه ، ومضى مع الرأي القائل : بأن الحديث الصحيح يجب أن لا يكون معللاً ، وفسر المعلل بالحديث المشتغل على سبب غامض موجب لضعف الحديث في سنده أو متنه بنحو لا يتفطن له إلا الماهر في علم الحديث ، وأضاف إلى ذلك : ان العلة في متن الحديث ترجع إلى ضعف تركيبه ، أو مخالفته لقواعد العربية ، أو لدليل قاطع ، ونحو ذلك ، والعلة في السند ترجع إلى اشتراك الراوي بين الثقة وغيره ، أو لأن الراوي له رواء عن لم يجتمع به أو لم يعاصره ، أو لأن الحديث نفسه قد رواه غيره بسند آخر يخالف للسند الأول مع اقترانه ببعض القرائن التي تشعر بعيب في السند ونحو ذلك . واستطرد يقول : وقد تطلق العلة على غير ما ذكرنا ككذب الراوي وغفلته وقطع الحديث وإرساله وغير ذلك مما يوجب ضعفه .

وقد عد المؤلفون في الحديث من أهل السنة المعلل من نوع الضعيف كالرسل والمنكر والمقطوع .

وجاء في الباعث الحثيث . ان الحديث المعلل هو الذي يطلع الفاحص على علة فيه تقدر في صحته في حين أن ظاهره السلامة .

ويختلف الصحيح في قوته حسب اختلاف اسناده واقترانه ببعض القرائن المؤكدة له ، وأضاف الى ذلك للعارفي في وجيزته : ان الاصحاب قد يقبلون غير الصحيح اذا اقترن بما يرجح صدوره ، ويردون الصحيح وغيره اذا خالف الكتاب أو السنة المقطوع بصدورها ، او اجماع محقق ، لامتناع ترجيح الظن على العلم ، وفرع على ذلك أن ما يرويه غير الامامية وان لم تتوفر فيه جميع شروط الصحة إلا ان الامامية لا يحكون بكذبه ويعتمدون عليه احياناً

لاقتراان بعضها ببعض القرائن ، ولذا لم يزل علماءنا المتقدمون والمتأخرون يتداولون نقل صحاحهم ورواياتهم وقد صار ذلك متعارفا بينهم ، وانما نقلها اصحابنا لغاية العمل بها وترتيب الآثار عليها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالسنة والآداب والأخلاق .

ومضى يقول : ان جواز العمل بتلك المرويات التي لم يقم دليل على كذبها وصدقها من الجائز ان يكون لقول النبي : من بلغه ثواب على عمل فعمله اعطاه الله ذلك وان لم يكن الامر على ما بلغه ، او لبعض الشواهد والاعتبارات .

وقد ألحق علماء الدراية بالصحيح ما لو حذف الراوي من السند واحدا أو اكثر من اوله او من وسطه اذا رواه بصيغة تشعر بجزمه وعدم تردده في نسبة الحديث الى من اضافته اليه ، كما لو عبر بصيغة قال او فعل ونحو ذلك من الصيغ التي تعبر عن جزمه وعدم تردده ، وان كان التعبير بغير تلك الالفاظ ، كما لو قال روي عن فلان ، او حكى عن فلان فلا يكون من الصحيح ، لان الراوي في مثل ذلك ليس يجازم في نسبة الحديث الى من رواه عنه (١) .

وفرع على ذلك الشيخ عبد الصمد في وجيزته ان الشيخ الطوسي في تهذيبه روى احاديث كثيرة ، أسند كثيرا منها لاصحاب الائمة (ع) فما كان منها مذكورا سنده ولو بحسب الضوابط التي ذكرنا فهو من نوع المتصل وما لم يكن داخلا في تلك الضوابط ، فان رواه بصيغة الجزم فهو محكوم بصحته ويعطى حكم المتصل ، وما لم يكن كذلك فلا يكون من نوع الصحيح .

(١) ولعل السر في عدم الاكتفاء به في مثل ذلك هو عدم تحقق الشهادة اذا رواه بمثل هذه الصيغ عند من يقول : ان الرواية هي في واقعها شهادة بصدور الرواية ويكفي في هذا النوع من الشهادة شهادة الواحد .

الثاني من أصناف الحديث الحسن ، وهو الذي يرويه الإمامي المدح مدحاً يقربه من التعديل على شرط أن لا يكون معروفاً بالفسق أو العدالة ، وأن يكون صحيح العقيدة ، وبذلك يكون وسطاً بين الصحيح والضعيف ، ويشترك مع الصحيح في صحة العقيدة وحسن السيرة ، كما يشترك مع الضعيف في ان احتمال الكذب فيه أقوى من احتماله في الصحيح ، وهذا النوع من الأحاديث لا يأخذ به الشيعة إلا إذا اقترن بما يرجح صدوره عن المعصوم ، ذلك لأن الأدلة التي تدل على وجوب التعبد والتدين بمضمون الروايات لا يستفاد منها أكثر من اخبار العدول في جميع مراتب السند كما سيأتي ذلك في الفصول التالية .

الثالث من أنواع الحديث الموثق ، وهو الذي يرويه الموثوق في دينه والمعروف بالاستقامة وحسن السيرة من المتحرفين عن التشيع ، سواء كان من أهل السنة الموثقين أو من الفرق التي انحرفت عن التشيع كالواقفية والفطحية ونحوهما ، وقد ادخل أهل السنة الحديث الذي يرويه غيرهم من الموثقين في قسم الصحيح على شرط أن يكون الرواة له من غير الشيعة مهما كانت عقيدتهم ، حتى ولو كانوا من الخوارج ، لأن الشيعة على حد زعمهم كذابون وضاعون كما يذهب لذلك أكثر المؤلفين في أحوال الرجال .

الرابع من أصناف الحديث الضعيف ، وهو الذي لم تتوفر فيه شروط الأصناف الثلاثة السابقة ، ويوصف الحديث بالضعف بمجرد أن يكون بين رواة متهم بما يوجب الفسق أو الشذوذ في معتقده عن مخطط الإمامية حتى ولو كان الباقي من رواة في منتهى الاستقامة .

وجاء في الوجيزة للشيخ عبد الصمد : ان الحديث الواحد قد يروى بطريقتين حسنتين ، أو موثقين ، أو ضعيفين ، أو يكون أحدهما حسناً والآخر ضعيفاً ، ومع ذلك لا يخرج بذلك عن صفه إلى صنف آخر ، وكل ما في الأمر

انه يصبح بذلك أقوى من الضعيف المروي بطريق واحد كما لا يرتفع الحسن إلى مرتبة الصحيح فيما لو روي بطريقين أو ثلاثة ، ما لم يقترن أحد طرقه ببعض الشواهد التي ترفع من شأنه وترجح جانب صدوره على جانب عدمه رجحانا تطمئن إليه النفس ، أو روي الحديث الحسن بخمسة طرق كلها حسب أصول علم الدراية من نوع الحسن ، ففي مثل ذلك لا يبعد اطمئنان النفس إلى جهة صدوره اطمئنانا يركن إليه العقلاء في أمورهم وسائر أحوالهم ومن ذلك ما رواه علي بن ابراهيم المعروف بصلاية العقيدة والاستقامة عن أبيه الذي مدحه المؤلفون في الرجال ولم يصفوه بالوثاقة ، فأحاديث ولده عنه ينبغي ان تكون من نوع الضعيف ، ولكن والده لما كان في منتهى الاستقامة وفوق الشبهات عند جميع المحدثين ، فقد أعطوا مروياته عنه صفة الصحيح لأنه لا يروي عن المتهمين والمشبوهين ، هذه الأصناف الأربعة هي أصول الأصناف عند الجعفرين منذ ان وضع نواتها أحمد بن موسى المعروف بابن طاوس وتبناها تلميذه العلامة الحلي ومن تأخر عنهما ، ويتصف الحديث بالإضافة إلى ما ذكرنا بصفات أخرى باعتبار ما يعرض عليه سنداً ومتمناً بعضها يختص بالحديث الضعيف والبعض الآخر تشترك فيه الأصناف الأربعة ، كالمقبول والمسند والمصنف ، فإن هذه الأوصاف يمكن ان تلحق الأصناف الأربعة ، فالمقبول وهو الحديث الذي تلقاه العلماء بالمقبول ، وانفقوا على العمل به ، إما لصحة سنده وسلامة متنه من العيوب ، أو لأنه من أحد الأنواع الثلاثة المقترنة ببعض الشواهد والمرجحات ، وهكذا بالنسبة الى المعنعن والمسند^(١) ، فإن الأصناف الأربعة صالحة لهذين الوصفين ومن ذلك

(١) المسند هو الذي يتصل سنده بمصدره بنحو يأخذ كل واحد عن الآخر إلى أن ينتهي إلى النبي أو الإمام (ع) والمعنعن هو الذي يروي به الراوي بقوله : روى فلان عن فلان إلى نهاية السند وقد عده أهل السنة من نوع المتصل إذا توافرت فيه الشروط التالية: عدالة الراوي، ولقاؤه لمن روى عنه، والسلامة من التدليس.

المشهور والمستفيض ، ويفترقان عن غيرهما من الاوصاف بأن الحديث الموصوف
بالشهرة والاستفاضة سواء كان ضعيفاً أو حسناً أو غيرهما لا بد وأن يرتفع
شأنه بسبب اتصافه بأحدهما ؛ بمعنى أن الضعيف المشهور ، أو الحسن المشهور
أقرب إلى الاعتبار من الضعيف الفاقد لهذه الصفة .

وقد فرق محدثو السنة بين المسند والمتصل ، فقالوا : ان المسند هو الذي
يتصل بسنده إلى النبي ﷺ ، والمتصل هو الذي يتصل بقائله سواء كان القائل
هو النبي أو الصحابي أو غيرهما .

ويدعي الأستاذ صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته ان
المعنعن كثير في الصحيحين ، وهو في صحيح مسلم اكثر منه في صحيح
البخاري ، لأن مسلماً لا يشترط اللقاء بين الراوي ومن روى عنه ، وأضاف
إلى ذلك ان الرواية في مثل ذلك محمولة على سماع الراوي ممن روى عنه إذا كانا
ثقتين متعاصرين^(١) .

ويرى بعضهم ان كلمة عن إذا وردت في الحديث النبوي وبخاصة في
مرويات الصحابة فهي بمنزلة أخبرنا وحديثنا ونحو ذلك مما يشير إلى السماع
واللقاء بين الراوي والمروي عنه .

وألحق بعضهم الحديث المعنعن بالمرسل من حيث عدم جواز الاحتجاج به
ما لم يكن الراوي صحابياً ، لأن مراسيل الصحابة بمنزلة المسانيد .

ويدعي الشيخ عبد الصمد في وجيزته ان محدثي الشيعة يعتبرون المعنعن
بمنزلة المتصل إذا امكن اللقاء بين الراوي والمروي عنه ، وكان احتمال
التدليس منتفياً كما لو كان الراوي موثقاً به .

(١) انظر ص ٢٣٣ و ٢٣٤ من الكتاب المذكور .

الخامس المسلسل وهو الحديث الذي يتفق رواته على عبارات أو صفات ينقلها كل راوٍ عن فوقه من رجال السند تتعلق بالرواة أو الرواية ، ومن أمثلته ما رواه الحاكم وقال : شبك بيدي أحمد بن الحسين المقرئ قال : شبك بيدي أبو عمر عبد العزيز بن عمر ، قال وشبك بيدي صفوان بن سليم ، وهكذا يمضي الراوي في هذا الأسلوب إلى أن ينتهي إلى مصدر الرواية فيقول شبك بيدي أبو هريرة ، ثم يقول : شبك بيدي رسول الله ﷺ وقال : خلق الله الأرض يوم السبت والجمعة يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردها المؤلفون عن الحديث المسلسل .

ويدعي المؤلفون في علم الحديث أن التسلسل إذا اقتضته الأمانة في النقل كما لو أراد الراوي أن ينقل الحديث كما سمعه ، فلا يمنع ذلك من صحته ، وإذا كان التصرف من الراوي فيؤدي ذلك إلى التشكيك في الرواية .

وقال محدثو الشيعة أن التسلسل بهذا الشكل من نوع السخف الذي ترفع عنه محدثو الشيعة .

ومن الأوصاف التي تلحق الحديث الاضمار ، كما لو قال الصحابي أو أحد أتباع الأئمة (ع) سألتني عن كذا وأخبرني بكذا أو أمرني بكذا من غير أن يذكر الخبر باسمه أو بلفظ يدل عليه صراحة أو تلميحاً ، وهذا النوع قد استعمله رواة الشيعة في موارد التقية والخوف من أعدائهم وهو من الاضمار الموجب لضعف الحديث لأن الضمير بذاته صالح لأن يرجع إلى النبي وللإمام وغيرهما ، وإن كان احتمال إرادة أحدهما أقرب من إرادة غيرهما منه ولو بواسطة القرائن .

ومن أصناف الحديث المجهول وهو المروي عن واحد أو أكثر غير معروف بالوثاقة ، في حين أن المؤلفين في الرجال لم يتعرضوا له بقدر أو مدح ، أو كان

من غير المعروفين بين الرواة ، كما لو قال الراوي حدثني رجل أو حدثني فلان
عن حدثه ونحوه ، ذلك من غير فرق بين ان يكون السند بتمامه مجهولاً
وبين بعضه وسواء أكان من الاول أو الوسط .

ولو قال الراوي سمعت من الثقة ، فإن بنينا على ان شهادة الواحد
تكفي في الموضوعات تصبح الرواية في حكم الصحيح ، وان بنينا على عدم
كفايتها فلا ترفع الجاهالة ويبقى الحديث من أصناف الضعيف .

ورجح محدثو السنة عدم الاكتفاء بذلك بدون تعيين المروي عنه لجواز
اطلاع غيره على بعض العيوب الخفية على الراوي .

ومن أصنافه المرفوع وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو أحد الأئمة (ع)
كقول الصحابي سمعت رسول الله ﷺ وقول أحد الأئمة عليه السلام سمعت الصادق
يقول كذا ، أو رأيتَه يفعل كذا ، أو فعلت بحضرته كذا .

وقد قسموا المرفوع إلى صريح وما هو بحكمه ، فالرفوع للصريح في القول
أو الفعل أو التقرير كالأمثلة التي ذكرناها ، وما هو في حكم المرفوع الصريح
هو عبارة عن إخبارهم بأمور تتعلق بالأحكام ولا يتطرق إليها الاجتهاد
وكالاجابة عن الجنة والنار والقيامة والقبر وبدء الخلق ، ومن قولهم أمرنا
بكذا ونهينا عن كذا ومن فعل كذا فله ثواب كذا إلى غير ذلك مما يقوله
الصحابي أو أحد أصحاب الإمام عليه السلام .

وقال الشيخ عبد الصمد في وجيزته : ان ما له حكم المرفوع من الفعل مثل
ان يفعلوا ما لا مدخل للاجتهاد فيه كالصلاة بالهيئة المخصوصة ، وما له حكم
المرفوع من التقرير كأن يخبر الصحابي أو أحد أصحاب الأئمة انهم كانوا
يفعلون في زمن المعصوم كذا وكذا مما يستبعد أن يكون قد خفي على النبي
أو الامام (ع) .

ومن أقسامه الموقوف وهو الحديث المروي عن الصحابة أو أصحاب الأئمة (ع) قولاً كان أو فعلاً سواء كان متصلًا أو منقطعاً ، ومن ذلك قول الراوي : كنا نفعل كذا وكان أصحاب الأئمة لا يرون بأساً بكذا وامثال ذلك مما يرويه الراوي بسنده المتصل أو المنقطع الى ان يصل الصحابي او المعاصرون للأئمة من اصحابهم .

ومن اقسامه المنقطع ، وهو الذي لا يتصل باسناده إلى النبي أو الامام (ع) كما لو حذف بعض رواته من الأول أو الوسط أو الآخر ، فالحذف من أوله واحد أو أكثر يطلقون عليه المعلق ، وليس من المنقطع ولا من المعلق ما يرويه الشيخ الطوسي في كتابيه التهذيب والاستبصار عن الحسين بن سعيد وغيره ممن بينه وبينهم مسافة طويلة من الزمن ، وكذا ما يرويه الصدوق في الفقيه عن أحد أصحاب الأئمة في حين انه لم يعاصر أحداً منهم ، بل هو من نوع المتصل ، لأن الوسائط بين الشيخ وبين الحسين بن سعيد^(١) الذي روى عن الامام قد أحصاها علماء الرجال والدراية كما احصوا جميع الوسائط بين الرواة عن الأئمة والطبقات المتأخرة ، فهو حينما يروي عن الحسين بن سعيد يرويه عنه بالسند المتصل إليه ويحذف الوسطة بينه وبينه لأجل الاختصار .

وإذا ترك الراوي من وسط السند واحداً أو أكثر فقد سماه المؤلفون في علم الدراية المنقطع بالمعنى الأخص ، ويعنون بذلك قطع آخر السند عن أوله .

والقطع في السند إذا كان خفياً بأن لم يعلم السامع ان الراوي لم يعاصر

(١) الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي كان من الثقات المدوحين هو وأخوه الحسن بن سعيد روى عن الرضا والجواد والإمام علي الهادي ولأخيه الحسن ثلاثون كتاباً كما احصاها المؤلفون في الرجال ، وهو غير الحسين بن أبي سعيد ، بن هاشم ، فانه كان من ثقات الواقفية .

من اسند إليه الحديث يكون هذا الایهام من نوع التدليس^(١) وان ترك الراوي من اخبره واحداً كان المتروك أو اكثر ، وسواء كان الترك عن عمد أو سهو فهو من نوع الارسال إذا حصل العلم بعدم ملاقة الراوي ومعاصرته لمن اسند إليه الحديث .

وقد اختلف الفقهاء والمحدثون في الاحتجاج بهذا النوع من المرويات والاعتماد عليها إذا كان الراوي لها جامعا للشروط المطلوبة في رواية الأحاديث ، ورجح جماعة منهم ان الراوي إذا كان متحرزا من الرواية عن المشبهين والمجروحين كمحمد بن عمير ، أو صفوان بن يحيى ، وأحمد بن أبي نصر البزنطي وغيرهم من المعروفين بالاحتياط لدينهم والوقوف عند الشبهات يصح الأخذ بمراسيلهم والاعتماد عليها كمسانيدهم وقد توقف جماعة حتى في مراسيل هؤلاء لأن القائلين يجوز الأخذ بمروياتهم وان كانوا أكثر من المتوقفين فيها إلا انهم لم يتتبعوا جميع مراسيلهم ولم يفحصوها فحصا جديا يقطع الشك بها ومن الجائز ان يكون اعتمادهم عليها لمجرد حسن الظن بهم أو من نوع الشهادة على وثاقة روايتها وشهادة الواحد لا تكفي إلا بناء على كفايتها في باب التعديل .

ومهما كان الحال فقد عد المحدثون الارسال من عيوب الحديث ، ونص بعضهم على حرمة ، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام انه قال :

« اياكم والكذب المخرع ، قيل له يا بن رسول الله : وما الكذب المخرع؟ قال :

« ان يحدثك الرجل بحديث فتتركه وترويه عن الرجل الذي حدثك عنه بلا واسطة .

ومن أقسامه المعضل وهو الذي يسقط من اسناده اثنان أو ثلاثة أو اكثر من ذلك من أوله أو وسطه أو آخره .

(١) انظر الوجيزة ومقباس الهداية للقمياني.

ومن أقسامه الشاذ والمنكر والنادر ، فالشاذ والنادر هما المخالفان
للمشهور وان كان روايته من الموثقين .

ونص جماعة من المحدثين على ان الشاذ هو المتروك عند الفقهاء والمحدثين
وان كان الراوي له ثقة تطمئن النفس الى حديثه وأقواله ، كما نص فريق
آخر على ان الشاذ هو الذي لم يحدث بمتنه غير الراوي له .

وأما المنكر فهو الذي يختلف متنه عما يرويه الناس ولم تثبت عدالة
روايته ولا وثاقتهم .

ومن أقسامه الغريب ، وهو الذي ينفرد بروايته واحد عن المشهورين
بالوثاقة والعدالة ، كما لو رواه واحد عن ابن أبي عمر ، أو الحسين بن سعيد
ونحوهما ، وبذلك يصبح غريباً لأن أمثال هذه الطبقة قلما ينفرد واحد
بالرواية عنهم وإن رواه اثنان أو ثلاثة يصبح عزيزاً ، فإن زاد على ذلك يسمى
مشهوراً ، ومن افراد الغريب ما لو تفرد الراوي بزيادة في متن الحديث أو
سنده ، ويكون غريباً في متنه وسنده كما لو تفرد بروايته واحد لا غير ، كما
يكون غريباً في سنده لا في متنه إذا رواه واحد وكان متنه معروفاً عند
الكثيرين على شرط أن يكون مصدره واحداً كحديث إنما الأعمال بالنيات
على حد تعبير المؤلفين في دراية الحديث .

ومن أقسامه المضطرب ، وهو الذي يقع الاختلاف في متنه وسنده ، كأن
يروي الراوي مرة عن زرارة وأخرى عن ابن أبي عمير ، وثالثة عن بريد
العجلي ، أو يروي مرة زائداً وأخرى ناقصاً ، وثالثة على غير الكيفية التي
رواها أولاً وثانياً ، وعندما يكون هذا التفاوت في الشكل والسند يصبح
الحديث في منتهى الضعف ، لأن ذلك يشعر بعدم ضبطه وتحريزه .

ومن أقسامه المقلوب ، وهو الحديث الذي يروي شخص عن غير الراوي

له عن النبي أو الامام ، كما لو رواه عن الامام محمد بن مسلم فرواه شخص عن محمد بن أبي عمير ، أو عن زرارة ونحو ذلك ، وربما يعد ذلك من نوع الكذب المسقط للمدالة كما رجح ذلك جماعة .

ومن أقسامه المدلس وهو المشتعل على عيب يحاول الراوي اخفائه ، وهو مرة يكون في السند ، وأخرى في شيوخ الراوي . فالتدليس في السند ، كما لو روى الحديث عن عاصره من غير أن يسمع منه ، ولكنه يحاول إيهام السامع بسماعه منه كما لو رواه بصيغة قال فلان ، أو عن فلان في حين أنه قد أخذه من كتابه أو حدثه به رجل آخر ، ولو رواه بصيغة سمعت من فلان ، أو فلان ، أو حدثني به فلان يكون هذا النوع من التدليس أفحش من الأول إذا لم يسمع منه ولم يتحدث معه ، ويدخل ذلك في الكذب الموجب لسقوط السند عن الاعتبار .

أما التدليس في الشيوخ ، فهو ان يُلصق بشيخه اسماً ، أو كنية ، أو لقباً لم يعرفه أحد به ، ولم يعهد من غيره ، وهذا النوع من التدليس أخف كراهة من الأول على حد تعبيرهم ، لأن عيبه ينحصر في عدم توفر معرفة الشيخ بعد اعطائه الاسم الغريب ، أو الكنية الغريبة ، وقد يكون للمدلس بعض المبررات التي توجب الركون إلى الحديث والاطمئنان إليه ، ومن المتفق عليه عند الشيعة ان التدليس من أسباب ضعف الحديث وسقوطه عن الاعتبار ، في حين ان الفريقين الشيعة والسنة يتفاوضون أحياناً عن هذا العيب ويأخذون بالحديث وكأنه لا عيب فيه ، وأكثر ما شاع ذلك عن الطبقتين الأولى والثانية من التابعين .

ونص المؤلفون في الرجال ان جماعة من كبار المحدثين وحفاظهم قد أكثروا من التدليس في مروياتهم ، كهشيم بن بشير بن حازم كما جاء في رواية الذهبي ، وسفيان بن عيينة ، وسلمان مهران المعروف بالأعمش ،

والحسن البصري أحد أعيان التابعين في أواخر القرن الأول ، وعبد الرازق الصفاني ، والوليد بن مسلم الدمشقي ، وسفيان الثوري وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجاء في توضيح الأفكار المجلد الأول ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ان جميع هؤلاء المشاهير في الحديث من رواة الصحيحين ، ولذا فقد حاول جماعة من المؤلفين في الحديث وأحوال الرجال إلحاق هذا النوع من مروياتهم بالمراسيل لأن الإرسال لا يوجب تجريح الراوي وإتهامه في دينه كما هو الحال في التدليس ، وكل ما يترتب على الإرسال إلحاق الرواية بالقسم الضعيف من أقسام الحديث ، مع العلم بأن الروايات التي نسبت إليهم لا يصح إلحاقها بالمراسيل إلا بنحو المغالطة السافرة التي لا يرضاها لنفسه الباحث المجرد .

وجاء في الكفاية في علم الحديث للبغدادى : ان هؤلاء المتهمين بالتدليس لا يظهر منهم انهم يحاولون إيهام السامع بأنهم قد التقوا بالراوي وسمعوا منه كما هو الشرط في التدليس ، وكل ما في الأمر انهم لم يصرحوا بعدم السماع ممن لم يسمعوا منه وتركوا الأمر مبهماً ، وهذا النحو أقرب إلى الإرسال منه إلى التدليس بل هو من أفرادها كما يظهر من تتبع مروياتهم وأحاديثهم^(١) ، وقد وضعهم جماعة في قفص الاتهام كغيرهم من المدلسين من مختلف الطبقات الذين كانوا يحاولون بذلك وضع مروياتهم في مستوى المسانيد ، بهذا النحو من التضليل والتدجيل ، ويحذر المتتبع لأحوال الرواة عدداً هائلاً من مشاهير الرواة في مختلف العصور ممن لا يملكون من الدين ما يعصمهم عن الكذب والدجل استعملوا التدليس في أحاديثهم للغاية التي ذكرناها ، وأول ما ظهر هذا النوع من المرويات بين الطبقة الأولى من الرواة عن النبي ﷺ الذين أخذوا من كعب الأحبار ووهب بن منبه وأخيه عبد الله وغيرهم من

(١) انظر الكفاية للبغدادى ص ٣٥٧ .

الدسائين مئات الرويات أسندوها إلى الرسول وانتشرت بين أحاديثه لأن جماعة من الصحابة كابي هريرة وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وسحرة بن جندب وأمثالهم أخذوها من الوضعين ورووها إلى الناس بشكل يؤهم سماعهم لها عن الرسول ﷺ .

قال السيد رشيد رضا : ان كعب الاحبار كان من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين فراجت دساته والمخدع بها بعض الصحابة فرووا عنه وتناقلوا مروياته بدون اسناد إليه ، ان اشد رواة هذه الاسرائيليات وأشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين وهب بن منبه وكعب الاحبار ، فلا تجد خرافة دخلت كتب التفسير والتاريخ الاسلامي في أمر الخلق والتكوين والانبياء وأقوالهم والفتن الا وهي منهم^(١) .

ان الصحابة الذين المخدعوا بكعب الاحبار ووهب وغيرها ممن اندسوا بين صفوف المسلمين بقصد التخريب والتشويش ورووا عنهما وعن غيرها قد أسندوا تلك الرويات إلى النبي ﷺ أو إلى أحد الصحابة وبدون ذلك لا يقبلها أحد ولا تم الغاية من ادخالها بين الرويات عن النبي ﷺ ، ومما لا شك فيه بأن اسنادها إلى غير رواتها الاصلين هو من التدليس والتضليل اللذين انكرهما السنة بين مرويات الصحابة لا شيء إلا لأن بعض هؤلاء المدلسين من الصحابة ، وبعضهم الآخر قد اعتمد مروياتهم الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما ، ولو افترضنا بأن هذا النوع من مرويات الصحابة من نوع المراسيل تمشياً مع الجمهور بهذا النحو من التلفيق والتضليل ، لو افترضنا ذلك فلا يرتفع شأن تلك الرويات بل تبقى من قسم الضعيف ، لأن الارسال يحط من شأنها حتى ولو كان المرسل من الثقات المدوحين ويوجب التوقف بشأنها إلا إذا اقترنت ببعض القرائن كما أقرت

(١) انظر مجلة المنار من ص ٥٤١ إلى ٧٨٣ .

بذلك أئمة الفقه والحديث من أهل السنة ، وقد جاء عن مسلم صاحب الصحيح في مقدمة كتابه : ان المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة ، وقال ابن الصلاح : وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقرت عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الاثر ، وتداولوه في تصانيفهم ، إلى غير ذلك مما جاء عن جماعة من كبار المحدثين ولكن عندما تضايقهم الأدلة وتعوزهم الحجة ويحدون أنفسهم في ضيق وحرَج يعودون إلى الصحبة التي ترفع المتصف بها إلى مستوى الصديقين الذين لا ينطقون عن الهوى ، ويدعون بأن مراسيل الصحابة في حكم الموصولات لأنهم لا يروون إلا عن صحابي وكلهم عدول لا يمنع الجهل بحالهم من الاخذ بمروياتهم ، كما يقفون نفس الموقف من مرويات كبار التابعين لأنهم حفظوا آثارهم ورووا عنهم مباشرة على حد تعبيرهم^(١) وعندما يصلون إلى الطبقة الثانية من التابعين ، قالوا بأن مروياتهم قد أخذ بها البخاري وناهيك بمن روى عنه البخاري على حد تعبير بعضهم ، وكل من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة كما نص على ذلك المقدسي .

ومن المغالطات السافرة ما جاء في تدريب الراوي للسيوطي عن الحاكم النيسابوري ، ان أهل الحجاز والحرمين ومصر والعوالي وخراسان وأصفهان وبلاد فارس وخوزستان وما وراء النهر ، لا نعلم احداً من أئمتهم دلس في الحديث ، وأكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة ونفر يسير من أهل البصرة وأما أهل بغداد فلم يذكر عن أحد من أهلها التدليس إذا استثنينا محمد بن محمد بن سليمان الباغددي الواسطي المكنى بأبي بكر فهو أول من أحدث التدليس فيها كما يدعي النيسابوري .

ومحل الغرابة في هذا النص ان نسبة التدليس لأكثر أهل الكوفة لا سبب

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٤٨ و ٤٩ .

له إلا التشيع الغالب على أهلها وعلى المحدثين فيها ، أما بقية الاقطار التي نفي عن محدثيها التدليس ، فالغالب على أهلها التسنن ، والرواة جلهم ان لم يكن كلهم من السنة ، في حين ان غير الحاكم النيسابوري عدوا جماعة من المدلسين بين الحجازيين المكيين والمدنيين وبين الخراسانيين وغيرهم .

ومهما كان الحال فالتدليس عند الشيعة من العيوب الموجبة لضعف الحديث وعدم جواز الاعتماد عليه مهما كان الراوي له ، وعند السنة يوجب ضعف الحديث إذا لم يكن المدلس صحابياً ولم يكن من الطبقة الاولى من التابعين ، ولا بد مع ذلك أن لا يكون ممن روي عنه في الصحيحين كما يستخلص الباحث من كلماتهم المنتشرة هنا وهناك .

ومن أقسامه المدرج ، وهو الزيادة في الحديث بنحو يروي الحديث شخص ، ثم يتبعه بكلام له أو يقره ، فيأتي المتأخر ويرويه مع تلك الزيادة معتقداً انها من أصل الحديث .

ومن الادراج أن يكون عند الراوي حديثان بسندين فيرويهما بسند واحد أو يسمع الراوي حديثاً من جماعة يختلفون في سنده أو متنه فيرويه عنهم متفقين ، وإذا وقع ذلك عن عمد من الراوي ليوهم من بعده أن الزيادة من أصل الحديث يكون ذلك من نوع التدليس ، أما إذا وقع من غير قصد منه لذلك بأن يكون الكلام المتصل بالحديث من نوع التفسير ، أو من باب التعليق عليه ، فيأتي المتأخر ويدخله في الحديث ظناً منه أنه متمم له ، فلا تدليس في ذلك ، في حين أن الحديث يسقط عن الاعتبار كالاول .

ويدعي الشيخ عبد الصمد أن التهذيب للشيخ الطوسي يشتمل على أحاديث دخلتها بعض الزيادات لأسباب لا تعود إلى المؤلف .

ومن أقسامه الموضوع ، وقد نص المؤلفون في الحديث على أن هذا النوع من الاحاديث تحرم روايته مع العلم بكذبه من أي قسم كان إلا إذا صرح الراوي بكذبه ، ويعرف الوضع بأقرار الواضع صراحة أو ضمناً ، أو بوجود بعض القرائن المؤكدة لذلك ، كما يعرف كذب الحديث بضعف تركيبه وتنافر ألفاظه ، واشتغاله على ما يخالف أصول المذهب أو ضرورة من ضرورات الفقه ، أو الإفراط في الغلو بأحد الأئمة ~~عليه السلام~~ ونحو ذلك ، وضافوا أن أشد الواضعين ضرراً قوم قد تستروا بالزهد ووضعوا أحاديث حسبة في زعمهم فتلقاها الناس بالقبول وانتشرت في كل عصر ، ومن ذلك أحاديث الترغيب والترهيب كما ستعرض لهذا النوع من الموضوعات في الفصول الآتية .

والذي لا بد منه بعد هذا الإحصاء لما يعترض الحديث من أمور توجب إعطائه وصفاً جديداً هو أن بعض هذه الأوصاف قد ترفع من شأن الحديث وترجح جانب الاطمئنان به والاعتماد عليه ، كالمعنع والمسند والمقبول والمشهور وغير ذلك من الصفات التي لا تشكل نقصاً في سند الحديث أو متنه .

فالصحيح المتصف بواحد من هذه الأربعة لا يفقد شيئاً من قوته واعتباره ، بل يصبح محلاً للوثوق والاطمئنان أكثر من الحديث المجرد عنها ، أما الصفات الباقية ، فأي صفة منها طرأت على الحديث مهبطاً كان نوعه تفقده اعتباره وقوته ، ما لم يقترن ببعض القرائن التي ترجح صدوره لما ذكرناه من قبل من أن ضعف الحديث لا يعني اعتباره من الموضوعات ، بل كل ما يعنيه هو عدم الاطمئنان لرواته من حيث عدم الوثوق بدينهم وأمانتهم أو لغير ذلك مما يعترض الاطمئنان إليه بلحاظ ذاته ، فإذا احيط ببعض الملابسات أو القرائن يزول المانع من الاعتماد عليه ويصبح محلاً للاطمئنان .

ومهما كان الحال فالأقسام التي ذكرناها يشترك فيها السنة والشيعة ، إذا استثنينا منها الموثق فإن الجمع بينهما جملوه قسماً للصحيح والحسن والضعيف بينما عده السنة من قسم الصحيح واعتبروا التقسيم ثلاثياً وذلك اعتباراً من سنة

٢٧٩ عندما قسم أبو عيسى الترمذي الحديث إلى الأقسام الثلاثة الصحيح والحسن والضعيف ، ولم يعرف هذا التقسيم قبله كما نص على ذلك ابن تيمية ، وأضاف إلى ذلك أنهم كانوا يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم كان نوعين نوع لا يمتنع العمل به ، والنوع الآخر لا يصلح للعمل ، وكذلك تقسيم الاخبار إلى الناسخ والمنسوخ والعام والخاص وغير ذلك من التقسيمات لم يعرف إلا في عصر متأخر عن عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أما الاصناف الأخرى للحديث فيشترك فيها الشيعة والسنة بدون تفاوت بين الفريقين إلا في بعض الاصطلاحات والتفريعات على أصول الاصناف .

ويؤكد المؤلفون في الدراية ان على المحدث والفقهاء أن يتنبه للزيادة والنقص في السند ، فالزيادة كأن يزيد الراوي في أول الحديث أو وسطه رجلاً آخر كأن يكون الحديث عن الإمام بلا واسطة فيزيد الراوي واحداً أو أكثر بينهما ، والنقص كأن يروي الراوي عن شخص لم يعاصره أو عاصره ولكنه كان بعيداً عنه ، ويمكن للباحث أن يكون على بينة من هذا العيب إذا كان خبيراً بأحوال الرجال ومراتبهم ، وبخاصة أولئك الذين عاصروا الأئمة (ع) ومقدار صلتهم بالأئمة وأصحابهم الذين كانوا يهتمون في تدوين أحاديثهم ويتناقلونها بينهم عندما تتوفر لهم الأسباب لذلك ، كما يجب على الفقيه والمحدث ان يتنبه للناسخ والمنسوخ بين المرويات عن الرسول ﷺ ، فان الاختلاف في الحديثين قد يؤدي إلى الاختلاف في الحكم في الغالب في حين ان اختلافها ناتج عن كون أحدهما ناسخاً للآخر ، ولا يكون ذلك إلا في حديث الرسول ﷺ ، أما حديث الإمام عليه السلام فلا يمكن افتراض النسخ فيه ، لأن النسخ إنما يكون في مرحلة التشريع التي تنتهي بوفاة الرسول ﷺ .

وقد جاء في رواية عاصم بن حميد عن منصور بن حازم انه قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) : أخبرني عن أصحاب محمد صدقوا عليه ام كذبوا

قال أبو عبد الله عليه السلام : بل صدقوا . قلت : فما بالهم قد اختلفوا ؟ قال
أما تعلم : ان الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن مسألة فيجيب فيها
بالجواب ، ثم يحينه بعد ما ينسخ ذلك الجواب فيجيبه بجواب آخر ، فقد
نسخت الأحاديث بعضها بعضاً .

وجاء في رواية لأبي أيوب الخزاز عن محمد بن محمد بن مسلم انه قال : قلت لأبي عبد
الله الصادق (ع) ما بال أقوام يروون عن فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يتهمون بالكذب فيجيبونكم خلافه ، فقال : ان الحديث ينسخ كما ينسخ
القرآن ، ومعلوم ان الامام عليه السلام لم يقصد ان حديثه يكون ناسخاً لحديث
الرسول ، وإنما يقصد بذلك أن الحديث المروي عن الرسول قد ينسخ في
عصره فيحدث الناس بالناسخ والمنسوخ ، فيكون حديث الامام كاشفاً عن
وقوع النسخ في حينه .

ومهما كان الحال فالحديث الذي يجوز الاعتماد عليه من بين تلك الاصناف
الكثيرة هو الذي يرويه العدل الإمامي في جميع المراتب التي تنتهي الى الإمام أو
الني (ع) وكذلك الموثق أيضاً ولكن بالشروط التي ذكرناها أما الحسن والضعيف
يجميع أصنافهما فليس في الأدلة ما يشمر بجواز الأخذ بهما والاعتماد عليهما في
الأحكام والموضوعات ، مع العلم بأن الصحيح والموثق لولا الأدلة التي دلت
على جواز الاعتماد عليهما كانا كغيرهما من بقية الاصناف ، ذلك لأن عدالة
الراوي لا يحصل منها أكثر من الظن بصدور الرواية عن الإمام عليه السلام ويبقى
احتمال العدم قائماً وان كان مرجوحاً بالنسبة للطرف الآخر ، وهذا النوع
من الرجحان كغيره من سائر الظنون التي لا تغني عن الحق شيئاً لولا الأدلة
على قيامها مقام العلم فيما يعود الى الآثار الشرعية تسهلاً على المكلفين من ناحية
وحرصاً على امتثال الأحكام من ناحية أخرى ، لأن الاعتماد على العلم وحده
في جميع الأمور يؤدي إلى العسر والحرج وبالتالي الى ضياع أكثر الأحكام .

ويتلخص موقف فقهاء الامامية من الاخبار التي يرويها العدول والموثوقون ولو من غير الشيعة على النحو التالي :

لقد ذهب جماعة من فقهاء القرنين الرابع والخامس الى عدم جواز الاعتماد على الخبر الحاكي لقول الإمام أو النبي ﷺ ما لم يقترن بدليل أو قرينة يحصل منها العلم بصدوره عن المعصوم نبياً كان أو اماماً ، واعتمد هؤلاء على الآيات الناهية عن العمل بالظن وعلى بعض الرويات التي تؤكد وجوب التثبت في الأخذ بما يروى عن الأئمة (ع) ومن ذلك ما رواه محمد بن عيسى عن داود ابن فرقد ان أبا الحسن الثالث علي الهادي قال في جواب من سأله عن المتقول عن ابائه واجداده : ما علمتم أنه قولنا فخذوه وما لم تعلموه فردوه إلينا بالإضافة إلى غيرها من الرويات الناهية عن الأخذ بما لا يوافق الكتاب وسنة النبي ﷺ وغير ذلك من الرويات الكثيرة المنتشرة هنا وهناك المتواترة في معناها ومضمونها ، وفي مقابل هذا الرأي ذهب الأكثر الى الأخذ بأخبار العدول والموثوقين .

وألزموا أنصار الرأي الأول بأن الأخبار التي استدلو بها بعضها من نوع الآحاد الذي لا يجوز الاعتماد عليه كما تزعمون ، والبعض الآخر منها وارد في علاج الخبرين المتعارضين ، فلا يشمل غيرهما مما لا يتنافى مع الكتاب والسنة المقطوع بها .

هذا بالإضافة الى ان النهي عن العمل بما لا يفيد العلم وارد بالنسبة الى المرويات المتعلقة بأصول الدين والاسلام ، وبعضها ناظر الى مرويات من لا يوثق بأخبارهم وأحاديثهم ، ولا خلاف بين الجميع على بطلان هذا النوع من المرويات ما لم تقترن بما يؤكد صدورها عن الأئمة (ع) .

وبجمل القول ان اكثر علماء الشيعة منذ اقدم العصور يعتمدون على مرويات العدول والموثوقين في فقههم ومناظراتهم وقد رجعوا الى مجاميع

الحديث وأخذوا منها كل ما توفرت الشروط المطلوبة في الراوي والرواية ، وتركوا الحسن والضعيف وغيرهما بما كان مشتملا على عيب في متنه او مخالفا لأصله متفق عليه ، أو لضرورة من ضرورات الدين ، اذا استثنينا بعض المقلدة المعروفين الإخباريين فانهم قد أخذوا بكل ما في الكتب الأربعة ولم يترددوا في صدورهما عن الأئمة (ع) وقذفوا غيرهم بشق الاتهامات لأنهم عرضوا أساسينها على اصول علم الدراية وصنفوها الى الأصناف الأربعة كما ذكرنا .

هؤلاء أشبه بمحسوبة العامة الذين أخذوا بكل الأحاديث على علاقتها وعيوبها مع منافاة الكثير منها لاصول الإسلام ومبادئه ، وهؤلاء من أي الفريقين كانوا لا يمثلون إلا أنفسهم ولا يعبرون عن رأي الشيعة أو السنة في هذا الموضوع وغيره من المواضع التي قد تختلف فيها الآراء والاتجاهات ، أما الفريق الآخر فقد وقفوا من الروايات موقف الحذر المتثبت فدرسوا تاريخ الرواة وعرضوا مروياتهم على للكتاب والعقل ، فما كان منافياً لحكم العقل أو منافياً للكتاب بنحو لا يمكن الجمع بينهما تركوه ، وما لم يكن كذلك ، فإن كان راويه من المعروفين بسلامة العقيدة وحسن السيرة أخذوا بروايته لا من حيث أنها قطعية الصدور ، بل من حيث توفر الأدلة على الاعتماد عليها والعمل بمضامينها وأظهر ادلتهم من الكتاب .

قوله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » حيث نصت الآية على وجوب التبين والتثبت في الخبر اذا جاء به الفاسق ، ولازم ذلك أن النبأ اذا جاء به غير الفاسق لا يحجب التثبت فيه ، وحينئذ اما ان يكون مقبولا وصالحا للعمل به وهو المطلوب ، وان لم يكن مقبولا يكون العادل اسوأ حالا من الفاسق لان خبر الفاسق يخضع للفحص والتأكد من صحته وذاك يتعين للطرح بمجرد وروده ، كما استدلوا ببعض الآيات كقوله تعالى : « واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وقوله تعالى : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا

إليهم لعلمهم يحلوت » الى غير ذلك من الآيات التي يمكن بعد التصرف في ظواهرها ان تكون سنداً لانصار هذا الرأي .

ومع ان الآية الأولى اظهر من غيرها في جواز الاعتماد على اخبار الآحاد ، فقد تعرضت للنقد والهجوم من المانعين والمجوزين في آن واحد ، في حين أن بعض النقود الموجبة إليها لا يمكن تجاهلها ولا التخلص منها بوجه يمكن الاطمئنان اليه .

ومن ذلك ان الاستدلال بالآية ان كان من جهة تعليق الحكم على صفة الفسق في الخبر ، فانتفاء الوصف عن الموضوع لا يدل على انتفاء الحكم عن الموضوع الفاقد لتلك الصفة كما هو الرأي الراجح عند اكثر الاصوليين ، هذا بالإضافة الى ان القائلين بالمفهوم للتضيي الموصوفة لا يلتزمون به في مثل المقام لعدم التأكد من انتفاء سنخ الحكم حالة انتفاء الصفة التي كانت تربط الحكم بموضوعه ، هذا اذا كان الاستدلال بها على حجبية أخبار الآحاد بمفهوم الوصف وان كان الاستدلال بها من حيث تعليق الحكم على الشرط وهو مجيء الفاسق بالخبر ، فيرد عليه ان الشرط في القضايا المشروطة اذا كان علة منحصرة للحكم لا بد وان يقتضي الحكم عن الموضوع عند انتفاء الشرط ، فاذا انتفى الموضوع مع انتفاء الشرط ، فيكون انتفاء الحكم لا انتفاء موضوعه لا من حيث انتفاء الشرط ، والمفهوم في الآية بناء على ان وجوب التثبت سببه مجيء الفاسق بالنبا هو عدم وجوب التبين اذا جاء غير الفاسق بالخبر ، والآية لا تدل ذلك لان المفهوم لوجوب التبين في خبر الفاسق ، هو عدم التبين اذا لم يأت الفاسق به ، وعدمه في مثل ذلك يمكن ان يكون لعدم مجيء احد به كما يمكن ان يكون لمجيء غيره به ، والقضايا التي تكون من هذا النوع من القضايا التي تأتي لبيان تحقق الموضوع على حد تعبير الاصوليين ، أي أن الشرط فيها وارد لبيان الحكم عند وجود موضوعه ، كما في قول القائل : اذا قرأت الدرس فاحفظه ، واذا رزقت ولداً فاختنه ، واذا تزوجت فلا تضرب زوجتك ونحو ذلك .

وللاصوليين في مجاميعهم كلام طويل حول هذه الآية لا يعنيننا منه أكثر من هذه الإشارة العابرة .

أما بقية الآيات التي حاول أنصار هذا الرأي التعلق بها فلا تجدي نفعاً إلا بعد تأويلها وتحويرها تحويراً لا يناسب مع ظواهرها ومواردها .

وقد استدلوا بالإضافة الى ذلك بالاجماع الذي ادعاه جماعة من الفقهاء والاصوليين ، في حين ان القائلين بعدم جواز الاعتماد على اخبار الآحاد قد استدلوا بالاجماع ايضاً ، مع العلم بأن الاجماع حتى ولو لم يكن معارضاً بمثله لا ينفع حتى في المسائل الفرعية اذا لم يكن محصلاً ومشتقاً على رأي المعصوم ~~عليه السلام~~ ولو تجاهلنا جميع ما قيل حول الاجماع وبقينا على اعتباره من ادلة الاحكام ، وافترضنا وجود اجماع على العمل باخبار الآحاد ، ولكن ليس في كلام المجتهدين ما يشعر بأنهم يعملون بأخبار العدول حتى ولو لم تقترن ببعض القرائن والشواهد ، ومع قيام هذا الاحتمال يبطل مفعول الاجماع ولم يعد صالحاً للاستدلال به ، لانه لا يكشف عن رأي المعصوم والحالة هذه .

واستدلوا ايضاً بالاخبار والسيرة المتصلة بمصر الامام على الاعتماد على أحاديث الموثوقين في دينهم ، وهما من أصلح الأدلة التي اعتمدها أنصار هذا الرأي ، ذلك لأن الاخبار وإن كانت من نوع الآحاد إلا انها متواترة في مضامينها وبعضها مقترن ببعض القرائن التي تؤكد صدورها عن الأئمة (ع) وأكثرها تعتمد وثيقة الراوي اساساً للأخذ بالحديث والاعتماد عليه .

وقال الشيخ مرتضى الانصاري في رسائله : وقد ادعي في الوسائل تواتر الاخبار على العمل بخبر الثقة ، إلا أن القدر المتيقن منها هو خبر الثقة الذي يضعف فيه احتمال الكذب على وجه لا يعتني به العقلاء ولا يتوقفون عن العمل به لاجل ذلك الاحتمال كما تشير الى ذلك كلمة الثقة والصادق والمأمون وغيرها من الالفاظ التي وردت في تلك الاخبار ، مع العلم بأن أكثر المرويات حول هذا

الموضوع لم تتعرض للمعدالة ، بل جاء في بعض المرويات ما يشعر بالترخيص بالعمل برواية غير العادل ، كما في رواية العدة عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حاكمها في ما روي عنا فانظروا الى ما رويه عن علي عليه السلام هذا بالإضافة الى ترخيصهم بالعمل بكتب بني فضال وغيرها ممن انحرف عن التشيع الصحيح .

واما المسيرة على العمل باخبار الموثوقين فلا مجال للتردد في أن الناس في سائر امورهم يعتمدون على من يثقون في دينه وسيرته ويرتبون عليه سائر الآثار من غير فرق بين ما يتعلق منها بامور الدين أو الدنيا ، وبلا شك ان سيرة الناس متصلة بعصر الامام عليه السلام وانه يعلم منهم ذلك وبإمكانه ان يردعهم أو ينههم عن مثل ذلك على أقل التقادير لو افترضنا أن عملا من هذا النوع يخالف الحق والواقع في حين أنه لم يثب ولم يتعرض لذلك ، مع العلم بأنه لو سكوت عما لا يرتضيه منهم مع تمكنه من البيان والردع يكون قد أهمل واجبه وقصر في أداء الامانة الموكولة اليه .

وبجمل القول ان الاعتماد على اخبار الثقات مما جرت السيرة عليه في جميع العصور من غير فرق بين المتعلق منها بامور الدين أو الدنيا ، والمعصوم نبياً كان أو اماماً لا يجوز في حقه أن يقر الناس على الخطأ ويسكت عن اظهار الحق ما دام ذلك ميسوراً له ولم يرد عنه ما يشير الى ردعهم عن سلوك هذا الطريق .

هذا بالإضافة الى ان التصلب في هذه المسألة والتنكر لاجبار المدول والثقات يؤدي الى ضياع أكثر الاحكام الشرعية ، لان الادلة القطعية والاجبار المحفوفة بالقرائن لا تنفي بأكثر الاحكام فضلا عن جميعها ، فاذا تجاهلنا اخبار المدول والثقات والحققناها بأخبار الفساق والمشبهين لم يعد لنا من سبيل الى امتثال أكثر الاحكام بعد تعمس الاحتياط ، وبلا شك فان العقل في مثل هذه

الحالات لا يرى بديلا عن الاعتماد على الظنون الحاصلة من هذه الاخبار اذا كان الاحتمال المخالف موهوما بالنسبة الى الطرف الآخر .

وقد لخص الشيخ الطوسي في كتابه العدة موقف الشيعة من اخبار الاحاد بقوله : واما ما اخترته من المذهب وهو ان خبر الواحد اذا كان واردا من طريق اصحابنا القائلين بالامامة ، أو كان عن طريق النبي ﷺ أو عن احد الأئمة وكان ممن لا يطمعن في روايته بنحو يكون شديد النقل ولم يكن هناك قرينة تدل على صحته لانه اذا اقترنت ببعض القرائن يصبح الاعتماد عليه من جهة القرينة .

واضاف الى ذلك ان الشيعة منذ اقدم عصورهم قد اتفقوا على العمل بتلك المرويات التي رووها في مؤلفاتهم ودونوها في اصولهم ، ولم يعرف عنهم انهم انكروا هذا الموقف على احد منهم ، فلولا ان العمل بهذه الاخبار كان جائزا لبينه الامام عليه السلام خلال تلك الفترة الطويلة التي تنتهي بانتهاء مهمة السفراء الاربعة الذين كانوا على اتصال دائم بالامام الثاني عشر ، ومضى في تقريب هذا الرأي الى القول بأن القياس لما كان محظورا عند الشيعة فإذا وجدوا احدا جرح اليه واخذ به في بعض الاحيان ولو في مقام الجدل والاحتجاج رفضوا قوله وتعرض لأعنف الهجمات وأسوأ الاتهامات ، ولو كان الاعتماد على مرويات الاحاد محظورا عند الشيعة كالقياس والاستحسان ونحوهما كما تشعر به بعض النصوص والتصريحات المنسوبة الى بعض اعلامهم .

لو كان الامر كذلك لظهرت آثار ذلك في اقوالهم ومؤلفاتهم بتلك الشدة التي ظهرت فيها آراؤهم حول القياس وغيره ، في حين ان الذي ظهر منهم يؤكد جواز الاعتماد عليها بضميمة المرويات عن الأئمة (ع) ، فان المتتبع لجميع ما ورد عنهم حول هذا الموضوع يخرج مطمئنا بصدور بعضها عن الأئمة (ع) ومضى يقول : ان المنكرين لجواز العمل باخبار الاحاد من الامامية

كانوا يقفون هذا الموقف السلبي من اخبار الآحاد في مقابل اخصامهم الذين كانوا يعتمدون على اخبار الآحاد لإثبات بعض الاحكام المخالفة لهم والتي دلت اخبارهم على خلافها ، واستطرد في حديثه يستعرض جميع الشبه ويفند جميع الاحتمالات التي يمكن ان تعترض طريقة القائلين بجواز الاعتماد عليها .

والذي تجدر الاشارة اليه ان اكثر القائلين بجواز الاخذ باخبار الآحاد التي يروها المدول والثقات في جميع مراحل السند قد وقفوا عند الاخبار المتعلقة بالأحكام، أما اذا تعلق خبر العدل بموضوع من الموضوعات فلم يأخذوا به إلا اذا تعدد رواته بأن رواه عدلان أو ثقتان في جميع مراتب السند كما هو الشأن في جميع الموارد التي لا يكفي فيها خبر الواحد أو مطلق الظن إلا إذا قامت الأدلة على اعتباره بالخصوص ، ولكن الأدلة التي اعتمدها القائلون بحجية اخبار المدول والثقات وبخاصة سيرة العقلاء والمتشعبة التي هي من أقوى ادلتهم لا تشير ولو من بعيد الى انهم يعتمدون على الثقات في خصوص اخبارهم بالأحكام ويرفضون المتعلق منها بالموضوعات ، وفي وسع الفاحص لتلك الأدلة أن يتأكد من هذه الحقيقة، فإن الناس في جميع العصور والحالات وفي ظل جميع الرسائل والنبوات يعتمدون على من يثقون بصدقه وأمانته ويرتبون عليها جميع الآثار سواء تعلق بالأحكام أو الموضوعات ، وبخاصة اذا كان احتمال الخلاف بعيدا وموهوما لا يوجب الحيرة والتردد على حد تعبير الشيخ الانصاري في رسائله .

وبجمل القول ان الأدلة التي استدلل بها القائلون بحجية اخبار المدول والثقات بمجموعها تدل على حجية الخبر سواء تعلق بالحكم أو بموضوعه، كالعدالة والضرر والنسب والحياة ونحو ذلك مما يكون موضوعاً وذا أثر يعود أمره الى الشارع ، وفي غير ذلك لا أجد ما يبرر الحديث عن شمول الأدلة له لأن الامور الخارجية التي لا تتعلق بالأحكام لا يعود أمرها إلى الشارع لكي نستجدي الأدلة على جواز الاعتماد عليها .

بقي أن القائلين يجاوز الاكتفاء بالظن الحاصل من أخبار الثقات في الأحكام وموضوعاتها لم يكتفوا به في اصول الاسلام حيث إنه لا بد فيها من اليقين القاطع للشك ، والظن مها بلغت قوته لا يمنع من احتمال الخلاف .

وقد لخص الشيخ الانصاري في رسائله موقف العلماء من-اصول الاسلام بالأمور الستة التالية .

الاول اعتبار العلم فيها من النظر والاستدلال وهو المعروف عن الاكثر وأضاف الى ذلك ان العلامة قد ادعى اجماع العلماء كافة على ذلك .

الثاني الاكتفاء بالعلم الحاصل ولو من التقليد .

الثالث الاكتفاء بالظن مطلقا سواء حصل من التقليد ، أو من البحث والاستدلال .

الرابع الاكتفاء بالظن الحاصل من الاستدلال .

الخامس الاكتفاء بالظن الحاصل من اخبار العدول والثقات كما ذهب الى ذلك الاخباريون وانصارهم من الحشوية الذين لا يفسحون مجالا للعقل في مقابل الحديث .

السادس الاكتفاء بالجزم والظن الحاصلين من التقليد ، وأنصار هذا الرأي يرون أن وجوب البحث والاستدلال من الواجبات المستقلة المعفو عنها عند قمعها ، بهذه الآراء الستة يمكن تحديد موقف العلماء من اصول الاسلام .

ولكن الذي يعكس رأي الشيعة منها هو القول الاول، حيث إن الكثرة الغالبة منهم لا تقر غيره من الآراء ، وأضاف الى ذلك الشيخ الانصاري أن اصول الدين الذي لا يطلب فيها أولا وبالذات إلا الاعتقاد باطنا والتدين

ظاهراً على قسمين الاول منها ما يجب على المكلف الاعتقاد والتدين به بدون شرط آخر ، وهذه يجب فيها تحصيل العلم من باب المقدمة ، كما هو الحال في سائر مقدمات الواجب المطلق .

والثاني هو الذي يجب الاعتقاد والتدين به عند حصول العلم به كالتفاصيل والخصوصيات المتعلقة بالتوحيد والنبوة وبقية الامور ، وهذه لا يجب تحصيل العلم والمعرفة بها ، لأن وجوبها مشروط بالمعرفة فقبلها لا يجب الاعتقاد بها ، وإذا لم يجب الاعتقاد بها لا يمكن ان تتصف بمقدمتها بالوجوب ، كما هو الشأن في سائر مقدمات الواجب المشروط الذي لا يجب تحصيل مقدمته ، وانتهى الى القول بأن وجوب التدين بهذه الامور لمجرد الظن الحاصل من الاخبار ولو كانت صحيحة يكون من الاعتماد على الظن فلا بد من التوقف في مثل ذلك ، واذن ان الشهيد الثاني في كتابه المقاصد العلية صرح بأن ما ورد عنه عليه السلام من طريق الآحاد في تفاصيل البرزخ والمعاد ونحو ذلك لا يجب التصديق به مطلقاً والاعتماد عليه في المقام .

وان كان طريقه صحيحاً لأن خبر الواحد ظني وقد اختلف في جواز العمل به في الاحكام الشرعية فكيف بالاحكام الاعتقادية ، ومضى يقول : ان الشيخ الطوسي في كتابه العدة قال : ان عدم جواز التعويل في اصول الدين على اخبار الآحاد اتفاقي إلا من بعض غفلة اصحاب الحديث .

ومجمل القول : ان الامور التي يجب تحصيلها والاعتقاد بها كالتوحيد والنبوة والمعاد والجنة والنار والحساب وغير ذلك يتعين على القادر ان يبحث ويفتش ويستعمل جميع امكانياته للوصول الى الاعتقاد الجازم ، أما اذا لم يكن قادراً على البحث والفحص كما هو الحال في عوام الناس وبسطائهم فلا يمكن تكليفهم بالنظر والاستدلال لتحصيل العلم ويكفي اعتقادهم بها من أي طريق كان حتى ولو من التقليد وهو الذي يتناسب مع يسر الاسلام

وسماحته ، اما الاخبار التي تشعر بوجود الواسطة بين الاسلام والكفر ، وان هؤلاء بينهما ، فعلى تقدير صحتها يمكن ان تكون تعبيرا عن واقع حالهم من حيث المكانة التي يستحقونها يوم الجزاء ، ذلك لأنهم لا يستحقون ان يضمهم الله سبحانه في صفوف الموحدين المؤمنين عن علم ونظر وقناعة ، ولا يمكن ان يضمهم في صفوف الجاحدين لأنهم لا ينكرون الله ورسوله ، وكل ما في الأمر انهم لا يملكون وسائل اليقين الجازم بأصول الدين ولا يخرجون بذلك عن الايمان .

وجاء في رواية سليم بن قيس عن أمير المؤمنين أنه قال : أدنى ما يكون العبد مؤمنا أن يعرفه الله تعالى اياه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه ﷺ فيقر له بالطاعة ، ويعرفه امامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة فقلت يا أمير المؤمنين : وان جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال نعم . الى غير ذلك من الروايات التي تشير الى هذا المعنى .

وأما القسم الثاني من الأمور التي لا يجب الاعتقاد بها إلا بعهد العلم بها كالبرزخ وأحوال الجنة والنار وكيفية الحساب والعصا ونحو ذلك فلا تجب معرفتها بنحو التفصيل ولا الفحص عنها لأنها من مقدمات الواجب المشروط التي لا تجب مقدمته ، واذا حصل العلم بها من خبر متواتر او آحاد محفوف ببعض القرائن لا بد من التصديق بها ، أما الآحاد المفيد للظن فلا يجب التمسك به وان كان صحيحا كما جاء عن الشهيد في كتابه المقاصد العلية .

وقال الشيخ الانصاري في رسائله : لا يعتبر في الايمان ازيد من التوحيد والتصديق بالنبي ﷺ وبكونه صادقا في كل ما جاء به وبلغه الى الناس اجمعين وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك ، والالم يكن من آمن بمكة من أهل الجنة ، أو كان حقيقة الايمان بعد انتشار الشريعة غيرها في صدر الاسلام ، ولو حصل اليقين بشيء من هذه الأمور بواسطة اخبار الآحاد يجب التصديق به والالتزام بآثاره .

ومهما كان الحال فلقد اطلال الشيخ الانصاري وغيره الحديث عن كيفية التدين باصول الاسلام وتشعب الآراء حولها ، ولكن الرأي الذي يعبر عن رأي الشيعة في هذه المسألة ، هو وجوب الاعتقاد والتدين بها وان على القادر على تحصيل العلم ان يسعى اليه بالوسائل التي توفر له ذلك أما من ليس في مقدوره ذلك ، فيكفيه العلم الحاصل من أي طريق كان ، حق ولو كان بواسطة التقليد وغيره من الطرق الظنية ، وتكليفه بأكثر من ذلك لا يعدو أن يكون من نوع التكليف بغير المقدور الذي لا يقره العقل والشرع ، هذا بالإضافة الى ان تكليف الجاهل بتحصيل الطرق العلمية يؤدي الى خروج الكثرة الغالبة من الناس عن الايمان ، كما التزم بذلك بعض أعيان الفقهاء ، ولكن انصار هذا الرأي لم تتوفر لهم الأدلة الكافية لتدعيمه ، هذا فيما يعود الى الاصول ، أما التفاصيل والكيفيات فلا يجب الفحص عنها ولا التدين بها إلا اذا حصل العلم بها بالاسباب المتعارفة كما قدمنا .

موقف السنة من خبار الآحاد

لقد سبق ان ذكرنا خلال المباحث السابقة ان الاصول التي وضعها علماء الحديث والدراية من الشيعة للحديث وأصنافه لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن الاصول التي وضعها الباحثون في علم الحديث من أهل السنة ، إذا استثنينا بعض التفريعات والاصطلاحات ، وكما أسرف فريق من علماء الشيعة وفقهاهم فوقفوا موقفاً سلبياً من أخبار الآحاد ولو كانت في منتهى الصحة ما لم تقتضه إلى العلم بصدورها عن المعصوم ، وقف نفس الموقف فريق من علماء السنة ، فاشتراطوا أن يكون الخبر مروياً عن طريق عدلين في جميع مراحل السند ، وهؤلاء بين من يدعي أن الصحيح المقبول عند البخاري ومسلم هو الذي يرويه عدلان عن مثلهما ، وبين من لا يرى مبرراً لقبول أخبار الآحاد إلا إذا تعدد روايتها ، واقتربت ببعض القرائن المؤكدة لصدورها .

وجاء في المجلد الأول من تدريب الراوي للسيوطي ان جماعة من المحدثين منهم ابن الأثير في مقدمة جامع الاصول وغيره ومؤلف كتاب (ما لا يسع المحدث جهله) ذكروا ان شرط الشيخين في صحيحيهما أن لا يدخل فيه إلا ما صح عندهما وهو ما رواه عن النبي ﷺ اثنان فصاعداً ، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر ، وأن يرويه عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة ، ومضى يقول : ان ابراهيم بن اسماعيل بن علي

أحد الفقهاء والمحدثين المتوفى سنة ١٩٣ اشترط رجلين عن رجلين لقبول الحديث ، وأضاف إلى ذلك ان الجبائي قال : لا يقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد إلا إذا انضم إليه خبر عدل آخر ، أو كان موافقاً لظاهر الكتاب أو رواه عدل آخر ، أو كان شائعاً ومنشراً بين الصحابة ، وأكثر المعتزلة يرون رأى الجبائي ، ولكن هذين الرأيين لا يمكن أن يرى الجمهور الذين يقفون إلى جانب أخبار الآحاد ولو كان الراوي لها عدلاً واحداً ، وهم بين قائل بأنها تفيد العلم القطعي بصدورها عن النبي ﷺ ، وبين من يدعي بأنها لا تفيد أكثر من الظن .

وجاء في التعليقة على الباعث الحديث ان الذين ذهبوا إلى ان اخبار الآحاد قطعية الصدور ولو كان الراوي لها عدلاً واحداً وهم الكثرة الغالبة من المحدثين ومنهم الحسين بن علي الكرابيسي ، والحارث بن اسد المعاسبي وابن حزم في المجلد الأول من كتابه الإحكام في اصول الأحكام ص ١١٩ و ١٣٧ ، وجاء فيه ان خبر العدل الواحد عن مثله الى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً ، ومضى المعلق على الباعث الحديث في مرده أسماء الذين ذهبوا الى هذا الرأي وعد منهم ابن الصلاح وابا اسحق وابا حامد الاسفرايني والقاضي ابي الطيب والشيخ ابي اسحق الشيرازي من الشافعية والسرخسي من الاحناف والقاضي عبد الوهاب من المالكية وابن الزغراني من الحنابلة وأضاف إلى ذلك ان أكثر أهل الكلام وأهل الحديث قاطبة يذهبون إلى ذلك ، وأضاف الى ذلك ان الحق ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من ان الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء كان في الصحيحين ام في غيرهما وهذا العلم اليقيني لا يحصل إلا للمتبحر في الحديث العارف بأحوال الرواة والعمل ، وخلص من ذلك الى القول بأن الفرق التي

وضعها المتكلمون بين العلم والظن انما يريدون بها غير ما نريد^(١) .

ومن ذلك تبين ان اكثر محدثي السنة وفقهاءهم انما يأخذون بخبر العدل الواحد من حيث افادته العلم بالصدور ، ومعه لا يحتاجون الى دليل آخر لجواز الاعتماد على الحديث لأن كل شيء ينتهي الى العلم يقطع العذر ، أما الشيعة فمن حيث أن عدالة الراوي عندهم لا تفيد أكثر من الظن بالصدور ولا تمنع احتمال العدم فيحتاجون الى دليل آخر يرفع من شأن هذا النوع من الظنون الى مستوى العلم من حيث ترتيب الآثار ، لأن الأدلة العامة قد منعت من الاخذ بالظن وألحقته بالشك والوهم .

وحصيلة البحث حول اخبار الآحاد ان موارد الالتقاء بين الفريقين السنة والشيعة تبدو وكأنها معدومة الى أبعد الحدود ، لأن الكثرة الغالبة من السنة يدعون الى ان اخبار المدول تفيد العلم وكل شيء ينتهي الى العلم ينتهي معه البحث ، وعندما يتحدثون عن مرويات الصحيحين لمحمد بن اسماعيل البخاري ومحمد بن مسلم النيسابوري يقولون فيها وكأنها من وحي السماء لأن الاول اختار صحيحه من ستمائة الف حديث والثاني من أربعمائة الف حديث ، والقلة منهم يلتقون مع الكثرة من الشيعة من حيث ان اخبار المدول لا تفيد غير الظن ، والظن لا يفني عن الحق شيئاً ما لم تقتزن ببعض القرائن والمرجحات ، وكل ما في الامر ان الشيعة يدعون وجود الدليل على الاخذ بهذه الظنون وقيامها مقام العلم من حيث ترتيب الآثار الشرعية ، ولا يفرقون بين الكتب الاربعة وغيرها من المرويات المنتشرة هنا وهناك لأن عدالة الراوي واستقامته في دينه وسيرته كل ما توفر لحديثه صفة الظن

(١) انظر ص ٣٦ و ٣٧ من الباحث الحديث للعافظ بن كثير .

بالصدور ، وليست كافية وحدها لإلغاء احتمال الكذب أو الخطأ ونحوهما ،
ولما كان مجرد الرجحان وحده لا يصلح ان يكون باعثاً على التدبر والاخذ
بمضمون الخبر ، رجعوا الى البحث عن الادلة التي توفر لهم القناعة والاطمئنان
وقد توفرت لهم القناعة من مجموع الادلة التي رجعوا إليها على جواز الاعتماد
على مرويات الثقات والعدول إذا لم تصطدم بما هو أقوى واصرح منها ، وعدوا
ذلك خروجاً على المبدأ العام القاضي بعدم جواز الاخذ بالظنون إذا استثنينا
حفنة من محدثي الشيعة وفقهائهم غالوا في الكتب الاربعة بما يشبه غلو السنة
في صحاح الحديث وصحاحي الشيخين ، ولكنهم لم يسرفوا اسرافهم ، ومع
ذلك فقد تعرضوا لأعنف الهجمات واسوأ الاتهامات من الجمهور الاعظم
ووصفوه بالقلدة حيناً وبالخشوية حيناً آخر ودأبوا على مقاومتهم حتى ذابت
مقالتهم ولم يعد لها وزن عند تمحيص الآراء وتصفية المقالات والاتجاهات .

الفضل الثالث

الكذب في الحديث

من المتفق عليه بين جميع الفرق والطوائف الاسلامية ان الكذب في الحديث قد ظهرت بوادره في عصر مبكر من تاريخ الاسلام، وان بين الرويات عن النبي والأئمة الكرام في مختلف المواضيع عدداً هائلاً قد انتشر هنا وهناك في كتب الحديث والفقه لا يمكن بحال من الاحوال ان نتجاهل اخطاره ونتأججه السيئة التي أصابت السنة في الصميم تلك الرويات التي مزقت الامة شعوباً واحزاباً ، ولا يزال المسلمون يعانون من اخطارها حتى اليوم ، وستبقى اخطارها عبر العصور تصنع الحجب التي تحول بين حديث الرسول واضوائه وبين الاسلام ومبادئه الخيرة الصالحة لكل زمان ومكان وتضع الحدود والسدود بين المسلم والمسلم والإنسان وأخيه الإنسان، بالرغم من بعض المحاولات التي بذلت ولا تزال تبذل بين الحين والآخر للتنبيه على تلك الموضوعات التي انتشرت بين سنة الرسول منذ القرون الاولى، ولكن ومع الاسف الشديد ان تلك المحاولات سواء أكانت من السنة أو الشيعة كانت تفقد عنصرين هامين لا بد منها في كل عمل يراد نجاحه ، وهما الاخلاص والصراحة فالسني مثلاً

حينما يكتب في الموضوعات يضع في حسابه أكبر مجموعة من المرويات الشيعية ويتهم روايتها بالكذب والافتراء على الرسول وإبنائه ، ويحاول بكل ما لديه من جهد ان يبرر اتهامه هذا بوجود بعض الكذابين بين رواة احاديثهم ، ويقف الشيعي نفس الموقف من مرويات الفريق الآخر فيضع أكبر مجموعة من روايتهم في قفص الاتهام ، في حين ان الباحث المجرد لا ينتهي الى كل هذه النتائج اذا درس الحديث دراسة موضوعية واخذ بعين الاعتبار جميع الظروف والملابسات التي كانت تحيط بالفريقين ، والى أي حد كانت السياسة تسيطر على جميع الشؤون حتى الدينية منها ، لان السياسة طابعها الديني، ومن أجل ذلك كان الحكم يشعرون بالحاجة الماسة الى الدعم الديني لإغراء الجماهير بشرعية حكمهم، ومن غير الممكن ان يحدوا هم وأعوانهم بين النصوص الدينية من كتاب أو سنة ما يشعر ولو من بعيد بشرعية حكم يقوم على الظلم والجور واغتصاب الحقوق والاستهتار بالمقدسات وحرية الفرد والجماعة ، وليس أدل على ذلك من تحوير مفهوم الخلافة عمليا ونظريا الى حكم فردي يستمد قوته وبقائه من الاسراف في بذل الأموال ورافقة الدماء لا من النصوص الاسلامية ولا من رغبة الشعب واردة الجماهير ، وقد ظهرت بوادر هذا النظام في مطلع العهد الأموي الذي تتمثل بعض جوانبه في السنين الأخيرة من حكومة عثمان ابن عفان ، وبقية جوانبه الأخرى في حكومة معاوية بن ابي سفيان الذي ادرك الرسول ﷺ والخلفاء الأربعة ومعظم الصحابة ورأى تصلبهم في فرض النظم الاسلامية من جميع جوانبها وظل طيلة حكمه يحاذر الى حد ما ان يتفجر الموقف من حوله لا سيما وفي المسلمين بقية من خيار صحابة الرسول وولده الحسن والحسين (ع) الأمل المنشود لكل مؤمن بالله واليوم الآخر لذلك كان يداجي احيانا واحيانا يستعمل أعوانه لتحويل الحقائق وخلق المبررات لتصرفاته وإعطائها صفة الشرعية فهد الطريق لمن جاء بعده من

حكام تلك الدولة الجائرة فاستعملوا المرتزقة للدس والكذب على الرسول وتضائل احساسهم بالهيبة التي كانت تعترض غيرهم من الحاكمين واندفعوا مع شهواتهم واهوائهم ومتطلبات اسلوبهم في الحكم الى ابعد الحدود في السر والعلانية ولم ير خليفتهم الوليد بن يزيد ما يمنعه من ان يستنيب جاريته حباية لتصلي بالناس وهي سكرى ، ويحتفظ بها جثة هامة أياماً طويلاً وقد ملأت جيفتها القصر وهو يردد قول القائل :

فإن نسل عنك النفس أو تدع البكا فباليأس تسلو النفس لا بالتجملد

ولولا الضجة التي أثارها أهله والاقربون اليه لم يسمح بدفنها ، ومع هذا الإسراف في المنكرات والتمادي في الضلال والشهوات فلقد وجدوا جيشاً من العملاء والنفعيين يساندونهم ويموه على الناس بسلامة سلوكهم وصحة تصرفاتهم بأحاديث ينسبونها الى الرسول والصحابة زوراً وبهتاناً .

ولو تجاهلنا جميع ذلك نجد ان الذين تصدوا لهذه المواضيع من سنيين وشيعيين قد اهتموا بأحاديث الأحكام وتركوا غيرها مما هو مروي في مختلف المواضيع ودونوها في مجاميعهم من غير تعديل أو تمحيص ، وفي الوقت ذاته تجاهلوا تلك التيارات المتضاربة والآراء الغريبة عن تعاليم الاسلام والافتراضات التي ابدتها وروجتها بعض الفرق والأحزاب التي لبست المسوح والتصوف حيناً ومضت تفلسف المعتقدات والمبادئ الاسلامية حيناً آخر الى غير ذلك من الاتجاهات التي كان لها اكبر الأثر في تحوير الحقائق والتلاعب في حديث الرسول والأئمة (ع) هذا بالإضافة الى دور القصاصين والمرتزقة الذين اتخذوا القصص مهنة لهم يستندون عطف الحكام وعوام الناس فانتشروا في المساجد والنواصي والمجتمعات يحدون بفضائل الاشخاص والاعمال وصفات الجنة والنار وأهوال المحشر بما لم يحدث به نبي ولا إمام ولا كتاب وانتشر هذا النوع من الحديث بين صحاح الأحاديث حتى امتلأت به المجاميع .

وبشيء من الايجاز فإن حركة الوضع قد تطورت مع الزمن بدون تحفظ كما هو الشأن في كل شيء يتصل بحياة الناس ، والمحطت في اهدافها الى ان اصبحت من وسائل العيش واللهو فلا يجد القصاصون واتباع الحكام ما يمنهم عن ان يضعوا حديثا متصلا الى الرسول أو الامام في مدح أو ذم أو ترغيب بعمل عن نية سيئة احيانا وعن بلاهة وغباء في بعض الأحيان .

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن غياث بن ابراهيم وقد دخل على المهدي العباسي وهو يلهو بالرهان على الحمام ، فروى له ان الرسول ﷺ قال : لا سبق إلا في خف او حافر او جناح ، فكافأه بعشرة آلاف درهم ولما خرج من مجلسه قال له المهدي : اشهد ان قفاك قفا كذاب على رسول الله لانه لم يقل أو جناح ولكنك أردت أن تقترب اليه .

والذي لا يحوز التنكر له ان محدثي السنة من أواسط القرن الخامس كانوا اكثر وعياً وادراكا للاخطار التي احاطت بالحديث الشريف من محدثي الشيعة فألفوا بالإضافة الى كتب الرواية واحوال الرجال عشرات الكتب خلال قرنين من الزمن حول الموضوعات وبعضها يحمل هذا الاسم بالذات ، ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن الجوزي العالم الشهير الذي ألف كتابه الموضوعات في ثلاثة اجزاء خلال القرن السادس الهجري وقالت بعده المؤلفات في هذا الموضوع فألف السيوطي والفتني وغيرهما بنفس التخطيط والاسلوب واصبحت كتبهم من اجل المصادر واكثرها فائدة لمن يريد أن يكتب في هذه المواضع .

أما الشيعة فقد تجاهلوا هذا الموضوع وكأنه لا يعنيهم من امره شيء في حين ان الموضوعات بين مروياتهم لا تقل في عددها واخطارها عن الموضوعات السنية ، وكل ما في الأمر أنهم عاجلوا مشاكل الحديث عن طريق مؤلفاتهم في علمي الرجال والدراية اللذين يبعثان عن احوال الراوي والرواية ويضعان الخطوط العامة لما يصح الاعتماد عليه وما لا يصح ، ولكنهم لم يحاولوا خلال

هذه القرون الطوال ان يضعوا ولو كتاباً واحداً يشتمل ولو على نماذج من الموضوعات في مختلف المواضيع ، في حين انهم لا يزالون يعانون مما تركته تلك الموضوعات من آثار سيئة على المذهب الشيعي البعيد عن الشذوذ والأساطير والخرافات التي ادخلها المرتقة من اتباع الحكام والقصاصون وقادة الفرق والأحزاب .

وظهر الى جانب هؤلاء وضاعون من طراز آخر كانوا يضعون الحديث بلسان أئمة الشيعة بدافع الفسيرة على الاسلام في الترغيب والترهيب ، ويدعمون مقالاتهم وموضوعاتهم بروايات مفادها ان النبي والامام (ع) قالوا : من بلغه ثواب على عمل فعمله ابتغاء ذلك الثواب أوتيه وان لم يكن رسول الله قاله ، يفعلون ذلك تقريباً اليه ويحسبون انهم يحسنون صنعا وانتشر هذا اللون من الموضوعات بين السنة والشيعة ، ووجد القصاصون من خلاله مبرراً لاساطيرهم التي امتلأت بها الجواميع السنية والشيعة وكان من نتيجة ذلك ان تاه الكثير من الصحيح بين المكذوب ووجد الحاقدون على الاسلام والتشيع مجالا واسعا للتشويش والتشنيع امضى من اي سلاح آخر واشد فتكا من اسلحة المشركين واعداء اهل البيت كمحب الدين الخطيب وجماعة الوهابية وامثالهم من المأجورين والحاقدين .

متى ابتدأ الكذب في الحديث

يدعى الذين عالجوا هذه المواضيع من مؤلفي السنة ان الحديث بقى صافياً وسليماً من الكذب والتعوير خلال المدة التي اجتمع فيها المسلمون على الخلفاء الراشدين واستمر على ذلك الى أن انقسمت الامة الى أحزاب وشيع واندس في صفوفها اهل المصالح والاهواء .

وكانت الفتنة التي اودت بعمان فهزت العالم الاسلامي على حد تعبيرهم ، وكان من نتائجها انتقال الخلافة لعلي بن ابي طالب عليه السلام ، ولكن الاحداث كانت أقوى من ان تسمح للهدوء والسلام ان يعودا إلى الدولة ، فحصل الانقسام بين المسلمين وفي معسكره ، وجر هذا الصراع الذي ليس ثوباً جديداً حروباً طاحنة في البصرة وصفين كان من اسوأ نتائجها تلك الهدنة التي نتج عنها رجوع معاوية إلى الشام أقوى مما كان عليه قبل الحرب وظهور الحزب الذي انشق من جيش علي عليه السلام وتمرد على الفريقين علي ومعاوية ، لأن علياً حكم الرجال في دين الله كما يزعمون ، ومعاوية يريد ان يتولى الحكم رغماً عن إرادة الامة ، وبعد استشاد علي عليه السلام توالت الاحزاب والفرق واتخذت لنفسها الطابع الديني الذي كان له أبلغ الاثر في تأسيس تلك المذاهب والاحزاب في تلك الفترة من تاريخ الاسلام ، وحاول كل حزب ان يدعم مذهبه وحزبه بالقرآن والسنة ، فتأول بعضهم القرآن كما يريدون ، وفسروا

السنة بما يتفق مع ميولهم ورغباتهم واتجاهاتهم ، ولم يجدوا سبيلا لتحريف القرآن لأنه محفوظ ومكتوب لا يحمله إلا القليل ، ووجدوا السبيل سهلا لتأويل السنة وتحريفها فحرفوها وزادوا فيها ، ووضعوا آلاف الأحاديث ونسبوها الى الرسول ، وبدأت حركة الوضع والكذب تنشط مع نشاط الأحزاب وتوسع باتساعها الى ان بلغت ذروتها في القرن الثاني وما بعده ، وتناولت جميع جوانب حياتهم الخاصة والعامة ، و اضافوا الى ذلك ان الشيعة كانوا من ابرز الفرق والأحزاب في هذا الأمر فوضعوا آلاف الاحاديث على حد تعبيرهم التي تؤيد خلافة علي وبنيه ، ولم يكتفوا بذلك حتى وضعوا اكثر منها في ذم الخلفاء الثلاثة والطمع عليهم ، وكان على رأس موضوعاتهم حديث الفدير والوصاية الى علي عليه السلام وغير ذلك مما يرفع من شأن فاطمة والحسن والحسين وغيرهم من أهل البيت ، حتى بلغت الاحاديث الموضوعة عن طريقهم في الفضائل وحدها ثلاثمائة ألف حديث على حد زعم الخليل بن احمد في الإرشاد وغيره ، وبعد ان انتشر الكذب الشيعي قابلهم الجهة من اهل السنة الذين راعهم ما دسه أولئك من الاحاديث المكدوبة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقابلوا الكذب بكذب مثله ، ولكنهم كانوا اكثر تحفظاً منهم ورعاية لدينهم ، فوضعوا في فضائل الثلاثة بعض المرويات ليقابلوا بها ذلك السيل من مكذوبات الشيعة ، كما وضع انصار معاوية عددا من المرويات في فضله وفضل الامويين وحمص والشام وغيرهما من المدن لما وجدوا تلك الموضوعات الشيعية التي تمس كرامة الامويين وتسيء الى معاوية وحزبه ليقابلوا الباطل بمثله ، وايد جمهور أهل السنة رأيهم هذا ببعض النصوص المنسوبة الى الشافعي وعامر الشعبي ، وحماد بن سلمة وغيرهم من شيوخ الفقه والحديث التي تصف الشيعة والرافضة بالكذب على علي وبنيه ، واستطرد السباعي في حديثه عن الموضوعات يقول: وليس من المعقول ان يقاتر احد من الصحابة على الرسول ، او يخوضوا في

الكذب عليه ، وهم الذين سمعوه اكثر من مرة يقول : من كذب علي متعمداً
فليتبوأ مقعده من النار .

ويقول : ان كذباً علي ليس ككذب علي احد ، من كذب علي اكبه الله
في النار ، ومن غير المعقول أيضاً ان يحازف احد منهم بالنور النبوي الذي
خالط قلبه وروحه ليطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة أو للانتصار
على حزب ، او للتقرب من شخص ، وان اية محاولة في سبيل اثبات الوضع
من قبل الصحابة ستبوء بالفشل لكثرة الادلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم
وبعدهم عن المعاصي ، بل ان الادلة على انهم كانوا حفظة الشريعة يذبون عن
السنة التحريف والتأويل اكثر من ان تحصى ، هذا بالاضافة الى جرأتهم
المثالية في الحق ، وهي جرأة لم ترهض لهم بأن يسكتوا عن آبائهم وأعز
للناس اليهم اذا انحرفوا عن سواء السبيل ، الى كثير من امثال هذه الصفات
التي يلصقها الكتاب في الصحابة بما فيهم معاوية بن هند و مروان بن الحكم
والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وامثالهم ممن تمردوا على الرسول والاسلام
ومبادئه في حياة الرسول وانطلقوا مع شهواتهم ومصالحهم بعد وفاته الى ابعد
الحدود ، لا شيء إلا ليضعوا الشيعة في قفص الاتهام ويلقوا عليهم وحدثهم
تبعة هذه الجريمة النكراء ويحملوهم اوزار من افترى على الرسول الى يوم
الدين عملاً بالحديث الشريف : من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة .

بهذا التسلسل المتوالي يصور محدثو السنة ومؤلفوهم مراحل الكذب في
الحديث تصويراً لا يستند على المنطق ولا تلمح اليه الادلة من قريب أو بعيد
بل تكذبه عشرات الادلة والشواهد ومنطق الحوادث التي رافقت عصر
الصحابة ، كما سنبين ذلك خلال هذا الفصل ، ولا يسعنا ونحن بصدد تحديد
الزمان الذي بدأ فيه الكذب على الرسول ان نمر بهذا الرأي الذي يعبر عن
رأي الجمهور بدون ان نكشف الاخطاء العلمية والتاريخية التي ينطوي عليها

هذا الاسراف بالقلوب في تنزيه جميع الصحابة عن الكذب ووضعهم في مستوى القديسين والملائكة الابرار مع انهم مارسوا جميع الفتن والمنكرات بعد وفاته وفي حياته بلغ بهم الحال ان يعملوا على اغتياله وخططوا لتنفيذ جريمتهم وكادت ان تقع لولا ان القرآن الكريم قد كشف امرهم ، هذا بالإضافة الى تحاذلهم عن نصرتهم في بعض الغزوات وتجسسهم عليه الى غير ذلك مما نص عليه القرآن في سورة التوبة وغيرها ، مع انهم كانوا الى جانبه يرون ويدركون انوار النبوة وسمو الرسالة واخلاص القائد في سبيلها وحرصه البالغ على تطهير نفوسهم واقتلاع بذور الشرك والنفاق منها منذ بعثه الله الى اليوم الذي اختاره اليه .

وأين كان النور النبوي الذي خالط قلوبهم وامتزج بدمائهم على حد زعم الخطيب والسباعي وغيرها من مؤلفي السنة الذين حاولوا في مؤلفاتهم ان يضموا الصحابة كلهم في صفوف القديسين وهم يتآمرون على اغتياله ويتقاعسون عن نصرتهم ، ويدعون بأنه قد أذن لهم في التخلف زورا وبهتانا ، كما جاء في الآية من سورة التوبة :

« قل الله اذن لكم ام على الله تفترون ... »

وأين كان نور النبوة من أولئك الذين كانوا يفرحون إذا أصابته مصيبة ، كما جاء في الآية :

« وان تصيبك حسنة تسمؤم ، وان تصيبك سيئة يفرحوا بها .. »

وهل استطاع الاسلام بمبادئه واخلاص قائده وجهاده المتواصل ان يقتلع بذور الشرك والنفاق من نفس ابي سفيان وولده ، وعمرو بن العاص وغيرهم ممن اسلموا خوفاً وطمعاً ، وتركوا تاريخاً حافلاً بالمخازي والمنكرات ، وهل يستبعد أحد على من كانوا يكيدون للنبي ويتحدون إرادته في كثير من الأحيان ، وجرفتهم الاهواء بعد وفاته إلى حيث تشاء ، هل يستبعد أحد على هؤلاء أن يكذبوا على الرسول ويضعوا الاحاديث في فضل من يحبون

وذم من يكرهون ، هذا بالإضافة إلى أن النبي ﷺ ، لم يقف موقف المهدد والمخوف للكذبة عليه بمختلف الأساليب لولا احساسه بوجود فريق من الكذابين عليه قد انتشروا بين أصحابه وحدثوا عنه بما لم يحدث به ، فلقد وقف في أكثر من مناسبة يهدد ويخوف ويتوعد من يرتكب هذه الجريمة بألفاظ مختلفة في نصها ومحتواها ، فقد جاء في بعضها ان الذي يكذب علي يبنى له بيت من النار ، وفي بعضها الآخر ان من يكذب علي يكلف يوم القيامة ان يعقد بين شمرتين ، إلى غير ذلك من الصيغ المختلفة التي وردت حول الكذب عليه كما أحصاها عبدالرحمن بن الجوزي في كتابه الموضوعات (١) وقد عد المحدثون من السنة هذا الحديث من نوع المتواتر لأن الذين رووه عن النبي أكثر من ستين صحابياً على حد زعمهم ومن المستبعد أن يكون اهتمام النبي ﷺ بهذه الناحية بدافع الاحساس والتحسب لما سيحدث بعد عصره من الافتراء عليه ، كما يزعمون ، ذلك لأن ما حدث بعد عصره من الكذب عليه لم يخرج عن كونه مصداقاً للكذب الذي ندد به القرآن الكريم وتوعد عليه بالنار والعقاب في عشرات الآيات ، وليست هذه الاحاديث بأشد وقعاً على الكاذبين وأكثر تهويلاً من الآيات الكريمة الكثيرة التي وضعت للكاذبين في مستوى الكفار والمنافقين وأورثتهم اللعنة إلى يوم الدين .

هذا بالإضافة إلى أن جماعة ممن رووا هذه الاحاديث رووا أيضاً ان النبي ﷺ لم ينطق بها عفواً ولم يخاطب بها الأجيال البعيدة عن عصره كما يزعمون وذكروا حادثتين وقعتا في حياته بدا عليه منها الانزعاج فوقف يهدد ويتوعد وأرسل كلمته التي رواها ستون صحابياً أو أكثر .

الأولى منهما كما جاء عن عطاء بن السائب ان عبد الله بن الزبير قال يوماً لأصحابه : اتدرون ما تأويل هذا الحديث ؟ من كذب علي متعمداً ، فقالوا

(١) انظر ص ٥٥ من المجلد الأول لابن الجوزي .

لا علم لنا بذلك ، فقال : إن رجلاً من المدينة عشق امرأة فأتى أهلها فلم يزوجه منها فلبس حلة وأتى أهلها وقال لهم : ان رسول الله ﷺ قد بعثني إليكم لكي اتضيف في أي بيت شئت من بيوتكم وكان ينتظران ينام عندهم ليتصل بتلك المرأة ، فأتى رجل منهم رسول الله فقال له إن فلاناً أتاناً يزعم أنك أمرته ان يبيت في أي بيوتنا شاء ، فقال : كذب والله ، ثم أرسل رجلاً وأمره ان يضرب عنقه ان تمكن منه ويحرقه في النار ، فلما خرج دعاه رسول الله ونهاه عن احراقه بعد قتله لأنه لا يعذب في النار إلا رب النار ، ورويت هذه الحادثة عن طريق صالح بن حبان عن ابن بريدة عن أبيه بتفاوت يسير لا يغير المعنى .

والثانية رواها ابن سعد في طبقاته، والطبراني عن المقنع التميمي انه قال : اتيت النبي ﷺ بصدقة ابلنا وقلت له : ان فيها ناقتين هدية لك ، فامر بعزل الهدية عن الصدقة ، فكث اياما وخاض الناس ان رسول الله باع خالد بن الوليد الى رقيق مصر فصدقهم ، فقلت : والله ما عند اهلنا من مال فأتيت النبي ﷺ فقلت له : ان الناس خاضوا في كذا وكذا فرفع النبي ﷺ يديه حتى نظرت الى بياض ابطنه وقال : اللهم لا احل لهم ان يكذبوا علي ، قال المقنع : فلم احدث بحديث عن النبي ﷺ إلا حديثنا نطق به كتاب او جرت به سنة .

ومهما كان الحال فسواء صحت هذه المرويات أو لم تصح فالمعاصرون للنبي من الصحابة لم يكونوا في مستوى واحد كغيرهم من سائر الناس في مختلف العصور، فمنهم الصديقون الابرار الذين طهرت نفوسهم الصعبة من الفجور ، والآثم ، ومنهم المسلم الذي لم يبلغ مرتبة هؤلاء ، ومنهم المتستر بالاسلام الذي يستبجح كل شيء في سبيل تحقيق اهدافه ورغباته ، ونحن لا ندعي وقوع الكذب منهم على الرسول في حياته بصورة قاطعة ، لان الارقام التي بايدينا لا تنتهي بنا الى هذه النتيجة ، ولكننا لا نستبعد بل نقر به اعتقادا

على هذه المرويات وغيرها من القرائن والملايسات التي كانت تحيط بهم لا سيما وقد اذاتهم القرآن والرسول قوصنهم القرآن بالنفس. اذ كما وصفهم الرسول بالارتداد كما ذكرنا من قبل ، لا نستبعد منهم في مقابل اولئك الذين يرونه من المستحيلات من غير ان يقدموا دليلا واحداً على ذلك سوى التلاعب بالالفاظ والتهويز بشرف الصحبة والنوار النبوة ومواقفهم المشهورة من الاسلام .

ونحو ذلك مما لا يفيد الظن فضلا عن القطع باستحالة منهم في حياته وبعدهما كما يزعمون .

وبجمل القول انه اذا جوزنا ان يكون عصر النبي خاليا من الكذب ، فليس بإمكان احد أن يثبت خلو عصر الصحابة من الكذب ووضع الاحاديث بالارقام التي تفيد القناعة والاطمئنان الى ذلك .

وبإمكان الفاحص ان يجد عدداً من الشواهد والادلة على تفشي الكذب عليه بين الصحابة انفسهم قبل قيام الاحزاب والفرق بأكثر من عشرين عاماً وقد احس بهذه الظاهرة جماعة من الصحابة فوقفوا موقفاً صلباً من الرواة والمحدثين عن الرسول ﷺ منهم عبد الله بن العباس القائل : كنا نحدث عن رسول الله فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .

ومنهم علي بن ابي طالب عليه السلام الذي كان لا يقبل الرواية إلا إذا شهد عليها عدلان من المسلمين ، واحياناً كان يستحلف الراوي كما تنص على ذلك بعض المرويات .

ومنهم عمر بن الخطاب الذي ضرب ابا هريرة بدرقه وهدده بالنفي من المدينة ان هو ظل يحدث الناس بما لم يحدث به الرسول ، وقد احس بالفرج عندما مات عمر بن الخطاب فاخذ يحدث بما لذ وطاب ، وحتى السيدة عائشة

كانت تنكر بعض مروياته عن الرسول ، فقد حدث يوماً عنه انه قال : من أصبح جنباً فلا صوم له فانكرتها عليه كما جاء في صحيح البخاري ، وقالت ان رسول الله كان يصبح جنباً ويبقى على صيامه ، ولما كثر الحديث حول هذه الرواية اسندها إلى الفضل بن العباس وكان يوم ذاك قد انتقل لجوار ربه .

وجاء في كتاب اختلاف الحديث للشافعي . ان أبا بكر بن عبد الرحمن قال : كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة من قبل معاوية فقبل له ان أبا هريرة يروي عن الرسول ﷺ انه قال : من أصبح جنباً فلا صوم له وافطر ذلك اليوم ، فقال مروان : اقسمت عليك يا أبا عبد الرحمن لتذهب إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألها عن ذلك ، ولما سألهما أجابتا بأن رسول الله ﷺ كان يصبح صائماً وأنكرتا على أبي هريرة حديثه ، ولما رجع إلى أبي هريرة بجوابيهما بأمر من مروان بن الحكم ، قال له لقد اخبرني عن رسول الله ﷺ بذلك .

وجاء في رواية فتح الباري لابن حجر ان مروان بن الحكم قال لعبد الرحمن : لتقرعن بجوابيهما أبا هريرة ، فكره عبد الرحمن ان يكون عنيفاً مع أبي هريرة كما يريد مروان ، ولما اجتمع به في ذي الحليفة وكان له ارض بها ذكر له جواب السيدتين عائشة وأم سلمة ، فقال : كذلك حدثني الفضل بن العباس ، ولما روى عن رسول الله انه قال : الشؤم في ثلاثة الدار والفرس والمرأة انكرت عليه حديثه وقالت : ان رسول الله قال : كان اهل الجاهلية يقولون : ان يكن الشؤم ففي ثلاثة الدار والمرأة والفرس ، إلى غير ذلك من مواقفها معه التي تبعث الريب والشك في مروياته .

وجاء في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة انه لما أكثر أبو هريرة من الرواية عن الرسول وحدث بما لم يحدث به أحد ممن كانوا ألصق به منه وأكثر

ملازمة له انهم المهاجرون والأنصار وانكروا عليه ، وكانت عائشة اشدّهم انكاراً واكثرهم تشهيراً به .

ولما قالت له إنك تحدثت عن رسول الله بأحاديث لم اسمعها منه ، أجابها كما جاء في رواية البخاري وابن كثير : لقد شغلك عن رسول الله الميل والمكحلة ، وأما الأنصار فكان يشغلهم الصفق في الاسواق .

كما جاء في تأويل مختلف الحديث ص ٤٩ و ٥٠ ان عمران بن حصين أحد الصعابة الذين اسلموا في السنة السابقة من الهجرة قال: والله اني كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك ان رجالاً من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت يحدثون بأحاديث ، ما هي كما يقولون واخاف ان يشبه لي كما شبه لهم .

وجاء في سيرة أعلام النبلاء ج / ٢ / ص ٤٣٦ ان بسر بن سعد كان يقول : اتقوا الله وتحفظوا في الحديث ، والله لقد رأيتنا نجالس ابا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب ثم يقوم فيجعل بعض من كان معنا حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول الله .

وجاء في كتاب شبهة التشبيه لابن الجوزي ص ٣٨ ان الزبير بن العوام سمع رجلاً يحدث فاستمع إليه حتى إذا قضى حديثه قال له : انت سمعت هذا من رسول الله؟ قال نعم ، فقال الزبير: هذا والله واشباهه مما يمنعاني ان احدث عن النبي ﷺ ، لقد سمعت رسول الله يحدث بهذا الحديث وانا صغير عن اهل الكتاب فبحثت انت تحدث به وتنسبه الى رسول الله وهو ليس من أحاديثه .

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير . ان عمر بن الخطاب قال لابي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله والا ألحقك بأرض دوس ، كما قال لكعب

الأخبار : اذا لم تترك الحديث عن رسول الله الحقتك بأرض القردة^(١) الى غير ذلك من الأدلة والقرائن التي تفيد القطع بأن الكذب في الحديث قد انتشر في عهد الصحابة وفي الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ حيث تيسر لضعاف الإيمان والحاقدين والمنافقين ما لم يتيسر لهم في حياته ، حيث الوحي كان لا يخفي عنه اكثر مخططاتهم ومكائدهم ، ويكشف له حق عما يبيتون ويضمرون من سوء له ولدعوته في بعض الاحيان ، ومن الممكن ان يكون لذلك أثره في عدم تفشي الكذب عليه في حياته ، اما وقد انتقل الرسول الى ربه وانقطع وحي السماء عن اهل الارض ، فلم يعد ما يمنع الحاقدين من بث سمومهم والكيد للاسلام بكل الوسائل ، ومن المقطوع به ان الكذب عليه في الفترة التي تلت وفاته كان اقل منه بعد ان اتسعت رقعة الاسلام ، وتشعبت الامة حيث وجد أعداء الاسلام منفذاً لبث سمومهم وأراجيفهم بين صفوف المسلمين للتشويش على سفته وسيرته ، ذلك لأن الطبقة الاولى من الصحابة كان فيها من يحاسب ويراقب ويحاول الحد من نشاط المشبهين والمتهمين .

وقد اكدت النصوص الصحيحة ان علياً كان يراقب جماعة من المحدثين عن الرسول ، ولا يقبل الحديث إلا ان يرويه اثنان من اتقياء الصحابة ، فان لم يكن ذلك يتوقف حق يحلف له الراوي اليمين بأنه سمعه من الرسول ﷺ ، وعمر بن الخطاب قد هدد وتوعد المكثرين من الحديث كأبي هريرة وأمثاله .

وجاء عن ابي هريرة انه كان يقول ويحدث في خلافة عثمان بما لذه له وطاب ، ويقول للناس : افكنت محدثكم بهذه الاخبار وعمر بن الخطاب حي ، أما والله لأيقنت ان الخففة ستباشر ظهري . وجاء عنه انه جمع من أحاديث رسول الله وعامين حدثت بأحدهما في عصر الطبقة الاولى من الصحابة

(١) انظر جلد ٨ من البداية والنهاية ص ١٠٦ .

ولكنه لم يستطع ان يحدث بشيء من الوعاء الثاني إلا في الفترة الأخيرة من حياته^(١).

ولو تجاهلنا جميع ما ذكرناه وذكره غيرنا من الأدلة التي لا تدع مجالاً للريب في ان الكذب على الرسول قد حدث بعد وفاته : من الصحابة ومن دخلوا في الإسلام في تلك الفترة من النصارى واليهود والمجوس ككعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم بقصد التشويش والتخريب ، لو تجاهلنا جميع ذلك واستعرضنا بعض الروايات التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين يقدسهما الجمهور الاعظم من اهل السنة ويضعهما في المرتبة الثانية من كتاب الله ، كرواية الجساسة التي نقلها تميم الداري ورواها مسلم في صحيحه بأسانيد مختلفة عن الصحابة وغيرها من الروايات التي اسندها الصحابة الى النبي ﷺ ورواها الشيخان— لا بد وان تنتهي الى احد امرين لا ثالث لهما ، اما تكذيب الصحابة في تلك الروايات ، واما اشتغال الصحاح على الاحاديث المكذوبة لو كانت تلك الروايات من موضوعات المتأخرين عن الصحابة ، وهذا ما لم يلتزم به الجمهور الاعظم وحق السباعي والخطيب وغيرها ممن يؤكدون سلامة عصر الصحابة من هذه الجريمة . فقد جاء في صحيح مسلم^(٢) ان رسول الله جمع الناس ووقف فيهم خطيباً ، وكان مما قال : اني ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ، ولكني جمعتكم لأن تميا الداري^(٣) كان نصرانياً فبايع واسلم وحدثني انه ركب سفينة بحرية

(١) انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٥٢٠ من المجلد الثاني صحيح مسلم .

(٣) هو تميم الداري من نصارى اليمن ، وكان تميم مع قبيلته في قرية من قرى فلسطين وقد على النبي (ص) بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهو من رهبان المسيحية ورجع إلى الشام بعد مقتل عثمان والتحق بمعاوية ونشر فيها مفارقاته ودساتسه ، وكان مع ذلك من القصاصين في المساجد والمجتمعات بأمر من معاوية .

مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام قلع بهم الموج شراً في البحر ثم ارفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، وانهم دخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره ، فقالوا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، ثم اشارت عليهم ان يتطلعوا إلى رجل في الدير وشارت إليه ، فدخلوا الدير فاذا فيه اعظم انسان رأيناه خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، ولما عرف بأنهم من العرب سأهم عن نبي الأميين ما فعل ، قالوا : قد خرج من مكة ونزل بيثرب ، قال : قاتله العرب ؟ قالوا نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبروه بأنه ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال اني أخبركم عني : اني أنا المسيح واني يوشك ان يؤذن لي في الخروج فأخرج واسير في الأرض أربعين يوماً فلا ادع قرية إلا مبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة فانهما محرمتان علي كلتاهما ، كلما اردت ان ادخل واحدة منها استقبلني ملك بيده سيف مصلت يصدني عنهما . وبعد ان انتهى النبي ﷺ من هذا الحديث طعن بمخبرته على المنبر وقال : هذه طيبة ثلاثا ، يعني بذلك المدينة .

وجاء في صحيح البخاري عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال : ان جهنم يوم القيامة تبدو وكأنها في أشد حالة من الغضب تحتاج على الله ليفي بوعده حيث قال : ﴿ لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ ، فعند ذلك يضع رجله فيها فتمتلئ ويسكن غضبها .

وجاء فيه أيضاً ان النبي ﷺ أثر فيه السحر وغاب عن وعيه ولم يعد يعرف من أمره شيئاً ، واستمر على هذا الحال إلى ان ذهب بعض أصحابه إلى بشر في نواحي المدينة فأبطل مفعول السحر .

وجاء فيه أيضاً : ان بني اسرائيل اتهموا موسى بعاة في بدنه فنزع ثيابه ووضعها على حجر ففض بها الحجر يتخطى شوارع المدينة وموسى يعدو وراءه

عاريًا ويقول ثوبي حبر، يكررها وأهل المدينة ينظرون إليه فلم يحدوا به شيئاً^(١). إلى غير ذلك من الأساطير الكثيرة التي روى قسماً منها البخاري في صحيحه، وروى بعضها الآخر مسلم في صحيحه أيضاً. هذه الأساطير من صحاح الحديث عند محدثي السنة، ويكفي في صحتها أن يرويها الشيخان أو أحدهما والنتيجة الحتمية للالزام بصحتها هو صدورهما عن النبي ﷺ، ولا اظنهم لو أمعنوا النظر فيها يسمعون لأنفسهم أن يضعوا النبي ﷺ بهذا المستوى الذي لا يرضاه أي إنسان لنفسه ولا يليق بأجهل الناس وأغلبهم، وهو أجل وأرفع من أن يستمع إلى حديث الجساسة أو يحدث به أصحابه مؤمناً بصحته كما يحاول رواؤه، ولا بد لهم من الالتزام بأحد أمرين كما ذكرنا من قبل، إما تكذيب الصحابة في هذا النوع من المرويات، ولازم ذلك أن عصر الصحابة لم يكن خالياً من الكذب على الرسول كما يدعون، أو الالتزام بأن هذه المرويات من موضوعات عصر التابعين أو تابعيهم ويلزمهم أن يراجعوا على كلا التقديرين عن موقفهم المتشدد بالنسبة إلى مرويات البخاري ومسلم.

ولو تفاضينا عن كل هذه الغرائب والخرافات وعن جميع الشواهد التي تدل دلالة قاطعة على أن الصحابة وضعوا عشرات الأحاديث على الرسول ﷺ وسبقوا المشيعين لعلي في هذه الجريمة، لو تفاضينا عن كل ذلك فلا يسعنا إلا الوقوف طويلاً مع أحاديث الارتداد، التي اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم، والتي تنص على أنهم ارتدوا عن الدين بعد النبي ولم ينج منهم إلا مثل همل النعم كما جاء في بعض مرويات الشيخين الجليلين.

هذه الأحاديث التي تكررت في صحاح أهل السنة بصيغ مختلفة وفي جميعها يبدو النبي العظيم، وكأنه يعبر عن حزنه العميق وأسفه الشديد على جهوده المضنية في سبيل الإسلام ومبادئه وتركيزها في نفوس المسلمين عامة

(١) انظر صحيح البخاري جلد ٢.

وبخاصة أولئك الذين رافقوه في أكثر المراحل التي مرت بها دعوته ، وكان يحرص أشد الحرص على أن لا يذهب عن دنيائهم إلا بعد اقتلاع بذور الشرك والنفاق من نفوسهم وتطهيرها من رواسب الجاهلية وظلماتها المتراكة عبر السنين الطوال، واعدادهم لحمل الأمانة وإداء الرسالة والعمل بحمد وإخلاص في سبيل الله وخير الناس أجمعين ، وإذا به بعد هذه الجهود يطل على غدم المظلم ومصيرهم المحفوف بالمخاطر، فيقف موقف الحزين الكئيب مستغيثاً بربه لينقذهم مما هم فيه من البلاء والعذاب، فيأتيه النداء بأن أصحابك لا تنفهم شفاعة الشافعين لأنهم ارتدوا على أديبارهم من بعدك ففسيروا وبدلوا وانحرفوا عن صراطك المستقيم ونهجك القويم إلى حيث قادتهم الأهواء والشبهوات والمطامع والانانيات فلا ينجو منهم إلا القليل القليل، ولم يتخلف عن موكب الارتداد عن سيرتك وقعاليمك إلا مثل همل النعم^(١).

ومع وجود هذا النوع من المرويات في صحيح شيخ المحدثين محمد بن إسماعيل وبقية الصحاح التي اعترف بصحتها الجمهور الأعظم من المحدثين والفقهاء تراهم يناقضون أنفسهم، حينما يدعون بأنه من المستحيل أن يقدم أحد من الصحابة على الكذب على رسول الله بعد أن عرف جزاء الكذب عليه ، ويضيفون إلى ذلك أنه من غير الممكن أن يحازف أحد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه فيطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة ، أو للتقرب من شخص معين، وأن أية محاولة لاتهامهم بهذه الجريمة ستبوء بالفشل

(١) وهي الأبل التي لا تستطيع اللحاق بالقطيع اما لضعفها او لغير ذلك مما يمنحها من السير مع رفيقاتها ، وبلا شك أن نسبة هذا النوع من التعم إلى مجموع القطيع لا تزيد عن الاثنين بالنسبة إلى العشرة في الغالب، وقد جاء هذا التمييز كناية عن أنه لا ينجو منهم إلا القليل القليل.

وتعارضها الأدلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم ويعدّهم عن المعاصي والبدع والاهواء (١) .

وبالطبع يحاول أهل السنة بهذا التصور للصحابة ان لا يفسحوا المجال لتسرب الشك في الخلافة الاسلامية بالشكل الذي صارت عليه، ويريدون ان يضعوا الجميع فوق الشبهات لهذه الغاية، ولو كان الصحابي كسمرة بن جندب صاحب النخلة الذي كان يؤذي الانصاري باستغلالها ويدخل عليه داره ولو كان هو وعائلته في وضع لا يسمح لأقرب المقربين بالدخول عليهم ، في حين انه رفض بيعها للنبي ﷺ بالرغم من الوعود المغرية التي تحفظ لكل منها حقه ، فكان من نتيجة هذا الموقف مع النبي انه اعطى الحق لصاحب الدار بأن يقلع له غخلته، واصدر ذلك المبدأ العام الذي اتفق عليه اكثر المسلمين سنيهم وشيعتهم « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام »، واصبح من المبادئ العامة التي يعتمد عليها الفقه الاسلامي فيما يشبه هذه الحادثة من موارد سوء استعمال الحق ، او كان كمعاوية ومروان والمغيرة وابن العاص وولده عبد الله؛ وطلحة والزبير اللذين تزعم حركة المعارضة لخلافة علي بن أبي طالب بقيادة السيدة عائشة، وكان من نتائجها ان استشهد ما يقرب من خمسين ألفا أكثرهم من المسلمين الأبرياء الذين غررتهم السيدة عائشة بوقوفها هذا الموقف الذي حذرنا منه الرسول في أكثر من مناسبة الى غير ذلك ممن مارسوا الفتن وجميع المنكرات، واذا استحال على جميع اصحابه ان يقدموا على المعاصي ويحجروا على الكذب عليه ويمحازفوا بنور النبوة الذي خالط قلوبهم وامتزج بدمائهم وارواحهم على حد تعبير أهل السنة ، فكيف يتصورهم النبي يساقون أفواجا الى جهنم ولا يفلت منهم الا القليل، ويدعي بعد ذلك بأن الله سبحانه قد وصفهم بالارتداد

(١) انظر السنة قبل التدوين وغيرها من مؤلفات السنة حول هذا الموضوع .

عن دينه وتحريف سنته وتجاهل احكامه ، واذا كانوا بهذا المستوى الذي وصفهم به الله ورسوله كما تنص على ذلك المرويات التي اثبتتها الشيخان في صحيحيهما فلماذا نستبعد عليهم ان يكذبوا على الرسول ويضعوا مئات الأحاديث ليدعموا بها فريقاً أو رأياً ، أو ليشوشوا على الاسلام ومبادئه ما دام الاسلام لم يخالف قلوب فريق منهم كما يؤكد ذلك القرآن واحاديث الارتداد من بعده ، ولماذا لم تحمل انوار النبوة بين المفسرة بن شعبة وبين المرأة التي زنى بها في البصرة يوم كان واليا لعمر بن الخطاب وقد شهد عليه أربعة من المسلمين بذلك ولكن الخليفة اسقط عنه الحد لأمر لا يعني ان نحدد ابعاده كما اتفق على ذلك المؤرخون .

ولو تفاضينا عن ذلك وتركنا للصحابة قداستهم التي تعصمهم عن الخطأ وجميع المنكرات كما يريد أهل السنة، فبماذا يعتذر أهل السنة عن كعب الاخبار ووهب بن منبه و اخيه عبد الله ، وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن دخلوا الاسلام من اليهودية والنصرانية والمجوسية ووضعوا مئات الأحاديث في التفسير واخبار الامم السالفة وفضائل البلدان والاقطار، وغير ذلك مما شاع عنهم وتناقله الرواة والمحدثون جيلاً عن جيل ونسبوا اكثره الى الرسول ﷺ .

وجاء في تذكرة الحفاظ للذهبي ان كعب الاخبار قدم من اليمن في خلافة عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، ومات بجمص بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الاسلامية بخرافاته اليهودية كما فعل تميم الداري صاحب حديث الجساسة بخرافاته النصرانية، وبما وضعه في فضل البلدان ونسبه الى الرسول انه قال : ليبعثن الله في مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفاً يوم القيامة لا حساب عليهم ولا عذاب .

وقال الذهبي في تذكرته: ان وهب بن منبه فارسي الاصل نشأ في اليمن ، وكان جده ممن بعثهم كسرى لنجدة اليمنيين على الأحباش ، واستوطن بها

فأخذ عن يهود اليمن كما أخذ الكثير عن النصرانية ، ولما دخل في الاسلام استطاع ان يخدع الكثير من المسلمين فروى عنه ابو هريرة وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم ، وكان يقول : لقد قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا ، وظل يتجول في بلاد المسلمين يبت فيها سمومه بأحاديثه واساطيره الى السنة التي مات فيها وهي سنة ١١١ هجرية ، وقيل أكثر من ذلك تلك المرويات التي يصور فيها الاسلام وكأنه يقوم على مجموعة من الخرافات والأوهام التي تنفر منها الطباع ولا تستسيغها العقول ، وجاء عنه كما في كتاب للتنبيه في الرد على أهل الأهواء والبدع للسلطي ص ٩٩ ان اربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم اربعة وجوه : وجه ثور ، وجه اسد ، ووجه نسر ووجه انسان ، ولكل واحد منهم اربعة اجنحة ، جناحان منها في وجهه يحفظانه من ان ينظر الى العرش فيصعق ، فيهفو بها لا ينطق إلا بقوله : قدوس الملك القوي ملأت عظمته السموات والارض .

كما جاء عن كعب الاحبار انه قال : الارضون السبع على صخرة ، والصخرة في كف ملك ، والملك على جناح الحوت ، والحوت في الماء والماء على الريح ، والريح على الهواء ريح عقيم لا تفتح ، وان قرونها معلقة في العرش ، الى غير ذلك من احاديث هذه الطبقة التي رافقت الطبقة الأولى من الصعابة وملأت الدنيا بالأساطير وخرافات الامم السابقة واستطاع هؤلاء بدهائهم ومرونتهم ان يخدوا من المسلمين آذاناً تصغي إليهم وقلوباً تتسع لتلك المرويات التي تناقلها الصعابة ومن بعدهم جيلاً عن جيل ، ووجد بها القصص والمرثقة ومن يحاولون الكيد للاسلام مصدراً يحقق أمانيتهم وأطماعهم ، ولما جاء دور التدوين والتأليف كانت تلك الاساطير قد انتشرت هنا وهناك الى جانب بقية المرويات عن الرسول ﷺ فدوّنوا كل ما وجدوه بدون تمحيص وتدقيق

فاختط الحق بالباطل وكانت ولا تزال سلاحاً للهدم والتخريب بيد الاعداء الى حيث يشاء الله .

وجاء في مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٧: ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والامية ، وإذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوف اليه النفوس البشرية في اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فإنهم كانوا يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين من العرب يومئذ اهل بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهود ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون إليها مثل بدء الخليقة وما يرجع الى الحداث والملاحم وامثال ذلك .

وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض وتساهل المقرون في مثل هذه الامور حتى ملأوا كتب التفسير بها .

وقال احمد امين في كتابه فجر الاسلام : ان وهب بن منبه كان من اهل الكتاب الذين اسلموا في وقت مبكر من تاريخ الاسلام ، وله اخبار كثيرة وقصص تتعلق باخبار الاوائل ومبدأ العالم وقصص الانبياء . وجاء في شذرات الذهب : انه كان قصاصاً بارعاً في هذا الفن .

واما كعب الاحبار او كعب بن مانع فيهودي من اليمن ، وهو من اكثر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين ، اسلم في خلافة ابي بكر ، او في اوائل خلافة عمر بن الخطاب ، وانتقل بعد اسلامه الى المدينة ، ومنها الى الشام ، واخذ عنه جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس ، وهما اكثر من روى عنه .

وجاء في الطبقات الكبرى لابن سعد انه ظل بعد اسلامه يحرص على قراءة اسفار التوراة وهو الذي اخبر عمر بن الخطاب بأنه سيقتل وذلك قبل مقتله بثلاثة ايام مدعياً أنه وجد ذلك في التوراة الى كثير من امثال هذه المقالات المنتشرة في كتب التراجم والحديث والتي لا تدع مجالاً للريب بأن هذه الفئة قد لبست المسوح وتظاهرت بالاسلام للتشويش والتخريب ، وكان سلاحهم هو إدخال الاساطير والخرافات بين تعاليم الاسلام وأحاديث الرسول فادخلوا عدداً كبيراً ونسبوا اكثره الى الرسول ﷺ زوراً وبهتاناً ، والشيء الغريب ان اكثر الذين عالجوا هذه المشكلة لم يتذكروا لهذه الحقيقة ، ومع ذلك يدعون ان عصر الصحابة كان خالياً من الكذب وظل بريئاً الى ان ظهرت الاحزاب والفرق فعندها وضعت الشيعة احاديث لا تحصى في فضل علي وبنيه ، ووضع اهل السنة في مقابلها ليقابلوا الباطل بمثله على حد تعبيرهم .

قال السباعي في كتابه « السنة ومكافئها في التشريع » : وأول معنى طرده الوضاع في الحديث هو فضائل الأشخاص فقد وضعوا الاحاديث الكثيرة في فضل أئمتهم ورؤساء أحزابهم ، وأول من فعل ذلك الشيعة على اختلاف طوائفهم ، فوضعوا اول ما وضعوا حديث الوصية في غدير خم وغيره من الاحاديث حول هذا الأمر ليؤكدوا خلافة علي بعد الرسول ﷺ ، وكما وضعوا الاحاديث في فضل علي وآل البيت وضعوا الاحاديث في ذم الصحابة وخاصة الشيخين ، ومضى المؤلفون حول هذه المواضيع يقولون : ان الرفضه اسرفت في وضع الاحاديث بما يتفق مع أهوائها وبلغت من الكثرة حداً مزعجاً بما دعا الخليل بن أحمد في الإرشاد أن يقول : لقد وضعت الرفضه في فضائل علي وأهل بيته نحواً من ثلاثمائة ألف حديث ، واستطرد السباعي كثيره من مؤلفي السنة في توزيع الأسباب الداعية الى الكذب في الحديث بعد انقراض عصر الصحابة الذي خلا من كل أنواع الجرائم ، وبخاصة هذا

للنوع منها على حد زعمهم، فقال: إن السبب الأول هو الخلافات السياسية التي ظهرت في أواخر خلافة عثمان وأوائل خلافة علي (ر ض) والصراع على الخلافة على حد زعمه كان السبب المباشر في وضع الحديث، وانتهى من ذلك إلى أن العراق أول بيئة نشأ فيها الوضع ، وأيد رأيه هذا بما جاء عن الزهري ، حيث قال : إن الحديث يخرج من عندنا شبرا فيرجع إلينا من العراق ذراعا ، وبما جاء عن مالك من أن العراق دار الضرب أي أنهم يضعون الأحاديث ، وبما جاء عنه أنه قال : لا تكلم الرافضة ولا تروي عنهم فإنهم يكذبون إلى غير ذلك من الكلمات التي نسبها لجماعة من المحدثين والفقهاء من أهل السنة والتي يتجسد فيها الحقد على الشيعة والتعلق للحكام الذين كانوا يطاردونهم ويراقبون جميع تحركاتهم وأحوالهم ، ونحن لا نريد من هذه الدراسة أن نبرئ الشيعة من الكذب في الحديث وأن نضع جميع المتشيعين لعلي (ع) في صفوف الأولياء والقديسين كما فعل أهل السنة بالنسبة بالنسبة إلى الصحابة أجمعين على اختلاف مراتبهم وصعبتهم ومواقفهم من رسالة الاسلام وتعاليمه في حياة النبي وبعد وفاته ، وإنما الذي نريده أن المتشيعين لعلي لم يكونوا البادئين في الكذب ووضع الأحاديث ، وقد أثبتنا بالأرقام التي لا تقبل الجدل أن بين من أسهم بالصحابة جماعة لم يتورعوا عما هو أفحش وأعظم من الكذب فضلا عن وضع الأحاديث التي تؤيد ميولهم واتجاهاتهم ، والأرقام تؤكد أنهم قد باشروا هذه المهمة بأنفسهم ، ونسبوا إلى الرسول ما لا يمكن أن يحدث به. كما أخذوا عن كانوا يعتنقون اليهودية والنصرانية والمجوسية . ومن أساطير الأولين عشرات القصص والحكايات وتركوها للأجيال تروىها عن الرسول ﷺ مع ما ترويه من آثاره في مختلف المواضيع ، وفي الوقت ذاته لا يسعنا أن نشكر أن حركة الوضع قد اتسعت لظهور الأحزاب السياسية والعقائدية ، وامتدت إلى خارج المدينة بعد انتقال

الخلافة الى سليل الأمويين عثمان بن عفان ، وأصبح أبو سفيان الأموي يتطلع إلى الحكم وله من ماضيه البعيد وحاضره القريب صفحات سوداء ظلت ماثلة في أذهان الالوف من الناس ممن امتدت أعمارهم واتصلت حياتهم بتلك الفترة الفارقة في زحمة الفتن والتنافس على الحكم باسم الدين والإسلام ، في حين أن الاسلام قد عراهم من جميع المؤهلات التي تشدّم الى الدين الجديد ، ولم يستطيعوا خلال تلك المدة التي تربط إسلامهم التقليدي الشكلي بشرهم المتأصل في نفوسهم ، أن يقدموا للعالم ولو بصيصاً من النور يتخلل تلك الظلمات التي تراكمت في نفوسهم ، ولا أن يتفقتوا من حقدّم على الاسلام وعلى البيت الهاشمي الذي يترعّمه علي (ع) بعد الرسول الأكرم ﷺ الغني بماضيه وحاضره بكل المؤهلات التي تشده إلى الحكم ، لولا الاطماع التي سدت عليه الطريق والظروف التي هيأت لغيره أن يحتل مركز القيادة ، ويملك الامر والنهي وتصريف جميع الامور ، وشامت التقادير والظروف أن يكون الحزب الأموي الحزب الوحيد المعارض للحاكم الشرعي علي ابن أبي طالب (ع) وأن ينضم إلى هذا الحزب فريق من الصحابة لم تتسع لاطماعهم عدالة علي (ع) ولم يتمكن أن يتفاضى عن سوء تصرفاتهم على حساب الآخرين ، هذا الحزب بعد أن أصبح الحزب الرئيسي الذي لم تتوفر فيه شروط الحاكم بنظر الاكثرية الغالبة من المسلمين ، كان يعمل بكل الوسائل لتدعيم مركزه الديني ، فسخر ذوي الاطماع والحاقدين على العلويين ممن التفوا حوله لوضع الاحاديث التي ترفع من شأنه وشأن البيت الأموي وتفضيل الخلفاء الثلاثة على جميع الناس . ووضعوا في تفضيل الشام وغيرها من المدن التي كانت أهلها يتشيعون لهم على جميع المدن وبقاع الارض . ووضعوا عشرات الاحاديث التي تسيء الى علي والبيت الهاشمي بقصد تضليل الناس والهاثمهم عما تناقلوه عن الرسول ومعموه في علي وبنيه كما سنثبت ذلك بالارقام في خلال البحوث التالية .

على ان الذين اختاروا علياً بعد مقتل عثمان لم يعتمدوا على المرويات في فضله عن الرسول (ص) كحديث الغدير والمنزلة والمواخاة، وحديث الراية يوم الخندق وغير ذلك مما كان ينوه به الرسول في اكثر المناسبات وكان ذلك معروفاً بين اكثر الصحابة كما نص على ذلك الشيخان في صحيحيهما وجماعة من محدثي السنة ، وإنما اعتمدوا على الكفاءة التي كان يتمتع بها ومكانته العالية بين المسلمين ، فلم تدعُ الحاجة يوم ذاك الى اختلاق حديث الغدير والوصاية وغير ذلك كما يزعم السباعي وغيره ، هذا بالإضافة الى ان المتشيعين لعلي الذين كانوا يرون الخلافة من حقوقه المنصوصة كان اكثرهم من الصحابة ، وهم الذين رووا حديث الغدير وغيره من الاحاديث التي تشير الى حقه في الخلافة بعد الرسول الأعظم (ص) ، وقد روى حديث الغدير حسب الإحصاء مائة وعشرون صحابياً منهم ابو هريرة وطلحة والزبير وعائشة وعمر بن الخطاب وولده عبد الله، وجنادة بن الصامت و سلمان الفارسي والعباس بن عبد المطلب وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم فعلاً، كما نص على ذلك الأمين في غديره وغيره ممن الفوا في هذه المواضع .

وجاء في مسند احمد بن حنبل ان علياً استنطق المسلمين عن حديث الغدير ايام خلافته فشهد له ثلاثون صحابياً بأنهم مسموعون من الرسول (ص)، فعلي (ع) في الفترة التي تقلد فيها الحكم لم يكن فيها ولا في غيرها محتاجاً لاستجداء الوضاعين والمرتزة ليعزز من خلال موضوعاتهم بطلاً وهمياً ثم يتبخر وكأنه لم يكن شيئاً ، بل كان وما زال وسيبقى في ذهن العدو والصديق والمتشيع وغيره رمزاً للبطولات والفضائل ومثالاً كريماً لاستاذة محمد بن عبد الله، ومدرسته كتاب الله وشريعته الخالدة .

اما غيره من اولئك الدخلاء الذين لم يكن لهم من ماضيهم وحاضرهم ما يؤهلهم لأن يكونوا بين المسلمين الاتقياء فضلاً عن الخلافة التي يجب ان تتوفر

فيها بالإضافة الى الدين القويم اكثر مميزات الرسول وخصائصه ، هؤلاء كانوا في امس الحاجة لشراء الضمائر وتسخير المرتزقة والحاquدين لينسجوا لهم ثوباً من الفضائل والمكرمات ليستروا به ماضيهم الاسود وحاضرهم الملوث عن اعين الذين لا يملكون من الوعي والتفكير ما يفرقون بين الجوهر والحصى ، ولكن الذين ينتحلون ما ليس لهم ويلبسون غير ثيابهم سرعان ما يتكشفون على واقعهم ويبرزون من خلال التاريخ بشوبهم الملوث بكل انواع الخزي والعار اقزماً تتساقط عليهم اللعنات الى يوم يبعثون .

واعود لاكرر بأني لم أقصد بذلك ان انتحل للشيعة ما ليس لهم وان ابرهم من الكذب على الرسول واهل البيت (ع) وإنما الذي اغنيه واقصده ان الكذب على الرسول ظهرت طلائعه في عهده ، واستمر بعد وفاته يتبع وينتشر حسب الظروف والمناسبات بالرغم من رقابة الحاكمين وتشددهم على المفرطين في الحديث والمتهمين بالكذب فيه ، ولما جاء دور الأمويين مارسوه بأنفسهم وسخروا جماعة من اتباعهم ليضعوا لهم الحديث الذي يرفع من شأنهم وشأن الخلفاء والبلدان والاشخاص ، وبذلوا الاموال الطائلة في هذا السبيل ووجدوا من الصحابة من يستجيب لطلبهم ويلبي رغباتهم في وقت لم يكن احد من الشيعة يستطيع ان يذكر علماً او يتجاهر بالتشيع له ، فانطلق الوضاعون في كل بلد يحدثون وينسبون الى الرسول ما يشاؤون من المواضيع التي تخدم مصلحة معاوية واتباعه ، ومضى الأمويون على سنته وسيرته طيلة حكمهم الذي استمر قرابة قرن من الزمن ، وكان من الطبيعي ان يكون لهذا الموقف من جانب الأمويين اثره في نفوس الشيعة والمنتسبين الى التشيع بعد الكبت الطويل والخرج الشديد الذي احاط بأهل البيت وشيعتهم ، وحينما انفرجت الازمة او اوشكت على الانفراج وجدوا سبلاً من الرويات الدخيلة على سنة الرسول (ص) في فضائل الخلفاء وغيرهم وتجريح علي وابنائهم ، كان من الطبيعي لهم بعد ان تنفسوا - ان يحدثوا ليكشفوا زيف تلك الرويات التي انتشرت في

كل مكان ، وأن يضع ضعفاء الايمان من الشيعة بعض المرويات ليقابلوا الباطل بمثله ، وان يستغل الزنادقة والمندسون بين صفوف الشيعة هذا الجو ليضعوا فيه ما يشاؤون . كما ستقدم بعض النماذج من المرويات الشيعية التي تبدو عليها ملامح الوضع في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

والذي يؤيد ما ذكرناه من ان الكذب في الحديث لم يكن في بدايته من صنع الشيعة ، ما جاء في شرح النهج للمعالي حول هذا الموضوع في خطبة لملي (ع) تعرض فيها لأحاديث البدع والاخبار المختلفة ، وقد جاء فيها : ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشايهاً ، ولقد كذب على رسول الله (ص) في حياته حتى قام في الناس خطيباً ، فقال : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، وإنما أفك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل : منافق مظهر للإيمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتعرج ، يكذب على رسول الله متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ، ولكنهم قالوا : صاحب رسول الله رآه وسمع منه ، ولقف عنه فياخذون بقوله : وقد أخبرك رسول الله عن المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوم الأفعال وجعلهم حكماً على رقاب الناس ، والناس مع الملوك والدنيا الا من عصمه الله .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً فلم يحفظه على وجهه فوم فيه ولم يتعمد كذباً فهو يرويه ويعمل به ويقول : أنا سمعته من رسول الله (ص) فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه ، ومضى الامام (ع) يسرد الأسباب الداعية الى اختلاف الحديث ، وكيف جاءت البدع وشاعت بين المسلمين ، وأرجع تاريخ الكذب في الحديث الى عهد

الرسول واستمر بعد عهده المنافقون من الصحابة ينسبون اليه ما لم يحدث به من البدع والمنكرات ، وبخاصة بعد أن اتصلوا بالحكام وولهم الأعمال وسلطوهم على رقاب الناس مما يسر لهم أن يحدثوا بما يشاؤون بدون وازع من دين أو رادع من ضمير .

وقد لحص الامام الباقر (ع) موقف الحكام الأمويين من الشيعة الذين يتهمهم أهل السنة بأنهم اول من فتح باب الكذب في تلك الفترة من التاريخ بقوله : لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون بكذبهم وجعودهم موضعاً يتقربون به الى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد ، فعدوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس ، وكان أعظم ذلك وأكبره زمن معاوية بعد مد موت الحسن (ع) فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة والتهمة ، وكل من يذكر بحسبنا والانقطاع إلينا سجن ونهب ماله وهدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (ع) وجاء بعده الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى بلغ بهم الحال أن الرجل كان يتمنى أن يقال له زنديق أو كافر ولا ينسب الى التشيع لعلي (ع) وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ، ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة والحكام ولم يخلق الله شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت ، وهو يحسب انها حق لكثرة من قد رواها من لا يعرف بكذب ولا بقلة ورع .

وهذه الصورة الاجالية التي أعطاها الامام الباقر (ع) لذلك العصر المشحون بالفتن والكذب والافتراء على الرسول وأهل البيت يمكن لأي باحث

مجرد ان ينتهي اليها من خلال الحوادث التي رافقت حكم الامويين وبخاصة في المرحلة الأولى من حكمهم بقيادة سليل البيت الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي قاد الأحزاب والمعارضة ضد الدعوة الإسلامية منذ مطلع فجرها ، كما وان رواية علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتابه الأحداث تدل دلالة قاطعة على الدور البارز الذي قام به معاوية واتباعه في التشويش على سنة الرسول وطمس أضوائها لكثرة ما أدخله هو واتباعه عليها من الموضوعات في مختلف المواضيع في الوقت الذي كان فيه الشيعة يسترون في تشيعهم خوفاً على دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

وجاء فيها أن معاوية بعد عام الجماعة وهو العام الذي استتب له فيه الامر كتب كتاباً وجهه إلى جميع عماله جاء فيه : ان برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (ع) واستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة، فكان يتبعهم وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام علي (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الايدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب الى عماله في جميع الافاق أن ينظروا الى شيعة عثمان وصحبه وأهل ولايته والذين يروون له الفضائل وأوصام باكرامهم وأن يكتبوا له بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته فأكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يصدق به عليهم من الصلات ويفيضة عليهم من غير فرق بين العرب والموالي ، فكثرت الرواة والحدثون بفضل عثمان في كل بلد ومصر وتنافسوا على ذلك، ولما شاع الحديث في فضل عثمان وبني أمية في جميع العواصم والبلدان وتناقلوه في مجالسهم وفي المساجد وعلى المنابر كتب

الى عماله كتاباً آخر جاء فيه أن الحديث قد نشأ في عثمان وكثر في جميع الامصار فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في فضل أبي تراب إلا واتوني بناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان ، فقرأ عماله كتابه على الناس فرووا أخباراً كثيرة في مناقب الصحابة لا حقيقة لها ولا واقع .

وجد الناس في رواية ما يحري هذا المجرى وأشادوا بذكرهم على المنابر وألقوا تلك الرويات الى معلمي الاولاد في الكتاتيب فعملوها الصبيان والاولاد، وأصبح من المفروض عليهم أن يحفظوها كما يحفظون القرآن ولم يقفوا عند هذا الحد بل علموها بناتهم ونساءهم وخدمهم ومواليهم فظهر من ذلك حديث كثير كله زور وبهتان ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان من اعظم الناس بلاء في ذلك القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون النسك والخشوع ويفتعلون الاحاديث تقرباً الى الولاة وطمعاً بما في أيديهم من الاموال والضياع والمناصب ، وانتقلت تلك الرويات منهم الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فتقبلوها ورووها وهم يظنون أنها من حديث رسول الله ولو علموا بواقعها لما رووها ولا تدينوا بها ، ومضى الامر على ذلك حتى جاء دور الحجاج بن يوسف فاشتد البلاء على الشيعة وتقرب اليه المنتسكون والمتاجرون بالدين بإعلان البراءة من علي وبنيه وشيعته وموالاة أعدائه وأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم والطمع على العلويين وأتباعهم .

وجاء في شرح النهج ان ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ، قال في تاريخه : ان أكثر الاحاديث الموضوعة في

فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً اليهم بما يظنون انهم يرغبون به الواف بني هاشم^(١) .

وجاء في المجلد الاول من شرح النهج ان ابا جعفر الاسكافي احد شيوخ المعتزلة قال : ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيلة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جملاً يرغب في مثله فاختلفوا ما أراضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير^(٢) .

لقد لعب عروة بن الزبير دوراً بارزاً في الحديث حتى اشتهر بين فقهاء التابعين ، وأكثر مروياته كان يستند الى خالته عائشة ، وقد استغل عداها لعلني (ع) فحدث عنها وأسرف في صياغة موضوعاته حتى خرجت بشكل كره ينفر منه القريب والبعيد ، ولكن الحسد والحقد يفتكان في دين الانسان أكثر مما يفتك الذئب الفساري في قطيع من الغنم غاب عنه رعاته .

وليس أدل على ذلك من موقف عبد الله بن الزبير من علي وبنيه كما حدث عنه في شرح النهج وغيره ، فقد جاء فيه أنه كان يبغض علياً وينال من عرضه وينقصه على المنابر وفي المجتمعات ، وأضاف الى ذلك أن عمر بن شبة ، وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير قالوا : إنه مكث أربعين جمعة أيام خلافته يخطب الناس في يوم الجمعة ولا يصلي على النبي (ص) في خطبته ولما سئل عن سبب ذلك ، أجاب بأن له أهمل سوء ، فإذا ذكرته شتموا بآثافهم .

(١) انظر المجلد الثالث من شرح النهج ص ١٦١ و ١٦٣ .

(٢) انظر المجلد الأول من شرح النهج ص ٣٥٨ .

وروى الزهري عن أخيه عروة بن الزبير انه قال : حدثني خالتي عائشة ان النبي ﷺ قال لها : ان سرك ان تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين ، قالت فنظرت وإذا بعلي والعباس قد اقبلا ، إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي وضعها عروة وأخوه جعفر المعروف بالكذب في الحديث كما نص على ذلك ابن كثير في تاريخه .

وجمل القول ان الحزب الاموي الذي ظل يعمل في الخفاء نحووا من أربعين عاماً لتقويض دعائم الاسلام بعد أن عجز عن مقابلة الدعوة الاسلامية وجهاً لوجه بشكل علني حينما توفرت له أسباب القوة والحكم ، لم يمه شيء أكثر من تحطيم الجبهة التي كانت بنظر المتدينين من المسلمين صاحبة الحق والأولوية المطلقة في قيادة الأمة ، وكان علي وأبنائه في الطليعة بين المسلمين يوم ذاك فاتجه في مطلع عهده إلى تكوين هالة من العظمة والقداسة للخلفاء الثلاثة المتقدمين عن طريق أحاديث تنسب إلى الرسول ﷺ ، وفرض على أتباعه وحكام المقاطعات أن يفرضوها حتى على الصبيان الصغار إلى جانب القرآن الكريم الذي اعتادوا أن يعلموه أطفالهم في الجوامع والكتاتيب ، وتيسر له من الصحابة من يبذل له الكثير من دينه لانهاج هذه المهمة فوضعوا في مقابل كل حديث تناقله المسلمون عن الرسول في علي عشرات الاحاديث والمقالات في الخلفاء الثلاثة والصحابة والأمويين وغيرهم ممن يعادي علياً وآله الكرام ، واستعمل لتدعيم هذا المخطط كل ما يمكن تصوره من أساليب للضغط والارهاب لانهاج مهمته كما ذكرنا ، ولم يبق أمام الجمهور المتدين إلا الموت أو التشريد ان هم أنكروا شيئاً من تلك المرويات أو تحدوا بشيء من فضائل علي وبنيه .

وقد أكد هذه الحقيقة أحمد أمين في المجلد الأول من كتابه ضحى الإسلام فقال بعد أن عرض بعض الجوانب من الأسباب الداعية إلى وضع الأحاديث : ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الامويين فعلاً قد وضعوا ووضعت لهم

أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة ، منها أحاديث في زيادة مناقب عثمان إذ كان هو الخليفة الأموي من بين الخلفاء الراشدين وهم به أكثر اتصالاً من غيره ، مثل حديث أن عثمان تصدق بثلاثمائة بعير بأحلاسها واقتناها في جيش العسرة ، فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم ، وأضاف إلى ذلك أن الطبري روى أن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في شهر جمادى سنة ٤١ دعاه إليه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ، ويصلح به رعيتي ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تقحم عن شتم علي عليه السلام^(١) والترحم على عثمان والاستغفار له وانتقاص علي عليه السلام وأصحابه واقصائهم بكل الوسائل ، واطراء عثمان وشيعته ، والإستماع منهم ، ومضى الراوي يقول :

ان المغيرة أقام في الكوفة والياً لمعاوية سبع سنين واشهر حسن السيرة ، غير أنه نفذ وصية معاوية بأحسن ما يريد ، فكان لا يدع شتم علي وانتقاصه ووضع الأحاديث التي تسيء إليه^(٢) ، وبالفعل لقد نجح الأمويون في هذا المخطط إلى حد ما وتأثرت به أجيال وظلت تلك الارجيف تسيطر عليهم زمناً طويلاً ، فلقد جاء في تاريخ ابن عساكر عن أبي يحيى السكري انه قال : دخلت مسجد دمشق ، فقلت هذا بلد دخله جماعة من الصحابة ، وملت إلى حلقة فيها شيخ جالس ومن حوله جماعة يقص عليهم فجلست معهم ، فقال له أحدهم : من هو علي ابن أبي طالب يا شيخ ؟ ، فقال له : هو خفاق كان في العراق اجتمعت عليه جماعة فقصد أمير المؤمنين معاوية لحربه فنصره الله عليه وانتهى أمره ، قال يحيى : فاستعظمت ذلك وتركتهم فرأيت في جانب

(١) أي لا تترك ولا تتجنب شتم علي (ع) .

(٢) انظر ضحى الاسلام ج ٢ / ص ١٢٣ عن الطبري ج ٦ / ص ١٤١ .

المسجد شيخاً يصلي إلى سارية حسن السميت والصلاة والهيئة ، فقلت له يا شيخ : أنا رجل من أهل العراق جلست إلى تلك الحلقة وقصصت عليه القصة ، فقال : في هذا المسجد عجائب يا بني بلغني ان بعضهم يطمئن على أبي محمد الحجاج بن يوسف الثقفي فعلي بن أبي طالب من هو وما خطره ، وقد تأثر كثير من الناس بتلك الدعايات والأساليب التي استعملها معاوية وولاته ، ومن أنكر عليهم هذه الافتراءات كانت نصيبه القتل والتشريد والتعذيب كما فعل عبدالله بن عفيف الأزدي مع عبيد الله بن زياد ، وحجر بن عدي وأصحابه البزرة مع زياد بن عبيد ، وميثم التمار ورشيد الهجري وسعيد بن جبير وغيرهم مع الجبابرة والطغاة . وكان الشعبي يقول : ماذا لقينا من علي وآل علي ! ان أحبينام قتلنا ، وان أبغضناهم دخلنا النار .

ومضى على سيرة معاوية وولاته كل من جاء من بعده من الحكام والولاة ، وفي ظل هذه الظروف القاسية التي استمرت عشرات الأعوام ، انتشر القصاصون ودعاة الأحزاب والفرق كالخوارج والمرجئة والقدرية وغيرهم ، فأضافوا إلى تلك الموضوعات مجموعة أخرى في مختلف المواضيع ، وهكذا توالى المناسبات ، وتعددت الدوافع والأغراض إلى الكذب في الحديث ، وأصبح كل من يحاول أن يثبت رأياً أو يؤيد حزباً ، أو مذهباً أو ينتقص انساناً يود أن يتيسر له حديث ينسبه إلى الرسول ولو بأعلى الأثمان ليعتمد عليه .

ويجد المتتبع عشرات الشواهد على ذلك ، فقد جاء في الموضوعات لابن الجوزي عن أبي أنس الخرائي ، ان المختار الثقفي قال لرجل من أصحاب الحديث : ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ اني كائن بعده خليفة وطالب له بكرة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلمة وخادم ومركوب ، فقال الرجل : أما عن النبي فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة واحطك من الثمن

ما شئت . فقال المختار عن النبي ﷺ يكون الحديث أجدى وانفع ، فقال له المحدث : ولكن العذاب عليه أشد وأبلغ .

ومن ذلك ما جاء عن أئمة المذاهب واتباعهم في مختلف العصور حيث كان اتباع كل مذهب يضعون الاحاديث في فضله وذم المذاهب الاخرى ، وفي الغالب كانوا يختارون سندا يتصل بالنبي ، أو أحد الصحابة ، فقد جاء في فضائل الشافعي عن أحمد بن الحسن الترمذي انه قال : كنت في الروضة فأغفيت وإذا بالنبي ﷺ قد أقبل فقمت إليه وقلت له يا رسول الله : لقد كثرت الاختلاف في الدين فما تقول في رأي أبي حنيفة : فقال افِرْ ونفض يده ، قلت فما تقول في رأي مالك ؟ فرقع يده وطاطأ رأسه ، وقال : أصاب وأخطأ ، قلت : فما تقول في رأي الشافعي ، قال : بأبي ابن عمي لقد أحسب سني .

وروى اتباع أبي حنيفة عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة : هو سراج أمتي ، سيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس هو أضر على أمتي من ابليس . كما وضع اتباع مالك وأحمد بن حنبل عشرات الاحاديث التي تؤيد مذهب كل واحد منهما وتنتقص من الآخرين ، فقد رووا عن الرسول انه قال : يكاد الناس يضرّون أكباد الابل فلا يحدون أعلم من عالم المدينة . وانه قال في أحمد والشافعي : أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، وقد غالى الحنابلة غلواً مفرطاً في وضع الاحاديث في فضله ، فقد روى ابن الجوزي عن علي بن اسماعيل انه قال : رأيت ان القيامة قد قامت ووقف الناس عند قنطرة لا يجوزها إلا من يحمل ورقة ، ورأيت رجلاً يختم للناس أوراقاً يجوزون بها ، فسألت عنه فقيل لي هذا أحمد بن حنبل ! إلى كثير من أمثال هذه

المرويات التي تفضله على جميع الأولياء والفقهاء^(١) .

وروا لغير هؤلاء من الفضائل والكرامات ما يثير الدهشة والاستغراب
ويبعث على الأسف والألم لهذا الإسفاف والإفراط في الحب والبغض إلى
حدود الخروج عن دائرة التصور .

لقد اعتمدت الأحزاب والفرق وغيرهما هذا الأسلوب في ترويج أفكارها
وآرائها وتزعائتها ، وكان الحزب الأموي في الطليعة من بين أولئك المخربين ،
في الكذب على الرسول ووضع الأحاديث ، لأن المسلمين لا يرون لهم فضلاً
يرفع من شأنهم في تاريخ الإسلام كما ذكرنا من قبل فوجدوا أنفسهم في أمس
الحاجة إلى هذا النوع من المرويات ، وبلا شك ان الشيعة بعد أن أحسوا
بالفرج عندما دب الضعف في جسم تلك الدولة ووجدوا تلك الكميات الهائلة
من الموضوعات بين المرويات عن الرسول تتحدث بها الأجيال في مختلف
المناسبات وحيثما اتجهوا ، وسمعوا خطباء المنابر وعوام الناس في النوادي
والأسواق يسبون علياً وبنيه بدون تحرج أو تأثم ، حتى أصبح ذلك وكأنه
من أفضل السنن التي رغب فيها الإسلام ووعد عليها بالثواب والأجر العظيم .

لما أحس ضعفاء الشيعة بالفرج بعد الشدة ، وكانت أسماعهم قد ملت شتم
علي الذي حاول الأمويون أن يصوروه وكأنه من ألد أعداء الإسلام
والإنسانية قطوع منهم من لا يملك من الدين والصبر ما يعصمه من الانحدار
إلى هذا المستوى وتبنى هذا الأسلوب الرخيص الذي يترفع عنه العظماء من
الأتقياء والصلحاء إلى مقابلة الكذب بمثله والشتم والسباب بلونه ولفته ونسبوا
أكثره إلى الأئمة ليكون أقرب إلى التصديق وأكثر شيوعاً وانتشاراً
بين الناس .

(١) والذي أرجعه ان هذا الحديث قد وضعه الحنابلة في مقابل الحديث الذي يرويه الشيعة
وهو لا يجوز على الصراط إلا من كان بيده صك من علي بن ابي طالب .

على أني أشك في صدور تلك المرويات بما فيها المرويات التي تسيء الى الخلفاء من الشيعة بالرغم من تداولها بينهم منذ زمن بعيد وتدوين اكثرها في بعض مجاميع الحديث الشيعية ، واكاد اجزم بأن أعداء أهل البيت قد حاولوا بكل الأساليب ان يحدثوا فجوة بين السنة والشيعة وأثمتهم فوضعوا تلك المرويات ونسبوها الى الأئمة ، وقد الملح الى ذلك الامام الرضا عليه السلام في حديث له مع بعض اصحابه كما سيأتي في الفصول الآتية ، ومن بين هؤلاء جماعة كانوا يتسترون بالتشيع لينفذوا منه الى بث سمومهم واهدافهم كالمغيرة بن سعيد وصائد النهدي وبيان بن سمعان وأبي زينب وغيرهم من العشرات الذين وضعوا آلاف الأحاديث بين المرويات عن الامامين الباقر والصادق ونسبوها إليها ، وقد نبه على ذلك أئمة الشيعة في أكثر من مناسبة ، وهؤلاء وأمثالهم كانوا أحياناً يروون الصحيح من احاديث الأئمة ليستروا به كذبيهم ، واستطاعوا بذلك ان يخذعوا نقلة الحديث فدوّنوا ما وجدوه بين ايديهم ، وجاءت الطبقات المتأخرة فأخذته مع غيره ، وبالرغم من تلك الجهود المضنية التي بذلها نقاد الحديث الذين درسوا الرواية وأحوال الرواة بقصد تصفية الحديث من المكذوب ، فلم يوفقوا لاستئصال الفاسد من جسم الحديث ، وظلت المجاميع الشيعية حتى الكتب الأربعة منها تضم بين مروياتها عدداً كبيراً من الأحاديث الموضوعية كما سننبه على بعضها في الفصول الآتية .

ويمكن تلخيص الاسباب الداعية الى الكذب في الحديث من بدايتها الى نهايتها على النحو التالي :

لقد ظهرت بوادر الكذب على الرسول في عهده كما ذكرنا من قبل ، ولما وقف الرسول من هذه الجريمة موقف المتصلب ، وابقن الكذبة ان امرهم سينكشف وسيلاقون جزاءهم العاجل والآجل خفت صوتهم وركنوا وانطووا على أنفسهم كما هو الحال في غيرهم ممن كان يهم بالعصيان والمخالفة ويخشى

المواقب ، وبعد وفاة الرسول بدأت الدوافع والأسباب تتدافع ، فأول ما ظهر منها ذلك الصراع السياسي على الخلافة الذي ظهر بين المهاجرين والانصار أولاً وبين علي عليه السلام والمهاجرين ثانياً ، وبعد أن انهزم عن المسرح مرشح الانصار سعد بن عبادة الذي اخرج من المدينة الى بلاد الشام وقتل فيها بتدبير من الانصار المهاجرين غيلة ، وأشاع قاتلوه يوم ذاك بأنه قتيل الجن واذعوا على لسان جني انه قال :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده وراجت فكرة اغتيال الجن لسعد بن عبادة ودونها المحدثون والمؤرخون فيما دولوه من حوادث ذلك العصر ، وتحول الصراع بين المهاجرين والانصار إلى التفاخر بالأحساب والانساب والجهاد والتضحيات في سبيل الله .

وروى كل منهم عن الرسول ﷺ ما يشير الى بعض الامتيازات التي جعلها الله لكل منها وفضل كل منها على الآخر ، فقد روى الانصار عن النبي ﷺ أنه قال : الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ، كما رووا عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار ، وأن الآية : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » نزلت في الانصار ، وأن عرش الله قد اهتز لموت سعد بن معاذ إلى كثير من أمثال هذه المرويات .

كما وضعوا أحاديث في فضل المهاجرين والقرشيين ، فرووا عن أبي هريرة أنه ﷺ قال : الناس تبع لقريش ، وأن هذا الامر فيهم ما بقي منهم اثنان إلى غير ذلك ^(١) .

(١) انظر ج ٢ من صحيح البخاري ص ٢٦٤ وما بعدها .

ولولا الحروب والغزوات والاموال التي غرمتهم بها الفتوحات لتطور النزاع بينها واتخذ شكلا جدياً كانت له اسوأ النتائج واكثرها اخطارا ، والى جانب هذا الصراع الذي استطاع الحاكمون بأساليبهم ومساعدة الظروف ان يضعوا له حداً ويحدوا من اخطاره ونتائجه ، كان الصراع بين الحاكمين واتباعهم من جهة وبين المتمسكين بحق علي عليه السلام في الخلافة يتحرك باتجاه جديد وباسلوب بعيد عن العنف والاستفزاز ، لا يتعدى علياً واتباعه في مناظراتهم ومطالبتهم بحقه الشرعي ووصايا الرسول والنصوص التي تكررت منه في مختلف المناسبات ، حتى أن موقف السيدة فاطمة عليها السلام مع الخليفة الأول واصرارها على استرجاع فدك وموقفه المتصلب منها بعد ان اقامت عليه الحججة ولم تترك له منفذاً ، هذا الموقف وملابساته لم يكن بعيداً عن الصراع في الخلافة .

وعلى أي الأحوال فلقد ادرك الحكماء خطر هذا الاسلوب الذي اتبعه علي واتباعه ومدى تأثيره على الرأي العام الذي لا يرى لملي عليه السلام مثيلاً بين صحابة الرسول صلى الله عليه وآله مما دعا أتباعهم والمؤيدين لهم الى وضع مجموعة من الاحاديث في فضل المهاجرين الأولين والذين استولوا على الحكم بعد وفاته ليقابلوا النصوص التي وردت عن الرسول بمثلها ، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وآله خرجت تاجراً الى الشام ، فارسل الى عظيم الاساقفة فأتيته ، فقال : هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة يزعم أنه نبي ، قال فقلت هو ابن عمي ، فأخذ بيدي وادخلني بيتاً فيه تماثيل وقال : انظر تر صورته هنا ، فنظرت فلم ار شيئاً ، فأخرجني من ذلك البيت وادخلني بيتاً أكبر منه فيه مثلها ، وقال انظر هل تراه هنا ، فنظرت فاذا صورته النبي ، واذا صورة ابي بكر وهو أخذ بعقب النبي صلى الله عليه وآله واذا صورة عمر وهو أخذ بعقب ابي بكر ، فقال هل رأيته ، فقلت نعم

هوذا، قال: اتعرف الذي هو آخذ بعقبه قلت نعم، هو ابن ابي قحافة، قال: وهل تعرف الذي هو آخذ بعقبه ، قلت نعم هو ابن عمناء عمر بن الخطاب ، فقال اشهد أنه رسول الله ، وان هذا هو الخليفة من بعده ، وان هذا هو الخليفة من بعد هذا، الى غير ذلك مما ينص على ان الخليفة من بعده ابوبكر^(١)

ومن ذلك ما رووه عن دحية بن خليفة الكلبي انه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله ﷺ وهو بدمشق فادخلت عليه خالياً، فناولته الكتاب فقبل خاتمه وفضه وقرأه ثم وضعه على وسادة امامه ، ودعا بطارقه وزعماء دينه فقام فيهم على وسائد بنيت له ، ثم خطبهم وقال : هذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح واخبر انه من ولد اسماعيل ، فنخروا نخرة عظيمة وصاحوا فأولم اليهم بيده ان اسكتوا ، ثم قال انا جريتكم لارى غضبكم لدينكم ونصركم له وصرقهم ، ثم استدعاني من الغد فاخلاني وآتسني بمحدثه وادخلني بيتاً عظيماً فيه ثلاثمائة صورة ، فإذا هي صور الأنبياء والمرسلين فقال انظر من صاحبك من هؤلاء ، فنظرت فاذا صورة النبي ﷺ فانما ينطق فقلت هوذا فقال صدقت ، ثم اراني صورة عن يمينه فقال من هذا قلت هذه صورة رجل من قومه اسمه ابو بكر الصديق ، فأشار الى صورة اخرى عن يساره فقلت هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر بن الخطاب ، فقال إنا نجد في الكتاب ان بصاحبيه هذين يتم الله امره ، قال دحية: فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته بما جرى ، فقال : صدق بأبي بكر وعمر يتم هذا الأمر^(٢)

وقد اشار الى ما ذكرناه ابن أبي الحديد في شرح النهج حيث قال : فلما رأت الشيعة ما وضعته البكرية في صاحبهم من الأحاديث ، أوسعوا في وضع

(١) انظر ص ١٣٥ من نهاية الأرب الجزء السادس النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب .

(٢) انظر صفحة ١ ج ١ من الجزء السادس نهاية الأرب .

الاحاديث في علي عليه السلام ثم قابلهم البكرية بمطاعن كثيرة في علي ولديه ونسبوه تارة الى ضعف العقل وأخرى الى ضعف السياسة وحب الدنيا والحرص عليها^(١) ولما جاء دور الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مثل أنصاره نفس الدور الذي مثله أنصار أبي بكر وزادوا على ذلك ، لا سيما وان القرشيين كانوا أشد نقمة عليه من سلفه لانه حاول ان يحد من نفوذهم وخطرستهم ويحدد لهم تصرفاتهم ، فاتهموه بالفظاظة وسوء الخلق ، فوضع له أنصاره عددا من الاحاديث التي ترفع من شأنه ، فرووا عن عائشة أنها قالت : لما ضمنى الفراش مع رسول الله قال لي : يا عائشة ان حسنات عمر بن الخطاب اكثر من نجوم السماء ، وأنه لحسنة من حسنات ابيك ، وان رسول الله قال : لما أسري بي إلى السماء رأيت فيها خيلا ملجمة مسرجة لا تبول ولا تروث ولا تعرق ، رأسها من الياقوت الاحمر وحوافرها من الزمرد الاخضر وابدانها من العقيق الاصفر ، ذوات أجنحة ، فقلت لمن هذه ، فقال جبرائيل : هذه لمحببي أبي بكر وعمر يزورون الله عليها ، وانه قال : لو قعدت الف سنة احدث في فضائل عمر بن الخطاب لم انتهِ منها ، وهو مع ذلك حسنة من حسنات أبي بكر الى غير ذلك من عشرات الاحاديث التي وضع قسما منها أنصاره ليقابلوا بها احاديث الوصية وغيرها مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام^(٢) ، كما وأن هناك أحاديث كثيرة لا يكاد الباحث يشك وهو يقرؤها بأنها وضعت لتأييد الحزب الأموي في عصر مبكر من تاريخ الاسلام يوم اتجه المسلمون الى محاسبة عثمان على محاباته للمروانيين والمقربين اليه فاخذ أنصاره يروون عن الرسول في فضله وفضل البيت الأموي مثل قولهم : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال دخلت الجنة فتناولت تفاحة

(١) انظر ج ٣ من شرح النهج ص ١٧ .

(٢) انظر اللآلئ المصنوعة ص ٣٠ وما بعدها المجلد الاول للسيوطي .

منها ولما كسرتها خرجت منها حوراء اشغار عينها كريش النسر ، قلت لمن انت : قالت لعمان بن عفان ، رقولهم أنه قال لعمان : أنت ولي في الدنيا والآخرة ، وان الجنة تبرق له إذا خرج في الليلة الظلماء ، وقولهم : إنه قال لمعاوية إنك أحد الامناء السبعة وانك ستزاحمني على باب الجنة ، ونحو ذلك مما أورده السيوطي في اللآلئ ، وابن الجوزي والفتني في موضوعاتها . هذا النوع من الرويات وضعوه ليمتصوا نقمة الجماهير الاسلامية التي امتدت الى خارج العاصمة تحاسب وتراقب تصرفاته وتصرفات عماله ، ولكنها لم تجدهم شيئاً بعد أن وجد المسلمون أنفسهم أمام خطر يهدد مقدرات الامة ومقدساتها بسبب تصرفات تلك الطغمة من حاشيته وبني عمومته ، ولما انتقلت الخلافة الى علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان اتخذ الصراع على الحكم شكلاً جدياً لم يعرف له تاريخ المسلمين مثيلاً من قبل ، واشترك فيه بالإضافة الى الحزب الاموي جماعة من الصحابة غرروا بزوجة النبي السيدة عائشة وتستروا بمعارضتها للحكومة الشرعية ، واتخذوا من مقتل عثمان مبرراً لمعارضتهم ، ورجعوا يترجمون عليه ويتحدثون بحسناته بعد ان قذفوه بالانحراف عن سنة الرسول وسيرته وألصقوا به مالا يحوز على أحد من الناس ، وحلوا علياً بن أبي طالب مسؤولية قتله لتضليل الرأي العام وكسب اكبر عدد لتأييد حركتهم الانفصالية ، وتم لهم بهذا وغيره من وسائل الاغراء والتضليل احتلال البصرة لفترة من الزمن مما اضطر علياً بن أبي طالب الى الوقوف بحزم وشدة في وجه تلك الحركة قبل ان يستفحل خطرهما ، وكانت المعركة الحاسمة التي انتهت بانتصار علي بن أبي طالب ومقتل جماعة من زعماء تلك الحركة الانفصالية والتحققت فلولهم بمعاوية الذي تحصن بالشام في بداية الامر بانتظار النتائج التي تسفر عنها المعارضة التي انتقلت من المدينة بقيادة الشيخين طلحة والزبير ، وزوجة النبي التي كانت بنظر العامة من أقرب زوجاته الى قلبه وزوجه .

وبلا شك ان الذين التحقوا بمعاوية بعد الفشل الذريع الذي منيت به حركتهم في البصرة كمرwan بن الحكم وعمرو بن العاص وولده عبد الله وآل ابي مميظ ، والطامعين في الاموال والحكم من الصحابة لم يكونوا يملكون من الدين ما يردعهم عن الكذب على الرسول لرفع مستوى المعارضة التي تزعمها معاوية بن ابي سفيان ، لأن الحديث عن الرسول (ص) كان يرفع ويضع ، بل هو امضى من الاسلحة التي كانت تستعمل يوم ذاك ، وبلا شك ان حديث ابن العاص الذي يقول فيه : ان الرسول قال : ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء ، ومرويات عروة بن الزبير التي نسبها لخالته عائشة ، من اراد ان ينظر الى رجلين من اهل النار فليتنظر الى هذين ، تعني بذلك علياً والعباس وقولها المزعوم : ان رسول الله اوصى بأن تقطع يد علي بن ابي طالب ، وما رواه ابن العاص من دعاء النبي لمعاوية ، وانه قال : في دعائه اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب .

وما جاء عن ابن عباس انه لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح، جاء العباس الى علي وقال له : قم بنا يا ابن الأخ الى رسول الله فسار إليه فسألاه عن ذلك فقال : ان الله جعل ابا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له قفلحوا واطيعوه ترشدوا ، وانه قال يوماً لجبرائيل وقد مر بها ابو بكر ، اتعرفه يا جبرائيل ، قال نعم : انه لفي السماء اشهر منه في الارض ، فإن الملائكة لتسميه حلیم قريش، وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك^(١) الى غير ذلك من عشرات الاحاديث التي وضعها معاوية وانصاره في بداية ذلك العهد، حتى لا تكون الفضائل وفقاً على علي وحده. هذه الاحاديث وغيرها من موضوعات ذلك العصر كما ذكرنا .

قال احمد امين في فجر الاسلام : وتلمح احاديث كثيرة لا تكاد تشك

(١) انظر الآله المصنوعة ج ٢ ص ٢٩٤ .

وانت تقرؤها انها وضعت لتأييد الأمويين ، و اضاف الى ذلك : ان ابن عرفة قال : ان اكثر الأحاديث المروية في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بني هاشم ، ومضى يقول : ويتصل بهذا النوع احاديث وضعها الوضاعون في تفضيل القبائل العربية ، ذلك ان هذه القبائل كانت تتنازع الرياسة والفخر والشرف فوجدوا في الاحاديث باباً يدخلون منه الى المفارقة كالذي وجدوه في الشعر ، فكم من الاحاديث وضعت في فضل قريش والانصار وغيرهم ، واحاديث وضعت في تفضيل العرب على المعجم والروم فقابلها الموالي بوضع احاديث في فضل المعجم وغيرهم من العناصر الاخرى ، وقد اشتد هذا النوع من الصراع في العصر الأموي حيث كان الأمويون يعملون على احياء مظاهر الجاهلية بجميع اشكالها وتذويب الروح الإسلامية التي لم تفاضل بين جنس وجنس ، ولا لون ولون إلا بالأعمال الصالحات التي تعود بالنفع على الأفراد والجماعات .

وبلغ من احتقارهم للموالي واستغلالهم للكسب والربح ، ان الكثير من اعيان الصحابة والمسلمين كانوا يملكون مئات العبيد عن طريق الشراء والأسر ويستعملونهم كما يستعملون بقية ممتلكاتهم من الحيوانات التي تدر عليهم الربح ، فيفرضون عليهم مقداراً معيناً في كل يوم ، وعليهم ان يعملوا بما يملكون من صنعة او عمل لتوفير تلك الضريبة لآسيادهم وإلا يتعرضون لأسوأ المعاملات والعقوبات ، ومن اجل ذلك كانوا يكدهون ليلاً ونهاراً ليضيفوا الى ثروات آسيادهم دخلاً جديداً في كل يوم .

وجاء عن الزبير بن العوام وغيره من اثرياء المسلمين انهم كانوا يملكون نحواً من ألف من العبيد والموالي ويستعملونهم للربح كما يستعملون قطعان الغنم والأبل ، وقد شجع الأمويون هذا الأسلوب من الاستغلال والاذلال ، وكان شعارهم (السواد بستان قريش) يعنون بذلك ان ما عدا القرشيين من الموالي والعبيد وسائر الناس يجب ان يستغلوا لخدمة آسيادهم القرشيين الحاكمين وغيرهم ،

وحاول الحكام وغيرهم ان يبرروا سوء معاملتهم للموالي وغيرهم فوضعوا احاديث في تفضيل العرب على غيرهم من سائر الناس ، كما وضعوا احاديث في فضل قريش على غيرها ، فقد روى زياد بن عاصم القطان عن ابي هريرة ان الرسول (ص) كان يقول : ابغض الكلام الى الله تعالى الفارسية وكلام الشياطين بالخرزية ، وان كلام اهل الجنة بالعربية وانه قال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله من وحي قط على نبي إلا بالعربية ، الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التي تشير الى تفضيل العرب على غيرهم ، كما نسبوا إليه انه قال: لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان ، وانه قال : لا يعاديهم احد إلا اكبه الله على وجهه في النار ، كما جاء في رواية البخاري ، وانه قال : احبوا العرب ثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي ، وانه كان يقول : لا خير في الحبش إذا جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا ، وانه قال لعنه العباس يحذر من العبيد والموالي : يا عم لا تكرمهم فإنهم إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا فسقوا ، وجاء عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله (ص) يقول : النبط قتلة الانبياء واعوان الظلمة ، وانه قال : لو علم الله في الخصيان خيراً لأخرج من اصلاهم ذرية يعبدون الله ولكنه علم انه لا خير فيهم ، وان النبي (ص) قال : دعوا الحبشة ما دعوكم واتركوا الترك ما تركوكم . الى كثير من امثال هذه الموضوعات مع العلم بأن اكثر الفقهاء والمحدثين كانوا في عصر التابعين من الموالي ، واشتهر منهم جماعة واتجهت الانظار إليهم كمكرمة مولى عبد الله بن العباس وعطاء بن يسار وزيد بن مسلم ، ومولى سعيد بن المسيب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وعمر بن دينار المعروف بين فقهاء المكين ، وعطاء بن ابي رباح ومحمد بن سيرين ، واسلم مولى عمر بن الخطاب ، ومجاهد ، وعطاء بن عبد الله الخرساني ، والحسن بن يسار ، فقيه البصرة ، وسعيد بن جبيرة فقيه الكوفة ، ويزيد بن حبيب ، وكان بربري الأصل

وعنه أخذ الليث بن سعد وغيره ، الى كثير من الفقهاء الذين كانوا المرجع في الفقه والحديث في مختلف العواصم ودور العلم .

هؤلاء كانوا يحاولون بكثرة مروياتهم ان يوجهوا الانظار إليهم ويرفعوا من شأن الموالي .

وتؤكد النصوص التاريخية أنهم قد وضعوا بين المرويات التي أخذوها عن أسيادهم أعداداً كبيرة نسبوها إليهم ، واشتهر بين هؤلاء عكرمة مولى عبد الله بن العباس وحيناً ضج الناس من كذبه حبسه مولاة علي بن عبد الله في الكنيف ، وقال سعيد بن المسيب لمولاة ، إياك ان تكذب علي كما كذب عكرمة علي عبد الله بن العباس ، هذا بالإضافة إلى أنه كان الداعية الأول لفكرة الخوارج في المغرب كما تؤكد ذلك النصوص الموثوقة .

ومن اشتهر بالكذب من هؤلاء ابن جريج الرومي المتوفى سنة ١٥٠ وكان متها بين المحدثين بالكذب ووضع الأحاديث كما جاء ذلك عن البخاري والذهبي في تذكرة الحفاظ ، وساعد هؤلاء الموالي على الاكثار من الرواية ووضع الاحاديث ان اسيادهم كانوا من اعلام الفقه والحديث ، ولم يكن التدوين شائعاً في ذلك العصر كما يجب ، بل كان أكثر العلماء لا يستسيغه كما ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب ، فأخذوا عنهم اكثر مروياتهم وأضافوا إليها ما شاء لهم الهوى والفرس ، ولما جاء دور التدوين لم يكن الذين نشطوا الى هذه المهمة على مستوى المسؤولية والاخلاص لخدمة السنة وتصفيتها مما علق بها من موضوعات الامويين والموالي ومفتريات العناصر الاخرى ، بل كان بين اولئك الذين تطوعوا للتدوين وجمعه من الحفاظ والفقهاء والقصاصين جماعة لم يثبتوا في وجه الطمع والاثامات الموجهة إليهم كابن شهاب المعروف بالزهري وابي بكر ابن حزم ، وعطاء بن رباح ، والاعرج عبد الرحمن بن هرمز ، وسليمان بن يسار ، وكان الزهري ، ومحمد بن عمرو بن حزم من اقرب العلماء الى الامويين

اما الزهري محمد بن مسلم فقد كان داعية للأمويين ولاه يزيد بن عبد الملك القضاء، واختاره هشام بن عبد الملك معلما ومؤدبا لأولاده، وأنهى حياته وهو الى جانب الامويين ومن أفضل المقربين عندهم، ومن غير المعقول ان يقرب الحكم اليهم من لا يقر ظلمهم وفسادهم في الارض وبخاصة جبايرة الامويين الذين لم يكن يعنيه شيء أكثر من احياء مظاهر الجاهلية الأولى بكل مظاهرها وأشكالها كما تؤكد ذلك أكثر النصوص .

وجاء في المصادر الموثوقة : ان عبد الملك بن مروان قد استعان بالزهري لما ضج المسلمون من منعهم عن الحج الى بيت الله الحرام عندما كانت الحجاز تحت سيطرة عبد الله بن الزبير ، فوضع له الزهري الحديث المعروف :
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس ، ونسبه الى الرسول ﷺ .

وروى له ان الرسول ﷺ قال : الصلاة في المسجد الاقصى تعدل الف صلاة في غيره، الى غير ذلك من الاحاديث التي رواها في بيت المقدس ليكون في مرتبة مسجد النبي وبيت الله الحرام ، وكان عبد الملك يحاول من وراء ذلك أن يحمل الناس الى الحج اليه بدلا من مكة المكرمة ، وسواء صح عنه ذلك أم لم يصح فصلته الاكيدة بالامويين لم يستطع احد من أنصاره أن يتهرب منها ، وتكفي وحدها لأن تضعه في صفوف المتهمين والمشبوهين .

وروى الخطيب البغدادي عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد تلميذ الزهري ان الوليد بن ابراهيم الأموي جاء إلى الزهري بصحيفة وضعها أمامه وطلب اليه أن يأذن بنشر أحاديث منها على أنه سمعها منه ، فأجازه الزهري على ذلك من غير تردد كثير ، وقال له من يستطيع أن يخبرك بها غيري .

وحدث معمر بن راشد عنه أنه قال : لقد أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن

نكتب احاديث ، وهذا الحديث يشكل اعترافا من الزهري بأن الحكم كانوا يسفخون فريقاً من البارزين بين المسلمين لهذه الاغراض ولو بالاكراه والاغراء والحديث كان يسعفهم في تحقيق أغراضهم كما تسعفهم القوة والقسوة .

وأما ابو بكر بن حزم فكان من اتباعهم المقربين ، وقد انتدبه عمر بن عبد العزيز لكتابة احاديث أهل المدينة وفرض عليه أن يستعين بعمرة بنت عبد الرحمن وكان يوم ذاك والياً على المدينة ، والمدينة مصدر الحديث بطبيعة مركزها السياسي والديني ، ولأن المحدثين في مختلف البلاد الاسلامية قد أخذوا عنها ونسبوا كل ما جموه ودونوه الى صحابة الرسول ﷺ ، وكان حريصاً على تدوين مرويات خالته عمرة بنت عبد الرحمن التي نشأت في حجر عائشة وأخذت عنها حتى أصبحت الراوية الأولى لها بعد ابن اختها عروة بن الزبير الذي نسب اكثر مروياته وموضوعاته إليها ، وبالفعل فلقد باشر ابن حزم بتنفيذ أمر الخليفة الصالح فجمع آلاف الاحاديث التي كان يحدث بها الرواة والقصاصون في المدينة من غير تحقيق في أسانيدھا ولا دراسة لمتونها، ولم يكن بوسعه يوم ذاك ان يفعل أكثر من ذلك لان المرويات كلها عن طريق الصحابة، والمحدثون قد اسندوا كل ما عندهم إليهم وكانت احاديث أبي هريرة وكعب الاحبار وغيرهم ممن سخرهم معاوية ليضعوا له الحديث في فضائل الخلفاء والامويين وفي الطعن على علي وبنيه قد شاعت بين أهل المدينة وانتشرت بين احاديث الرسول ، وكان ابن حزم نفسه ممن ساهم في وضع الاحاديث وساعد على ذلك بطبيعة مركزه السياسي الذي يفرض عليه ان يتجاوب مع الحاكمين قبل أن يأتي عمر بن عبد العزيز الى الحكم، وبلا شك فإن عمر بن عبد العزيز كان بريئاً يحاول الحد من فوضى المحدثين التي طفت على السنة وغيرت معالمها ، ومن غير البعيد أن تكون غايته اصلاح ما افسده أسلافه ، كما حاول ان يصلح ما افسدوه في سياستهم وادارتهم لامور الرعية،

ولكن القدر قد عاجله قبل ان تصل اليه تلك المجاميع التي دونها ابن حزم وغيره (١) .

وقد دافع الخطيب والسباعي في كتابهما « السنة قبل التدوين » و « السنة ومكانتها من التشريع » عن الزهري بحماس وحرازة وحاولا وضعه في مرتبة القديسين ، في حين أنهما يعترفان بصلته الاكيدة بالامويين وارتباطه الوثيق بخمسة من خلفائهم كانوا يقدقون عليه العطاء ، وكان هو بدوره يبذل بسخاء ويمد للناس على الطرقات موائد الثريد والعسل ، و اضاف السباعي الى ذلك أنه مر يوماً بماء من مياه العرب فشكا اليه أهل الماء أن عندهم ثمانى عشرة عجوزاً ليس هن من يخدمهن ، ولم يكن يملك يوم ذاك درهما واحداً ، فاستلف ثمانية عشر ألفاً واخدم كل واحدة منهن جارية ، وكانت له رحلات تعليمية الى الاعراب يعلمهم ويفقههم ، فاذا كان في الشتاء أطعمهم عسلاً وزبداً ، واذا كان ذلك في الصيف أطعمهم عسلاً وسمناً ، فاذا تراكمت عليه الديون مرة بعد أخرى قضاها عنه الخلفاء ، الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة التي اوردها السباعي على افراطه في العطاء وتبذيره الاموال ، وفي الوقت ذاته يقول السباعي: بأن والده كان فقيراً لا يملك شيئاً ، وهو الى جانب عبدالله بن الزبير في حروبه مع الامويين وتركه شاباً حدثاً لا مال له ولا متاع ، فنشأ يتيماً يستعين على قوته بأخ له كان أكبر منه سناً ، وبعد أن بزغ نجمه واشتهر بين أعلام عصره التحأ الى الامويين وبقي معهم الى ان وافته منيته في ضيعة له تدعى ادامى من قرى الحجاز على الحدود المتاخمة لفلسطين (٢) .

ومن رجع الى تاريخ الامويين وسوء صنيعهم مع من كانوا يشعرون منه عدم الرضا عن تصرفاتهم فضلاً عن معارضتهم ، ومواقفهم الخزية مع الرعية

(١) كما نص على ذلك في قواعد التحديث ص ٤٧ .

(٢) انظر السنة للسباعي ص ٣٨٧ و ٣٨٨ .

واستغلال ثروات الشعوب وتبذيرها على شهواتهم وأهوائهم ينتهي حتماً إلى ان الزهري لم يكن يعتمد على خزانة الدولة الاموية في اسرافه ولم يضعوها تحت تصرفه لينفق منها ما يشاء بدون قيد أو شرط ويضع موائد السمن والعسل لجميع الناس إلا بعد أن مشى في ركابهم واستغلوه باسم الدين والاسلام لصالحهم ، واصبح اسير عطائهم وهباتهم .

لقد اعدوا له مقصورة في قصورهم يعلم فيها الحديث والدين إلى جانب مقاصير البغايا والجواري والراقصات وحوانيت الخمر ليضعوا هذه مقابل هذه ، واغدقوا عليه في العطاء أكثر من سواء لأنه مستعد أكثر من غيره لان يروي لهم عن الرسول ما يشاؤون مما يرفع من شأنهم ويضع من شأن علي وبنيه الهداة الكرام ، وقربوه إليهم وابعدوا غيره من العلماء لأن غيره لم يسمح له دينه أن يروي لهم عن الرسول أن الحج إلى بيت المقدس يغنيهم عن الحج إلى بيت الله الحرام ، والصلاة في بيت المقدس أفضل من الصلاة في مسجد الرسول والبيت الحرام .

لقد اسرف الزهري في الحديث الذي يؤيد عروش الأمويين فأسرفوا في عطائه ، واقرم على ظلمهم وسوء صنيعهم مع الرعية واستهتارهم بالقيم والمقدسات فأقروا تبذيره وتبديد الاموال واقتناء الضياع ، ان الحاكم كالتاجر الجشع المحتكر الذي يبحث عن الربح من أي مصدر كان ، ولا يضع في حسابه مدى ما تحدثه أرباحه بالمستهلكين من اضرار ونكبات ، ولا يدخل في حدود التصور أن يقضي هشام بن عبد الملك ديون الزهري وقد بلغت ألف ألف كما جاء في رواية ابن عساكر عن الشافعي من غير ان يدر عليه هذا العطاء السخي ربما أسخى من عطائه ، وهو المعروف بالشح والبخل بين خلفاء هذه الاسرة . والقائل لمامله على مصر في جواب كتاب كتبه اليه يستجديه العفو . والمعطف على الشعب المصري الذي نكب اقتصادياً نتيجة لانقطاع الامطار

وضعف الانتاج: « احلب الدر فاذا جف فاحلب الدم »، ويحق لكل انسان أن يسأل هؤلاء الذين يدافعون عن الزهري بصلابة وحرارة ويبرثون، الامويين من استغلال المقربين إليهم من العلماء لماذا قربوا إليهم الزهري وأغدقوا عليه العطاء وأبعدوا بقية اعلام ذلك العصر كسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأمثالهما من العلماء ونكلوا بجماعة منهم حتى مات سعيد بن المسيب من سيئاتهم .

ويدعي السباعي وغيره أن هشاماً شتم الزهري وأمره بالرحيل عنه لانه أبى أن يروي له أن الآية : « والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ، أنزلت في علي بن أبي طالب فقد جاء في الصفحة ٣٩٦ عن ابن عساكر ، أن هشاماً سأل سليمان بن يسار أحد فقهاء الموالي عما تعنيه الآية ، فقال له سليمان : ان المعني بها هو عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال له هشام : كذبت هو علي ابن ابي طالب ، فأقره ابن يسار على ذلك ، ووجه نفس السؤال الى الزهري ، وأجابه بنفس الجواب ، ولكنه بقي صامداً مصرأ على رأيه بالرغم من التهديد والوعيد الذي لقيه من هشام بن عبد الملك وأخيرا أمره بالرحيل عنه كما يدعي السباعي ، ولكنه يعود فيؤكد بانه بقي معهم الى آخر نفس من حياته ووفى عنه من ديونه البالغة ألفي ألف ، وفى عنه منها الف الف ، وبقي من اقرب المقربين بهم طيلة حياته ، ومع ذلك فهو من الزهاد والصلحاء وصلته بهم ليست صلة ضعيف بقوي ولا تخدوع بخادع ، بل صلة واثق بدينه معتر بعلمه يفضض ويشور اذا حرفت حقيقة من حقائق التاريخ والمحرف الحاكم عن الحق الى الباطل ومن الهدى الى الضلال - كما يدعي السباعي - مع العلم بان تاريخ الامويين حافل بالشواهد والأدلة على أنهم قد نكلوا وشردوا كل معتر بعلمه ودينه وكل من يعارض سياستهم واسلوهم في الحكم .

وجاء في ضحى الاسلام عن بعض الحكام أنه قال: ان الملوك يتحملون كل شيء إلا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك ومعارضة الحاكم.

ومها كان الحال فاذا جاز على الزهري أن يكون من الطراز الممتاز في تاريخ الانسانية كما يزعم السباعي ، فلا يحوز عليه أن يكون محظياً بعطفهم وعطائهم وقربهم إلى الحد الذي يصوره انصاره ومحبيه ، لأن اتباع الحاكمين لا يبلغون هذه المرتبة إلا إذا كانوا في منتهى الطاعة والاستسلام ، ينفذون رغباتهم كما يريدون ، ويروون لهم عن الرسول ﷺ أنه قال : إن الله اذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات كما اراد الوليد بن عبد الملك من الزهري ان يروي له ويشيع بين الناس ، ويروي لهم ان الآية : « واللي تولى كبره له عذاب عظيم » نزلت في علي بن أبي طالب كما فعل سليمان بن يسار ، عندما قال له الوليد لقد كذبت : انها نزلت في علي بن ابي طالب ، فقال له صدقت يا أمير المؤمنين وأنت أعلم بما تقول ! أما إذا خالفهم وانكر عليهم جورهم واستشارهم ، فمن غير المعقول ان يحظى بقربهم وعطائهم السخي الذي كان يحظى به الزهري وأمثاله من العملاء المدللين عند حكام العباسيين والامويين الذين روى للامويين أن الرسول قال : طوبى للشام ، فقال له الراوي ولم ذلك يا رسول الله ، فقال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها ، وأنه قال لمن طلب منه أن يختار له بلداً يسكنه ، عليك بالشام فأرضها خيرة الله في ارضه يحتي إليها خيرته من عباده ، وروى لهم الزهري عن الرسول أنه قال : إن الله سبحانه نقل قرية من قرى الشام الى الطائف لتثبت لهم الفواكه فالطائف من أرض الشام .

وروى لهم بسند متصل بسالم مولى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان أتى العراق فباض فيهم وأفرخ ، ثم أتى مصر فبسط عبقرية وجلس ، ثم أتى الشام فطردوه . وجاء في رواية ثانية عنه أن ابليس دخل العراق ففقد حاجته فيها، ودخل الشام فطردوه حتى بلغ ميساء ومنها ذهب

الى مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية ، وجميع الروايات التي تصف الرحلات التي كان يقوم بها ابليس على كثرتها تؤكد أنه لم يجد في الشام وبلادها ملجأ ، وأكثر البلاد حفاوة به كانت العراق ومصر (١) .

كما رووا عن النبي ﷺ أنه قال : ان الشام معدن الاسلام ، وأنه قال في حديث رواه مجاهد عن ابن عباس : ان الله تكفل لي بالشام وأهله ، وكان يؤكد على المسلمين بأن هاجروا الى بلاد الشام وبخاصة منطقة عسقلان لأنها ستكون في خير وعافية عندما تدور الرحى على حد تعبير الراوي .

وجاء عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : اربع مدائن في الدنيا من الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، واربعة مدائن من النار رومية والقسطنطينية وانطاكية وصنعاء ، وقد اکتروا من الرواية في فضل بلاد الشام ومدنها وبخاصة عسقلان فقد رووا عن النبي في فضلها عشرات الاحاديث ، وجاء في بعضها ان اهل مقبرة عسقلان يزفون الى الجنة كما تزف العروس الى زوجها ، وانه يحشر منها سبعون ألفا يشفع كل واحد منهم الى مثل ربعة ومضر (٢) :

وأكثر هذه الروايات عن الزهري وسليمان بن يسار ومجاهد وسالم مولى ابن عمر وغيرهم .

وكما صنع الامويون صنع العباسيون حينما جاءوا الى الحكم ، فلقد وضعوا هم واتباعهم من المرتزقة مئات الاحاديث في مختلف المواضع بما في ذلك فضل البلدان ، ومن بين تلك الروايات احاديث تشيد بفضل خراسان ومدنها

(١) ويبدو من ذلك ان مصرا يوم ذاك كانت نقطة على سياسة الامويين ، ومن الجائز ان تكون ميول المصريين يوم ذاك الى العلويين اكثر من ميولهم الى الامويين .

(٢) انظر ص ٦٠ من الآلء المصنوعة وما بعدها .

ومناطقها ، ويغلب على الظن انها من موضوعات العهد العباسي حيث انطلقت الثورة ضد الامويين من خراسان ومناطقها بقيادة ابي مسلم الخراساني واختارها المؤمنون بعد ذلك مقراً له ، هذا بالإضافة الى ان الغزو الفارسي قد اتسع في جسم الدولة العباسية وتغلب الفزاة على اكثر المراكز الحساسة فيها واصبحت العواصم العربية تمتج بالفرس الوافدين إليها من خراسان وجهاتها وبقية المدن والمقاطعات الايرانية .

فقد روى عن علي بن عيسى حديثاً طويلاً جاء فيه ان بخراسان مدينة يقال لها مرو أسسها ذو القرنين وصلى فيها عزير، انهارها سياحة وارضها فياحة على كل باب من ابوابها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها الآفات الى يوم القيامة ، ومضي الراوي في حديثه عن مدن خراسان الى ان يقول : وان لله بخراسان مدينة يقال لها الشاش القائم فيها والنائم كالمتشحط بدمه في سبيل الله ، وان لله بخراسان لمدينة يقال لها بخارى ، وان رجال بخارى آمنون من الصرخة عند الهول اذا فزعوا، مستبشرين اذا حزنوا فطوبى لبخارى يطلع الله عليهم في كل ليلة اطلاعة فيغفر لمن شاء منهم ويتوب على من تاب منهم ، ويستمر الراوي يعدد مدن خراسان ومناطقها فيذكر منها طوس وخوارزم وجرجان وقومس وسمرقند وغيرها ويذكر ما اعده الله من الكرامات لكل واحدة منها كما روى احاديث عن الرسول في فضل قزوين وجرجان وبغداد والبصرة وغيرها (١) .

وذكر السيوطي في كتابه الخلفاء فصلاً بعنوان الاحاديث المنذرة بخلافة بني امية يشتمل على مجموعة من الاحاديث عن النبي ﷺ تنبئ بالامويين وحكامهم ، وبعده فصلاً بعنوان الاحاديث المبشرة بخلافة بني العباس يشتمل على الاحاديث التي ترفع من شأن العباسيين وتبارك في عهدهم وحكمهم .

(١) انظر ص ٤٦٧ وما بعدها من المصدر السابق .

وبلا شك ان هذا النوع من الأحاديث من موضوعات العهد العباسي الذي استغل فيه الحكام المحدثين والادباء لمدهم وتفضيلهم على من سواهم ، وكان الأدب والحديث من افضل ما يتقرب به المرتزقة من الحكام في ذلك العصر .

وحكى الصولي ان احد اتباع العباسيين عاتب البرامكة في اغداقهم على الشعراء وحرمانه فقال له الفضل : ان سلكت مذهب مروان بن حفصة في ذم العلويين اوصلك شعرك الى ما تريد ، فقال : والله لا استحل ذلك ، فأجابته الفضل بقوله: كلنا يفعل ما لا يحل له فملك بنا وبسائر الناس أسوة ، فنظم القصيدة المشهورة التي يقول فيها :

اعم نبي الله اقرب زلفه	اليه ام ابن العم في رتبة النسب
وايها اولى به وبعمده	ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباس احق بتلكم	وكان علي بعد ذاك على سبب
وابنساء عباس هو يرثونه	كما للعم لابن العم للارث قد حجب

ولما انشدها الرشيد اجازته عليها بعشرين ألفا .

وروى لهم المحدثون فيما روه في فضائلهم وكرامتهم ان رسول الله ﷺ قال للعباس: اذا كان غداة الاثنين فائتني وولدك حتى ادعو لك دعوة ينفعك الله بها وولدك قال: فغدونا اليه فألبسنا كساء ثم قال : اللهم اغفر للعباس وولده مغمرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ، اللهم احفظه في ولده . كما روى لهم انه قال : الخلافة في ولد عمي حتى يسلموها الى المسيح ، وانه بشره في رواية ثالثة بأربعين خليفة من ولده وسمى له بعضهم باسمه .

كما روى لهم احاديث تشير الى ان المهدي الذي اخبر عنه النبي ﷺ هو من ولد العباس ، وقد لقب المنصور ولده محمد بالمهدي لهذه الغاية ، وجاء في رواية الاغانى ان المنصور حينما اراد ان يأخذ البيعة لولده المهدي من بعده كان

ولده جعفر يعترض عليه في ذلك فامر باحضار الناس وقام الخطباء والشعراء فتكلموا واكثروا من ذكر فضائله وفيهم مطيع بن اياس، فقال مطيع : حدثنا فلان عن فلان ان النبي ﷺ قال : المهدي منا محمد بن عبد الله وامه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، فقال رجل من الحضور اسمه العباس : نعم لقد سمعت هذا ، الى غير ذلك مما يعسر علينا إحصاؤه^(١) .

ويجب ان لا يفوتنا ونحن نتحدث عن الموضوعات واسبابها ذلك الصراع الحاد الذي ظهرت بوادره في النصف الثاني من القرن الأول بعد ان اختلط العرب بغيرهم من الامم التي انضمت الى الاسلام وحملت معها من تعاليمها وثقافتها ما لم يعرفه المسلمون ولم يدخل بين تعاليمهم، وكان من نتائج هذا الاختلاط ان ظهر الخلاف بين المسلمين انفسهم وتباينت آراؤهم في كثير من المسائل التي تتصل بالمقائد، وأصبح لكل رأي انصار واتباع، فظهرت فكرة الارزاء من قصور الخلفاء واصبحت ديناً لهم كما تؤيد ذلك رواية ابن عساكر عن النضر ابن شميل وجاء فيها ان النضر قال: دخلت على المأمون ، فقال كيف اصبحت يا نضر فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال: ما الارزاء؟ فقلت: دين الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم، وقد اتخذوه ديناً لهم في مقابل الاحكام القاسية التي نادى بها الخوارج وتمصبوا لها محاولين بذلك ان يجعلوا لثورتهم الصبغة الدينية ليربحوا عطف العامة وتأييد الخاصة من اتقياء الناس وعلمائهم الذي راعهم استهتار الامويين بالمقدسات وتعاليم الاسلام فأدانوا احكام الامويين بالكفر من خلال تكفيرهم لمرتكبي الكبائر ، مما اضطر الحكام ان يحتفظوا بصفة الايمان بواسطة المواليين لهم الذين قالوا: ان الذنب منها كان نوعه وخطره

(١) انظر ص ١٢٥ و ١٢٦ من نسعى الاسلام الجزء الثاني وص ٢٤٠ و ٢٤١ جزء ٣ .

لا يخرج الانسان عن كونه مؤمناً مسلماً ، وكان شعارهم لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، واذا استرعى الله عبداً أمر الامة كتب عليه الطاعات ولم يكتب عليه المعاصي ، ونسبوا ذلك الى الرسول ﷺ ، ومن بين هاتين النزعتين ظهرت فكرة الاعتزال ، وكانت في بدايتها فكرة تمثل الاعتدال بالنسبة إلى غلو الخوارج في التشديد على العصاة ، وافراط المرجئة في التسامح معهم إلى أبعد الحدود .

واستمر الاعتزال يتسع بعد ان كان محدودا حتى تدخل في امور الدين كلها ، وحكم العقل فيما لا نص فيه ، وتأول النصوص التي لا يستسيغ العقل ظواهرها ومحتوياتها ، وكان من الطبيعي على أصحاب هذه النزعة ان يقفوا من الحديث موقف الحذر الناقد ، ويبحثوا عن عيوبه من الداخل والخارج ، واتسع الخلاف بينهم وبين المحدثين الى ان بلغ حدود التكفير والتفسيق ، وظهر الانقسام بين المسلمين في مختلف العواصم والبلاد وكان صوت المعتزلة يرتفع عالياً في اغلب الاحيان وبخاصة عندما يحذون من يساندتهم ويتبنى آراءهم من الحكم ، ويخفت حيناً آخر عندما يقف الحكم الى جانب الفريق الثاني ، كما حدث ذلك بالفعل حيناً تبناهم المأمون والمعتصم وخذلهم المتوكل ومن جاء من بعده ، وكان بين الفريقين من لا يتورع عن وضع الاحاديث التي تؤيد رأيه وتسيء الى اخصامه .

وإلى جانب هذه الاتجاهات ظهر اتجاهان آخران في عصر مبكر من تاريخ الاسلام أثارا جدلاً حاداً بين المسلمين وتطور الصراع فيها وامتد عبر القرون الطوال ، وساهم فيه العلماء والمحدثون والمعتزلة وغيرهم من جميع الفسوق والاحزاب ، هذان الاتجاهان كانا من ابرز الخلافات في العقائد واكثرها تعقيداً وغموضاً ، وهما القدر بمعنى الاختيار ، والجبر الذي يعود الى أن جميع الافعال مردما إلى الارادة الالهية التي لا يملك معها الانسان من امره شيئاً .

وبالإضافة إلى هذا النوع من الخلاف في العقائد والاصول ظهر نوع آخر من الخلاف أدى إلى انقسام الفقهاء على انفسهم ، وبرز هذا الخلاف بشكل أكثر وضوحاً وتصلباً بين الحجازيين الذين اعتمدوا الحديث في احكام جميع الحوادث حتى الذي تجدد منها بعد التطور الذي طرأ على حياتهم ، وبين العراقيين الذين كانوا بطبيعة مركزهم الجغرافي على صلة وثيقة بالامم المتحضرة ، وتضاعف هذا الاتصال بعد الفتح الاسلامي لتلك الاقطار المجاورة لهم فطراً تبدل ملموس في حياتهم واطضاعهم مما اضطرهم إلى البحث والتفتيش عن حلول جديدة لأكثر المشاكل والحوادث التي لم يعرف المسلمون نظيراً لها من قبل في حين ان الحديث كان مصدره الحجاز ، والحجاز كانت دار الضرب على حد تعبير بعضهم ، وأول بلد ظهر فيه الكذب في الحديث كما ذكرنا من قبل .

وجاء عن أبي حنيفة أنه لم يصح عنده من احاديث الحجازيين أكثر من سبعة عشر حديثاً ، وسواء صح عنه ذلك أم لم يصح فما لا شك فيه ان الكذب في الحديث قد شاع بين الحجازيين منذ عصر الصحابة ، ولم يعد حديثهم محلاً للوثوق والاطمئنان مما دعا فقهاء الانصار إلى الانكماش عنه وعدم الاطمئنان اليه ، والبحث عن احكام تلك الحوادث عن غير طريق تلك المرويات فاعتمدوا على العقل في استخراج العلل والمصالح واعطوا لكل حادثة حكماً يناسبها ، وبلغت الخصومة اشدها بين هذين الفريقين ، ولم يعد احدهما يطمئن لمرويات الآخر واحكامه التي يستخرجها ويتهمه بالكذب على الرسول ﷺ .

وقد صور ابن قتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » موقف الفرق والاحزاب والفقهاء من الحديث بعد ان استعرض الفرق والأحزاب ولواعث الفقهاء والمحدثين فقال : ان كل طائفة من هذه الطوائف المختلفة في المبادئ التي تعتمد عليها قد روت الاحاديث المختلفة التي تؤيد مذهبها واتجاهها .

وقملى كل فريق منهم لتأييد مذهبه بأحاديث مختلفة تزيد من شكوك المرتابين وتفسح لأهل الاطماع والاهواء ان يستعملوه في سبيل مصالحهم كما يشاؤون ، وبلغ بهم الاسفاف ان يضعوا الحديث في تفضيل المرض على الصحة والغنى على الفقر والقلق والخوف على الراحة والاطمئنان ونحو ذلك تسلياً لأولئك المنكوبين .

وفي مقابل ذلك وضع انصار الاتجاه الثاني بعض الاحاديث في مقابلها ، كما وضع القصاصون والمحدثون عدداً من المرويات في تفضيل بعض الحيوانات كالفرس والابل والاتان والانعام ، وذب بعض الحشرات والنباتات والبقاع والجبال ونحو ذلك ، فرووا أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق الخيل أوصى الى ربح الجنوب أي خالق منك خلقاً فاجتمعي ، فاجتمعت فامر جبريل فأخذ منها قبضة فخلق منها فرساً كميتاً وقال له: قد خلقتك فرساً وجعلتك عربياً وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم. في حديث طويل جاء فيه ان الفرس أفضل من البراق وغيره من المخلوقات (١) .

كما رووا في فضل غيرها من الحيوانات والأنعام والنباتات بعض الاحاديث تفضلها على الخيل وغيرها من المخلوقات (٢) . لا يعني من الاشارة إليها اكثر من تأييد النص الذي نقلناه عن ابن قتيبة من كتابه تأويل مختلف الحديث .

والواقع ان أخصام أبي حنيفة قد تجنوا عليه كثيراً وألصقوا به ما لم يقله وما ليس فيه ، فهو لم يقف من الحديث موقفاً سليماً كما يزعمون ، كما وانه

(١) ويبدو ان واضع هذا اللون من الاحاديث كان يتاجر بالخيل ويقتليها.

(٢) انظر نهاية الارب لاحد بن عبد الوهاب النوري .

لم يكن إيجابياً مع الحديث يأخذ به مهما كان لونه كما كان يصنع بعض معاصريه من الحجازيين ، لقد ادرك ما تعرض إليه حديث الرسول ﷺ وما ألصق به زوراً وافتراء ، فاضطر في كثير من الأحيان إلى استنباط للعمل وقياس غير المنصوص على المنصوص ، فاتهموه بالاستهتار بسنة الرسول وأنه يأخذ بالقياس حق مع وجود الرواية ، واحصوا عليه أنه أفتى بنحو من مائتي مسألة خالف فيها سنة الرسول ، وادعى ابن عبد البر في الانتقاء ان محمد بن اسماعيل البخاري قد جرحه وعده مع الضعفاء والمتروكين ، وأضاف إلى ذلك ان الشيخين البخاري ومسلم لم يرويا عنه حتى ولا رواية واحدة .

وقال الاستاذ احمد امين في كتابه فجر الاسلام : ان النزاع بين المدرستين مدرسة الرأي والحديث كان على أشده ، ووجه كل فريق قوارص اللوم للآخرين ، ووضعت الأحاديث لتأييد كل مدرسة منها ، واشتدت العصبية إلى حد أنه إذا نسبت مدرسة الحديث رواية إلى الرسول ﷺ نسبت إليه مدرسة الرأي رواية تعاكسها ، فقد روى عنه اهل الحديث أنه قال : يوشك رجل منكم متكئاً على أريكة يحدث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه ، الا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله .

وروى اهل الرأي في مقابل هذا الحديث ان رسول الله ﷺ قال : ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وكيف اخالف كتاب الله وبه هداني الله ؟ .

هذا ومن الصعب ان تتوفر القناعة للباحث في اسانيد الروايات وموتونها بكذب هاتين الروايتين ، وكل ما في الأمر ان انصار النزعتين اتخذوها اساساً لوضع الاحاديث التي تؤيد اتجاهها .

ويحد المتتبع عشرات الاحاديث تؤيد انصار الرأي ، كما يحد في مقابلها ما يؤيد انصار الحديث وينهى عن العمل بالرأي واستعماله في الحلال والحرام وقد تخطى الوضع هذه الناحية الى وضع احاديث تبشر بأبي حنيفة قبل مولده بعشرات السنين وتنوه بأسلوبه ونزعت التي اتبعها في فقهه ، واضافوا إلى ذلك ان الرسول نفسه هو الذي وضع نواة القياس وارشد الى الرجوع اليه عند فقدان النصوص في كتبه ورسائله التي كان يزود بها القضاة والمفتين خارج المدينة وفي مقابل ذلك ظهرت طائفة من المرويات على الرسول تحذر من الأخذ بالقياس ومن انصاره والعاملين به، ومن أبي حنيفة بشخصه واسمه، فرووا عن الرسول انه قال : سيكون في أمي رجل اسمه النعمان اضر عليها من ابليس ، وحذرهم منه كما حذرهم من الابالسة والشياطين. الى كثير من امثال هذه المرويات التي اتسمت بطابع الحزبية العنيفة للأشخاص والآراء والمذاهب.

وبجمل القول ان الدوافع على الكذب في الحديث لم تقتصر على الجانب السياسي ولم يكن الجانب السياسي في يوم من الايام اشد تأثيراً من الجوانب الأخرى، مع العلم بأن الدوافع السياسية كانت اسبق من غيرها إذا استثنينا بعض العناصر التي اندست في صفوف الصحابة وتسللت بهذا الوصف وقامت بدور ملموس في وضع الاحاديث لغرض التخريب والتشويش كما ذكرنا في الفصول السابقة .

وقد اوجز القاضي عياض كما جاء في تاريخ التشريع الاسلامي للبخاري ص ٨٢ الحالة التي وصل إليها الحديث في العصر الاموي والدوافع على الكذب فيه بما حاصله: ان الوضعين على حد تعبيره كانوا اقساماً ، فمنهم من كان يضع عليه ما لم يقله ترفعاً واستخفافاً ، كالزنادقة وأشباههم ، ومنه من كان يضع خشيةً وقديناً كجهلة المتعبدین الذين وضعوا الاحاديث في الفضائل والبرائات ومنهم من كان يضع إغراباً ومهمة وتعصباً كفسقة المحدثين ومتعصبي المذاهب

ومنهم من كان يضع الاحاديث تنفيذاً لرغبة الحكام وطلب العذر لهم فيما ارتكبه من الجرائم والمنكرات، ومنهم من كان يأخذ كلام العرب والصحابة ويلسبه الى الرسول لهُوى في نفسه ، الى غير ذلك من اصناف الكذابين على الرسول ﷺ .

وبلا شك ان الدوافع التي اجملها القاضي عياض على الكذب في الحديث في العصر الأموي قد تضاعفت وتنوعت في العصور التي تأخرت عنه فقد جاء دور جماعة من المتشيعين لأهل البيت (ع) الذين ظلوا زمناً طويلاً يسمعون شتم علي على المنابر وفي المساجد والمجتمعات ، ويرون الاحاديث المكذوبة على الرسول في فضل الخلفاء والامويين تقرض حتى على الصبيان الصغار وتدخل في مناهج التعليم في الكتاتيب وفي الحلقات ، هؤلاء عندما دب الضعف في جسم تلك الدولة الجائرة، وظهرت طلائع الحزب المعارض ووجدوا بين ايدي الناس سبلاً من الروايات المكذوبة وبعضها كان يتناول علياً وبنيه بكل أنواع الإساءة - لم يتورعوا ان يضعوا بعض الاحاديث في الفضائل وانتقاص الخلفاء ونسبوها إلى الأئمة (ع) في حين أنهم كانوا يعارضون بحزم واصرار كل من يحاول ان يضعهم فوق مستوى الناس ، أو ينتقص أحداً من الخلفاء وصحابة الرسول الأبرار ، وجاء دور الفرق الشيعية في تلك الفترة من تاريخ المسلمين التي تعددت فيها الاحزاب وتضاربت فيها النزعات والاتجاهات حتى بين المحدثين والفقهاء، هذه الفرق التي استعملت الحديث فيما استعملته من الوسائل لتأييد الافكار التي تبنتها ونشطت في ترويحها والدعاية لها كالكيسانية والزيدية ، والقطبية وغيرها ، وكان من اخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لاهل البيت ، واندسوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (ع) مدة طويلة من الزمن استطاعوا خلالها ان يتقربوا من الامامين الباقر والصادق

واطمأن إليهم جمع من الرواة، فوضعوا مجموعة كبيرة من الاحاديث ودسوها بين احاديث الأئمة وفي اصول كتب الحديث ، كما تشير الى ذلك بعض الروايات ، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلص الاسدي الذي يكتنيه الشهرستاني بأبي زينب ، والمقرزي بأبن أبي ثور ، والمغيرة بن سعيد، وبزيع بن موسى الحائك ، وبشار الشعيري ، ومعمار بن خيثم، والسري، وحمزة اليزيدي وصائد الهندي ، وبيان بن سمعان التميمي ، والحريث الشامي ، وعبد الله بن الحريث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم ، وكان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمار بن خيثم ، وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الاحاد والغلو ، فلقد ادعى بشار بأن علياً هو الإله ، وقال بالتناسخ ، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لمزام وكان جاراً لبشار ، قال له : إذا قدمت الكوفة فقل له : يقول لك جعفر : يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك قال مزام : فلما قدمت الكوفة بلغته الرسالة ، فقال لبشار : وقد ذكرني سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا ، فقال له جزاك الله خيراً، واما معمر بن خيثم فقد احل جميع المحرمات ، واما حمزة فكان يدعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة ، وأما بيان فلقد ادعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأما المغيرة بن سعد فلقد ادعى النبوة وكان اكثرهم اتباعاً لأنه كان يستعمل السحر والشعوذة والأساليب التي تضلل البسطاء والمغفلين .

وجاء عن أبي الحسن الرضا انه قال: كان بيان يكذب على علي بن الحسين فأذاقه الله حر الحديد ، وكان المغيرة يكذب على أبي جعفر الباقر، وكان محمد ابن فرات يكذب على أبي الحسن موسى بن جعفر، وكان ابو الخطاب يكذب على أبي عبد الله الصادق .

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ان جعفر بن محمد كان رجلاً صالحاً

مسلماً ورعاً فاكنتفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون حدثنا جعفر ابن محمد ، ويحدثون بأحاديث منكورة كلها كذب على الامام جعفر بن محمد يستأكلون بها الناس كالمفضل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضاعين ونسبوا اليه انه قال : ان معركة الامام تكفي عن الصلاة والصيام ، وان علياً في السحاب يطير مع الريح ، وان الله إله السماء والامام إله الارض ، الى غير ذلك من المقالات (١) .

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الامام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة ان المغيرة بن سعيد وبياناً وصائد الهندي وعمر النبطي والمفضل وغيرهم من المنحرفين عن التشيع والمندسين في صفوف الشيعة وضعوا بين المرويات عن الأئمة عدداً كبيراً في مختلف المواضيع .

وجاء عن المغيرة أنه قال : وضعت في اخبار جعفر بن محمد اثني عشر الف حديث ، وظل هو واتباعه زمناً طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم الى مجلس الأئمة (ع) ولم ينكشف حالهم إلا بعد ان امتلأت اصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم كما تشير الى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة .

وجاء في الكشي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: كان المغيرة بن سعيد يعتمد الكذب على أبي وأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المتسترون بأصحاب أبي يأخذون كتب أصحاب أبي فيدفعونها الى المغيرة فيدس فيها الكفر والزندقة ويسندها الى أبي ثم يدفعها الى أصحابه ليبثوها بين الشيعة ، وبلا شك كان هو واتباعه ينسبون الرواية المدسوسة الى الموثوقين من اصحاب

(١) انظر اتقان المقال ص ٣٦٨ .

الأئمة حتى لا ينكشفوا على واقعهم ، هذا بالإضافة الى فريق آخر من الرضاعين كانوا يضمون الاحاديث التي تنفر الناس منهم ، كما يرشد الى ذلك قول الامام الباقر عليه السلام لقد رووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا الى الناس .

وجاء في رواية الصدوق عن الرضا عليه السلام ان ابراهيم بن أبي محمود قال له : يا بن رسول الله ، ان عندنا اخباراً في فضائل امير المؤمنين وفضائلكم اهل البيت وهي من رواية مخالفكم ولا نعرف مثلها عنكم افندين بها ؟ فقال الامام الرضا عليه السلام : يا بن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا اخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام : أحدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا ، فاذا سمع السامع الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا ، وإذا سموا التقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا باسمائهم ثلبونا باسمائنا ، وقد قال الله سبحانه : « ولا تسبوا الذين كفروا فيمسبوا الله عدواً بغير علم » ، إلى أن قال يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة .

وعقب التسري في كتابه الأخبار الدخيلة على هذه الرواية بقوله : واظن أن الاخبار التي روتها العامة في تفسير قوله تعالى : « والنجم إذا هوى » ان الله يشير بذلك إلى النجم الذي هوى في بيت علي عليه السلام كبرهان على إمامته ، هذا التفسير من الموضوعات التي اشار إليها الامام الرضا ، لأن أصغر النجوم هو أكبر من الأرض إلى نجوم السماء ، فكيف يعقل استيعاب دار علي لنجم لا تستوعبه الأرض بكاملها (١) .

ومها كان الحال فرواية الصدوق عن الرضا عليه السلام تعبر تعبيراً صادقاً عن

(١) انظر الاخبار الدخيلة ص ٢١٦ و ٢١٧ .

واقع اكثر الموضوعات في الفضائل والمثالب لأن أعداء أهل البيت قد استعملوا جميع الأساليب لإيجاد فجوة بينهم وبين الناس، فسلكوا هذا الطريق بعد أن وجدوا أن حرب الإبادة تدر عليهم العطف وتقربهم من الناس ونجحوا في هذا الأسلوب إلى حد ما ، فدرسوا بين مروياتهم مئات الأحاديث في شتم الخلفاء والصحابة ، وفي إعطاء الأئمة صفة الخالق المدبر والاتكال على ولاية علي وبنيه ، وظلت آثار هذه الموضوعات تعصف في الأذهان وتعبث في الأفكار والمقول حتى يومنا هذا، بالرغم من تلك الجهود المخلصة التي توالى للكشف عن تلك الموضوعات وتصفية الحديث والعقيدة مما علق بها من آثار تلك الموضوعات ومفاسدها .

القصص

لقد شاع القصص بين العرب في أيام جاهليتهم ، وكان المحور الذي تدور حوله أحاديثهم هي الحروب ، وأيامها كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ، ويوم الكلاب ، ويوم ذي قار ، والهوى وأخبار العاشقين ، والأشعار المنسوبة إليهم ، وعن السحر والكهانة وأخبار الجن وغير ذلك مما يعبر عن عقلية العرب في جاهليتهم ويمثل أديهم وحياتهم ، وقيل لبعض أصحاب الرسول ﷺ بماذا كنتم تتحدثون إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث عن أخبار الجاهلية . وأكثر ما شاع بينهم من القصص أخبار الجن والسحر والكهانة ، وقد أخذوا الكثير من هذا النوع عن الأمم المجاورة لهم كالفرس والرومان والسيان والأقباط وغيرهم من الأمم التي كانوا يتصلون بها في رحلاتهم وأسفارهم ، والتي تسربت إليهم من أخبار الهند واليونان والمسيحية واليهودية والديانات الأخرى التي كانت تظهر بين الحين والآخر في البلاد المتاخمة لهم ، وحتى بين القبائل العربية نفسها ، وقد نقل المؤلفون في السير وأخبار العرب والأمم التي سبقت ظهور الإسلام ألواناً من القصص والأساطير في مختلف المواضيع ، وأكثر ما يلفت النظر منها أن الكثير من الأساطير التي ينسبها الاخباريون إلى العصر الجاهلي لها نظائر بين أخبار الأمم الأخرى ، كأحاديثهم عن السحر والسحرة وعن الجن وأخبارها والكهان

الذين يدعي الاخباريون أن العرب كانوا يلجأون إليهم في المهمات والخصومات واكتشاف ما يجري عليهم في حاضرهم ومستقبلهم .

ومها كان الحال فلقد أسرف القصاصون القدامى في اخبارهم عن الحروب والغزوات والعشق والعاشقين والسحر والجن والكهان وغير ذلك مما كان شائماً بين الجاهليين أنفسهم ، وزاد فيها القصاصون بعد ظهور الاسلام وشوهوا بعض حقائقها ، كالذي نراه في أخبارهم عن ربيع بن ربيعة بن مسعود المعروف بسطيط ، وعن شق بن صعب بن يشكر ، وعفراء ، وخطر بن مالك الذي عمر نحواً من مائتي عام على حد زعمهم ، ومن القصص الذي حدث بها عنه لهيب بن مالك اللبيب بعد ظهور الاسلام أنه قال : حضرت عند رسول الله فذكرت له الكهانة ، وقلت له يا رسول الله نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم وذلك أنا قد اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة وثمانون عاماً وهو أعلم كهانتنا ، فقلنا له يا خطر : هل عندك علم عن هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها ، فقال : اثبتوني بالسحر اخبركم بالخبر ، فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد عند السحر أتيناها فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينيه ، فناديناه يا خطر فأومأ إلينا أن اسكتوا فأمسكنا ، فانقض نجم من السماء ، فصرخ الكاهن أصابه أصابه ، خامره عقابه ، عاجله عذابه ، احرقه شهابه ، يا ويله ما حاله ، بلبله بلباله عاوده خياله .

ومضى الراوي في حديثه بهذا الاسلوب ، إلى أن قال : ثم أمسك الكاهن طويلاً ، وقال : يا معشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان ، أقسمت بالكعبة ذات الأركان ، والبلد المؤمن بالسكان ، قد منع السمع عتاة الجان ، بشاقب بكف سلطان ، من أجل مبعوث عظيم الشأن ، ينبعث بالتنزيل والقرآن ، تبطل فيه عبادة الأوثان . فقلنا له يا خطر : ومن هو ، فقال والحياة والعيش

أذه من قريش ، ما في حكمة طيش ، ولا في خلقه هيش ، يكون في جيش ،
وهكذا استمر يحدث بهذا النوع من السجع إلى أن انتهى لنسبه واسمه في
حديث طويل .

وأغمي عليه ثلاث ساعات على حد زعم الراوي ، كل ذلك والنبى ﷺ
يستمع الى هذه الاسطورة معجباً بأسلوبها ومضمونها كما يدعي الراوي .

وقد حدث للقصاص عن جماعة من الكهان بأنهم قد اخبروا عن النبى ﷺ
قبل ظهوره بعشرات السنين ، منهم الكاهن المعروف بسطيح وعفراء وغيرهما
بهذا الاسلوب ، كما حدثوا عن الجان وتقمصها بالأصنام وتزويدهم بالمعلومات
عما كان وسيكون ، ومن ذلك ما جاء عن اسلام عمر بن الخطاب بعد ان
كان من أشد الناس عداوة ل محمد ﷺ ودعوته ، فلقد رووا عنه أنه أخذ سيفه
وذهب يتعين الفرص لقتله ، فمر بقوم من خزاعة ، وقد اعتمدوا صنما لهم يريدون
ان يتحاكموا إليه ، فقالوا لعمر ادخل معنا لتشهد الحكم ، فدخل معهم ،
فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفا من جوفه يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام	ما انتم وطائش الاحلام
ومسند الحكم الى الاصنام	اصبحتم كرائع الاغنام

في أبيات كثيرة يقول فيها :

محمد ذو البر والاكرام	أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام	يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلوات للارحام	ويزجر الناس عن الآثام

ومضى الراوي يقول : فلم يحضره أحد الا اسلم ، غير أن عمر بن الخطاب
مضى في طريقه الى حيث يكون النبى ﷺ فالتقى بجماعة من بني سليم قد

تنافروا الى صنم لهم اسمه ضممار ليحكم بينهم، فادخلوا عمر بن الخطاب معهم عليه ، فلما دخلوا على الصنم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول :

اودى الضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم في قريش مهتد
سيقول من عبد الضمار ومثله ليت الضمار ومثله لم يعبد
فتغير رأي عمر بن الخطاب وذهب الى النبي واسلم على يده .

وروا اساطير من هذا النوع كانت السبب المباشر في اسلام جماعة من وجوه العرب كانوا يزاؤون ويسخرون من دعوة الرسول منهم وائل بن حجر، وكان ملكاً مطاعاً في قومه ، ومازن الطائي الذي اخبره الجن من جوف الصنم بظهور النبي ﷺ ، وأمره بأن يؤمن بدعوته في قصة طويلة رواها في المجلد السادس من نهاية الارب مع ما رواه من أخبار الجن وتقمصها بأصنام العرب (١) .

ومن ذلك ما رواه عن جبير بن مطعم عن أبيه أنهم عرفوا بنبوة محمد وظهوره بمكة من صنم كانوا يعبدونه قبل أن يعلن النبي عن دعوته بمدة من الزمن .

ومن الذين اسلموا عن طريق الأصنام عبد الله بن ساعدة الهذلي ، وروى القصاصون عنه أنه قال : كنا نعبد صنماً يقال له سواع، وكانت لي غنم جربت فسقتها إليه وأدنيتها منه أريد بركته ، فسمعت منادياً من جوفه يقول : المعجب كل المعجب سدل الحجب، ورميت الجن بالشهب، ونزل خير الكتب ، على خير العرب. في حديث طويل لا يعنينا منه أكثر من هذا المقدار ، الى

(١) انظر ص ١٥٧ وما بعدها ج ٦ من نهاية الارب طبع بيروت - تصوير .

كثير من امثال هؤلاء .

كما جاء في نهاية الارب ، والمجلد الاول من مروج الذهب للمسعودي ، وابن عبد ربه في المقد الفريد ، وقد اكثر هؤلاء وغيرهم من المؤرخين القدامى من القصص عن البحار وعجائبها والفرسان وبطولاتها ، والكهان واحاطتهم بما كان وسيكون ، واستخدام الاقباط والسريان والرومان وغيرهم للسحر في حروبهم وغيرها مما يحتاجون إليه ، والعشق والعاشقين وأنخبارهم وأشعارهم وغير ذلك من القصص الذي لا يشك الباحث في احوال تلك الامم بأن تلك الأخبار أكثرها من موضوعات المصور الاسلامية الاولى بعد ان اصبح القصص فناً يتعاطاه الندماء في قصور الخلفاء والامراء بالاسلوب الذي يرضي سادة القصور وسيداتهن ويوفر للقصاصين العطاء الجزيل والعيش السعيد الى جانب الجواري والمغنين التي كانت تعج فيها قصور الحكام والامراء ، يوم اصبح المحدثون والوعاظ يتاجرون بالدين ، ويتخذون الحديث والوعظ وسيلة للعيش وتنفيذ رغبات الحاكمن، وقد وضع القصاصون والوعاظ مجموعة كبيرة من الاحاديث لا تقل اخطارها على السنة النبوية واحاديث أهل البيت عن اخطار المرويات التي وضعها اتباع الحاكمن والزنادقة وقادة الفرق والأحزاب التي تفرعت عن الاسلام والتشيع لتأييد مذاهبها واتجاهاتها ونزعاتها .

هذه المجموعة من القصص والأحاديث قد ادخلت على الحديث وعلى تاريخ المسلمين الكثير من اساطير الامم التي سبقت ظهور الاسلام ، وكانت ولا تزال وستبقى سلاحاً يعتمد عليها دعاة الهدم والتخريب ما دامت في بطون كتب الحديث والتاريخ الى جانب الصحيح السليم فيها هنا وهناك .

وتكاد الروايات تتفق على ان جماعة ممن كانوا يعتنقون المسيحية واليهودية قد حاولوا ان يدسوا بين تعاليم الاسلام بعض الاساطير بقصد التشويش والتخريب وظهرت نتف منها في عصر الرسول ﷺ ، ولكنه بحرصه على

رسائله ورعايته استطاع ان يكشفهم ويحبط دسائسهم ، وكان أحد هؤلاء
عيم الداري من نصارى اليمن الذين دخلوا الاسلام في السنة التاسعة من هجرة
الرسول ، وهو بطل اسطورة الجساسة والذجال اللذين اشرنا اليهما في موضع
سابق من هذا الكتاب ، ونشط في عصر الخليفة الثالث عثمان بعد ان رخص
له في ارتياد المجالس والمساجد في يومين من كل اسبوع يحدث فيها بأساطيره
من اخبار الامم السالفة وغيرها مما يحقق له اهدافه بالاسلوب الذي يوجه إليه
الانظار ، ويلفت اليه أكبر عدد من عوام الناس .

وجاء من بعده وهب بن منبه المعروف بين المؤرخين والمحدثين بقصصه
واخباره عن الامم والاديان ، وصاحب أبي هريرة الذي أخذ عنه وحدث
بعروياته وكان منها دعاؤه الثاني الذي كان يخشى ان يحدث به يوم كان عند
من وصفوم بالصعبة بقية من دين .

ولعل وهباً وكعب الاحبار من أعظم المصادر لقصص الانبياء وأساطير
الماضين كما ذكرنا من قبل ، وعلى اساسها قد وضع جماعة من المفسرين
تفاسيرهم لبعض الآيات والسور التي لا تزال كتب التفسير مشحونة بها .
وظلت حركة القصصين تتسع مع الزمن حتى استفلم الحكام لاغراضهم
السياسية ، وكان أول من استعملهم لذلك معاوية بن ابي سفيان ، فقد ولى
رجلاً أمر القصص على الناس اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح ، وكان يتجه
الى من معه في المسجد فيذكر الله سبحانه ، ويصلي على رسوله ، ثم يدعو للخليفة
واهل بيته وجنوده واتباعه ، وينتقل بعد ذلك الى الدعاء على اخصامه
والمحاربين له وجميع من خالفه ولم يقر له بالطاعة (١) .

ويدعي اليعقوبي في المجلد الاول من قاريحه ان الحسن بن علي رضي الله عنهما

(١) كما جاء في خطط القرطبي ج ٢ ص ٢٥٣ .

يوماً بقاص يقص على باب مسجد رسول الله ﷺ فقال له: ما أنت ؟ فقال:
أنا قاص يا بن رسول الله. فقال له كذبت ! محمد القاص ، قال الله تعالى :
« فاقصص القصص » ، قال : أنا مذكر ، فقال له كذبت ، محمد المذكر ،
قال الله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر » ، قال له فما أنا ؟ قال له الحسن
أنت المتكلف من الرجال .

وجاء في فجر الاسلام عن كتاب القضاة للكندي ان كثيراً من القضاة
كانوا يقومون بمهمة القصاصين الى جانب مهنة القضاء بأمر من الحاكمين ، وان
أول من قص بمصر سليمان بن عمر التجيبي سنة ٣٨ ، وولاه معاوية امر
القضاء الى جانب القصص ، ثم عزله عن القضاء واعده للقصص لا غير (١) .

ويبدو من هذه الرواية وغيرها انه كان للقصاصين مركز بين مراكز الدولة
يوليه الخليفة لمن يراه صالحاً لهذه المهمة كغيره من موظفي الدولة ، غير ان
القاص لا بد وان تكون له الصبغة الدينية لأنه بالإضافة الى الدعاء للخليفة
وانصاره والدعاء على خصومه يقوم بمهمة الارشاد والترغيب في عمل الطاعات
ويفيض في وصف الهبات والمثوبات والعقوبات ونحو ذلك من وصف الحور
والقصور وما الى ذلك ، ويجعل لما يحدث به سنداً يتصل بالنبي أو الامام .

وجاء في الاغانى ان بشار بن برد مر بقاص يقول : ان رسول الله قال :
من صام رجلاً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرأ في الجنة صحنه ألف فرسخ
في مثلها وعلوه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة
فراسخ في مثلها ، فالتفت بشار الى قائده وقال : بثست الدار والله هذه في
كانون الثاني .

وجاء عن بعضهم انه كان يقول : اذا استحسننا امراً جعلناه حديثاً، واذا

(١) انظر فجر الاسلام ص ١٦ وتاريخ البيهقي ج ٢ ص ٢٧٠ .

اتهمهم أحد بالكذب على الرسول ، ولم يستطيعوا التخلص منه التجأوا الى أسلوب آخر ، وقالوا : نحن نكذب له لا عليه لبرقت قلوب العامة .

وقال بعضهم : لما رأينا الناس قد تلهوا عن القرآن ببعض الاحاديث وفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق وضعنا أحاديث في فضل السور والقرآن لنصرف الناس عما اشتغلوا به الى كتاب الله .

وظل القصص يتطور وبلتشر حتى اصبح مورداً للمرتزقة ووسيلة من وسائل الاستجداء ، فكان القصص يحدث بعد الصلاة بالغرائب التي تلفت الانظار إليه وتثير عواطف العامة وينسب حديثه الى الامام عليه السلام والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يرى في ذلك اثماً وزوراً ، فاذا فرغ من حديثه بسط رداءه فيدفع له كل انسان حسب مقدرته ، ولا يبالي بما تقوله الخاصة ما دام يحمد من العامة من يسمع له ويتطلع إلى هذا النوع من الحديث الذي يدر عليه العطاء وينمحه احترام العامة وتقديرهم .

وجاء في موضوعات ابن الجوزي عن أبي جعفر بن محمد للطيالسي انه صلى احمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد بالرصافة في بغداد فقام قاص بين تلك الجموع وقال : حدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان. ومضى في حديث طويل يبلغ نحواً من عشرين ورقة على حد تعبير الراوي يعدد الهبات التي يمنحها الله في مقابل هذه الكلمة ، فجعل احمد بن حنبل ويحيى بن معين ينظر كل واحد منها الى الآخر مستغرباً ، وسأل كل منها صاحبه إذا كان قد حدثه بذلك فعلموا بأنها لم يسمعا بذلك غير الساعة ، ولما فرغ الرجل من حديثه وأخذ نصيبه من الحضور أشار إليه يحيى بيده فجاءه مسرعاً وهو يظن بأنه سيدفع له شيئاً ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ قال :

يحيى بن معين واحد بن حنبل ، فقال أنا يحيى وهذا احمد بن حنبل ، والله ما سمعنا بهذا ابدا بين أحاديث رسول الله ، فقال له : لم ازل اسمع ان يحيى ابن معين أحق فلم اتحقق ذلك إلا الساعة ، كأن ليس في الدنيا غيركما ، لقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وقام عنها كالمستزىء بها .

وجاء في كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي ان الشعبي في أيام عبد الملك بن مروان نزل تدمر ، فسمع شيخاً عظيم الاحية يقول : ان الله خلق صورين في كل صور نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة ، قال الشعبي : فرددت عليه وقلت له : ان الله لم يخلق الا صوراً واحداً وإنما هي نفختان فقال لي يا فاجر : انما يحدثني فلان عن فلان وترد علي ، ثم رفع نعله وضربني بها وتتابع الضرب علي ممن معه فما اقلعوا عني حق قلت لهم ان الله خلق ثلاثين صوراً .

وجاء عن ابن جرير الطبري أنه سمع أحد القصاصين يفسر قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ان الله سبحانه يجعل لحمد عليه السلام مكاناً على العرش الى جانبه فأنكر عليه ذلك ، وكتب على باب داره ما ينزه به الله تعالى عن ذلك ، فلما فهم القصاص ذلك اوعز الى العامة فأخذوا يقذفون داره بالحجارة حتى سدوا عليه طريقه ، وبلغ من استيلائهم على العامة ان أم أبي حنيفة أو غيره من العلماء احتاجت حكماً من أحكام الشريعة فسألت ابنها فأجابها فلم تقبل منه ورجعت الى بعض القصاصين ، فلما وافق ولدها في الرأي أخذت به .

وجاء في المنتظم لابن الجوزي ان ابا بكر الأدمي المتوفى سنة ٣٦٨ كان من احسن الناس صوتاً وكان يسمى صاحب الألحان فحسج مرة مع بعض الصلحاء ، فلما انتهوا إلى المدينة وجدوا رجلاً ضريراً قد جمع حلقة من الناس

في مسجد الرسول ﷺ وجلس بينهم يقص عليهم ويروي لهم الاحاديث المكدوبة والمفتعلة فلم يجد الانكار عليه ولم يجدوا طريقاً لتفريق الناس عنه إلا بالايجاز الى ابي بكر بقراءة القرآن بصوته الساحر ، فلما شرع في القراءة توجه إليه العامة وانصرفوا عن الضريح .

وكانت الممارك تشتد وتستعصي حتى على الحاكمين أحياناً بين السنة والشيعة في بغداد وغيرها بسبب أحاديث القصاصين من السنة والشيعة ، ويحل الخراب والدمار في محلاتهم بسبب أحاديثهم في الفضائل والمثالب ، وأحياناً يتفق القاص السني مع زميله الشيعي ويقف كل منهما الى جانب في الأسواق العامة ، فيحدث الشيعي بفضائل علي عليه السلام والسني بفضائل أبي بكر وعمر فإذا مر الشيعي يدفع لمن يحدث بفضائل علي وأهل البيت والسني يدفع الى الطرف الآخر، ويستولي عليهم الحماس أحياناً فيندلون لكل منها بسخاء ، فإذا كان آخر النهار يجتمعان في خلوة بعيدة عن الانظار ويتقاسمان الناتج بينهما^(١) .

وقد استعمل بعضهم أساليب الدجل والاحتيال بالاضافة الى وضع الاحاديث فقد جاء في كشف الاسرار للجوهراني ان قصاصاً قد استعمل قرداً وعلمه السلام على الناس والتسبيح والسواك والبكاء في بعض الاحيان ، فاذا كان يوم الجمعة بسط له سجادة في الجامع وأركبه بغلة ومشى بين يديه والقرد يسلم على الناس ويرد لهم التحية ، وكل من سأله عنه أجابه بأن هذا من أبناء الملوك وقد اصابه السحر حتى أصبح على هذه الحالة ، فاذا دخل الجامع وقف القرد على السجادة في المهراب وصلى ركعتين وسبح بعدها واستاك ، ثم يقف القاص بين تلك الجموع ويقول : من أصبح معافى فان لله عليه نعم لا تحصى ، اعلموا ان هذا القرد الذي ترونه بينكم والله لم يكن في زمانه احسن منه شباباً ولا

(١) انظر يتيمة الدهر للثعالبي ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٣ ، كما جاء في الحضارة الاسلامية للمستشرق آدم مارت .

اطوع منه لله ، ولكن المؤمن معرض لقضاء الله وقدره ، وكان من قضاء الله ان هذا الذي ترون قد زوجه والده ابنة أحد الملوك فأقام معها مدة طويلة ، ففيل لها انه قد عشق مملوكا له فأدركتها الغيرة فخرجت الى بيت أهلها وسحرته واصبح كما ترون ، وقد سألتها ان ترفع عنه السحر بعد ان هجره والده وأخرجه من مملكته فادعت ان لها عنده اثاثة قيمته مائة ألف دينار ، وتختلف عليه من أصل هذا المبلغ عشرة آلاف دينار ، ويطلب مساعدته للخروج من تلك الازمة التي ألت به ويبيكي القرد عند ذلك فترق له القلوب ولا يخرج من الجامع إلا بمبلغ كبير من المال وهكذا يصنع في كل بلد يدخلها .

وقد بلغ من تأثير القصاصين على العامة وتقننهم في مختلف الاساليب التي تدر عليهم العطاء ، انهم اصبحوا يستغفون بالعامة ولا يراقبون الخاصة ما دام عوام الناس الى جانبهم ، فقد جاء في الحضارة الاسلامية المجلد الثاني ان بعض القصاصين كان يأكل وهو سائر في شوارع بغداد فاعترضه عثمان الوراق وقال له : ويحك اما تستحي ان تأكل وأنت في الطريق ، فقال له : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تستحي وتحتشم ان تأكل وهي تراك؟ فقال لا قال : فاصبر حتى اعلمك ان عامة من تراهم اشبه بالبقر ، فقام بين الناس يقص عليهم ويعظمهم حتى اجتمع عليه خلق كثير واشتد الزحام حوله ، ثم قال : أيها الناس روى لنا غير واحد عن الرسول ﷺ أنه قال : من بلغ لسانه ارنبة أنفه لم يدخل النار فلم يبق من ذلك الحشد أحد إلا واخرج لسانه يومي به نحو ارنبة أنفه ، فقال له عثمان الوراق صدقت كل واصنع ما شئت .

ويدعي ابن الجوزي وغيره ممن تعرضوا لاحوال القصاص ان الامرائليات وما يتصل بها كانت من مواردهم الرئيسية التي اعتمدوها في قصصهم ، وكانوا يحارلون ان يظهروا بمظهر من لا يحجل شيئا ولا يعجزه الجواب عن شيء ولا يتورعون عن الاجابة عن كل واقعة ولو كانت وهية ، فقد سئل بعضهم

عن المصفور لم سمي بهذا الاسم ؟ اجاب لأنه عصى وفر .

و ادعى بعضهم بأنه يعرف اسم العجل الذي عبده بنو اسرائيل ، واسم الذئب الذي أكل يوسف ، فقال له بعض الحضور : ان الذئب لم يأكل يوسف فأجابه إنه يعرف اسم الذئب الذي لم يأكله ، وكانوا مع ذلك يظهرون بمظهر النساك والعباد ، ويضمون على وجوههم مادة صفراء ليظهروا بمظهر من انهكتهم العبادة ، وبعضهم يضع في عينيه مادة توجب سيلان الدمع دجلا وتضليلا للعوام لإيهامهم بالبكاء خوفاً من الله سبحانه ، ويتعمدون أحياناً بإلقاء أنفسهم من على المنبر وهم يتحدثون عن النار وأهوالها وأخطار يوم القيام ، الى كثير من هذه الحالات التي فضحت أساليبهم وأجأت الحكام في أواخر القرن الثالث الهجري الى منعهم من الدخول الى المساجد ، فأصدر المعتضد العباسي من ينادي في مدينة السلام ان لا يقعد في الطريق ولا في المسجد قاص ومنجم وعراف وأكد على مطاردتهم ومنعهم من دخول المساجد (١) .

وقد عدم ابن الاثير في تاريخه مع المشعوذين ، في حين ان القصاص القدامى كانوا موضع تقدير العامة والعلماء لأن قصصهم لم تكن بعيدة عن الدين ولم تبلغ الحالة التي بلغت في القرن الرابع وما بعده ، ولعل الصيغة التي غلبت على القصاصين في أواخر القرن الرابع الهجري كانت السبب في تحول الانظار الى طائفة المذكرين الذين ظهروا في ذلك العصر ، ويدعي المقدسي ان المذكر كان يجهد نفسه ليوجه الانظار اليه ويصرف العامة عن القصاصين واستطاعت هذه الفئة ان تربح ثقة الخاصة من العلماء الذين كانوا يوجهون العامة الى حلقاتهم ومجالسهم .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٦ ، وتاريخ أبي المعالي ج ٣ ص ٦٧ كما جاء في المجلد الثاني من الحضارة الاسلامية للمستشرق آدم مزر .

وجاء في كشف المحجوب ص ٢٣٥ عن أبي طالب المكي ان حضور الرجل
مجالس الذكر أفضل من صلاته، وصلاته أفضل من حضور مجالس القصاصين^(١)

وحدث بعض القصاصين يوماً فقال : ان في الجنة شجرة يخرج من أعلاها
الحلل ومن أسفلها خيول بلق من ذهب ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا
قبول ذوات أجنحة طوال يجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث يشاء الله .
الى غير ذلك من مئات الأحاديث في وصف الجنان وعجائبها ، والى جانب
هذا اللون من احاديث القصاصين نحمد كتب الحديث مشحونة بلون آخر من
الموضوعات في معجزات الانبياء والاولياء كان القصاصون والوعاظ يستدرجون
بها العامة الى مجالسهم ويستدرجون بها هباتهم وعطاءهم ، يتصدر القصاص
مجلس العامة ، أو يرقى الواعظ منبراً أعد لهذه الغاية فيحمد الله ويصلي
على نبيه ، ثم يروي لهم ما لفته من غرائب الكرامات والمعجزات ، وأخبار
الاسكندر وعين الحياة وأخبار ابن ابي الدنيا الذي شرب منها وعاش آلاف
السنين حتى أدرك القرن الرابع الهجري ، واخبار جنة عاد وعجائب
قصورها وجواهرها وأشجارها ، وغير ذلك من غرائب الاساطير
والاخبار كما ستمعرض لذلك في الفصول الآتية من هذا الكتاب ، وقد نجح
القصاصون الى حد ما في عرضهم للكرامات والمعجزات واسرافهم فيها فوضع
قصاص السنة آلاف الكرامات للخلفاء والاولياء والصلحاء زورا وافتراء على
الله وعلى الاسلام ، كما وضع قصاص الشيعة مع ما وضعه اعداء الأئمة عدداً
كبيراً من هذا النوع للأئمة الهداة (ع) ولبعض الصلحاء والأتقياء ، في حين
ان الأئمة كانوا في غنى عن كل ذلك وقد لعنوا كل من يضعهم فوق مستوى
الانسان ويغير المنزلة التي وضعهم الله بها .

(١) انظر نفس المصدر ص ١٠٦ من تاريخ الحضارة الاسلامية .

وقال الامام زين العابدين عليه السلام ، حينما احس بضعفاء الايمان من المتشيعين ينظرون اليه والى آباءه وكأنهم فوق مستوى المخلوقين وادرك بأن أعداء الأئمة يروجون لهذه الأفكار ، حينما احس بكل ذلك وقف موقف المتصلب من هذه الأفكار المسمومة وقال : حبيبونا الى الناس ولا تقولوا فينا ما ليس بنا فنحن عبيد لله لا نقدر أن نجلب لأنفسنا نفعا ، ولا ندفع عنها ضررا ، لنا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله وولادة طيبة ، هكذا قولوا الى الناس ، ولعن الله من يقول فينا ما لم نقله في أنفسنا .

وأينا اتجهت في كتب الحديث ما كان منها في التراجم ، أو الفضائل ، أو ثواب الطاعات والاعمال ، أو تواريخ الانبياء وأحوالهم ومصائبهم ، أو الاخلاق والاحكام والجنة والنار - تجد آثار القصاصين والوضاعين من الزنادقة والمندسين في صفوف المسلمين والتشيع بارزة في اسلوبها وصياغتها وتركيبها ومنتشرة هنا وهناك لها طابعها الخاص واسلوبها البعيد عن منطق الانبياء والأئمة الكرام (ع) .

والى القراء مثلا من مروياتهم ، فقد رووا عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو أراد راكب الجواهر ان يسير في ظلها لسار فيه مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رباط اخضر ، وافنانها سندس واستبرق ، وثمرها حلل ، وطعمها زنجبيل وعسل ، وبطائحها ياقوت احمر وزمرد اخضر ، وترابها مسك وعنبر وكافور اصفر ، وحشيشها زعفران ، يتفجر من اصلها السلسيل والمعين والرحيق ، واصلها مجلس من مجالس الجنة يآلفونه ومتحدث يجمعهم ، فبينما هم يوما في ظلها يتحدثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبا خبلت من الياقوت ، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من الذهب كأن وجهها المصابيح نضارة وحسنا ، وبرها خز احمر ومرعزي ابيض مختلطان لم ينظر الناظرون الى مثلها حسنا وبهاء ، ذلل من غير مهانة ، نجب من غير رياضة ، عليها رحائل الواحها من الدر

والياقوت مفضضة باللؤلؤ والمرجان صفائحها من الذهب الاحمر فأناخوا لهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم : ان ربكم بقرئكم السلام ويستذكركم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتكلموه ويكلمكم وتحياه ويحييكم ويزيدكم من فضله ومن سمته انه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم ، فيتحول كل رجل منهم على راحلته وينطلقون صفاً واحدا معتدلاً لا يفوت شيء منه بشيء ولا تفوت اذن ناقة اذن صاحبها، ولا يمرون بشجرة من اشجار الجنة إلا التحفتم بشمرها وزحلت لهم عن طريقهم كراهية ان يثلم صفهم ، فلما وقفوا على الجبار تبارك وتعالى اسفر لهم عن وجهه الكريم وتحلى لهم في عظمتة العظيمة، وجاء في الرواية ان الله بعد ان رحب بهم واستمع الى حديثهم وتبادلوا ايام الحديث والثناء قال لهم : انظروا الى مواهب ربكم الذي وهب لكم ، فاذا بقباب في الرفيع الأعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان ابوابها من ذهب وياقوت وفرشها من سندس واستبرق، وهكذا يمضي بعيدها في وصف تلك القصور وتعداد معادنها ومحتوياتها، ثم ينتقل الى مشهد آخر من مشاهد الجنة فيه من البرازين المصنوعة من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان، والولدان الذين سخرهم الله سبحانه لقيادتها ، فيركبها اهل الجنة وتمضي بهم بين قصور الجنة واشجارها وثمارها وانهارها وحورها الى ان تصل بهم الى بيوتهم في حديث طويل يستغرق بلا شك مع القصاصين اكثر من ساعتين ، ثم ينتقل بهم الى وصف نساء أهل الجنة ، فيروي لهم عن أبي هريرة وغيره من صحابة الرسول انه قال : ان الرجل ليتزوج بخمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر ، وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهم مقدار عمره في الدنيا ، ويصوب نظره إليها اربعين سنة لا يصرفه عنها، وهكذا ينتقل من واحدة لاخرى لا يمل ولا يكل ويكرر الجماع بصورة مستمرة بماودها المرة تلو الاخرى فيجدها عذراء لا يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها على حد تعبير الراوي عن أبي هريرة ، ويضيف الراوي الى ذلك ان ادنى أهل الجنة منزلة له ثلاثمائة خادم ، ويقدم له الطعام في كل يوم بثلاثمائة صفيحة من ذهب في كل صفيحة لون ليس في الاخرى ، وان له من

الخور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه في الدنيا ، والواحدة منهم مقعدها ميل في ميل ، ويعمن القصاص في وصف الحور والولدان والقصور والاشجار وطيور الجنة ومهاتها ، وكيف يأكل أهل الجنة من اجنحتها ما لذ لهم وطاب من انواع المأكول والفواكه الى غير ذلك من الغرائب بالاساليب التي تغري العامة والمففلين، وحينما يتحدثون عن أهل النار يحاولون ان يضعوا في اذهان المستمعين لها بأن الشفعاء والوسطاء ان يدعوا احدا فيها مها بلغت جرائمه إذا كان في قلبه مقدار حبة خردل من الايمان .

فقد جاء عن القاص المديني اسماعيل بن رافع ^(١) ان رسول الله ﷺ قال : ان النار يقع فيها خلق كثير من خلق ربك أوقعتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تتجاوز ذلك ، ومنهم من تأخذه الى انصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه الى حقويه ، ومنهم تأخذ جسده كله إلا وجهه ، لان الله حرم صورته عليها ، ويضيف الى ذلك ان رسول الله يقول : ياربي شفعي فيمن وقع في النار من امتي ، فيقول الله : اخرجوا من عرفتم فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم احد ، ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفيع ، فيقول الله : اخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار من الايمان فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يشفع الله فيقول : اخرجوا من وجدتم في قلبه ايمانا ثلثي دينار ، ثم يقول : ثلث دينار ، ثم يقول : ربع دينار ، ثم يقول قبطاً ، ثم حبة من خردل ، فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم

(١) لقد كان احد القصاصين المتجولين بين المدينة والبصرة واستقر بها أخيراً وجاء في تهذيب التهذيب ص ٢٩٥ من المجلد الاول انه كان من المتهمين بالكذب عن الرسول (ص) يحدث بالغرائب والتكرات وكانت وفاته في العشرة الثانية من القرن الثاني كما نص على ذلك البخاري .

احد ، وحق لا يبقى في النار من عمل خيراً قط ، ولا يبقى أحداً له شفاعة إلا شفيع ، حتى ان ابليس يتطاول بما يرى من رحمة الله رجاء ان يشفع له ، ثم يقول جل شأنه بقيت وأنا أرحم الراحمين ، فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم ، فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان ، فينبتون امثال الذر مكتوب في رقابهم «الجهنميون عتقاء الرحمن» يعرفهم أهل الجنة بذلك للكتاب ، ما عملوا خيراً لله قط ، فيمكتون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم ^(١) .

الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التي وضعها القصاصون حول رحمة الله وسعة مغفرته وعفوه .

وقد أوتي هؤلاء مقدرة وبراعة في العرض وخيالاً واسعاً في التصوير والاغراء، قل ان تجد اسطورة من اساطيرهم بدون سند يربطها بصحابي يسندها الى النبي ، أو برجل من اتباع الأئمة يسندها الى الامام عليه السلام وواحيداً يختلقون اشخاصاً واسماء ويجعلون منها سنداً يربط حديثهم بالنبي أو غيره من الأئمة والأولياء ، فاذا اعترضهم سائل قالوا : انا نحفظ هذا فكلنا استحسننا امرا اجريناه حديثاً وألحقنا به هذا السند .

وقد امكن القصاص والوعاظ في الكذب على الرسول فنسبوا اليه وعوداً وأقوالاً في الزهد في الدنيا وفضل البلاء والفقر والمرض والجوع والايام والساعات والاذكار والادعية ، واسرفوا في عرضهم للكفاة التي يلقيها الانسان اذا صلى ركعتين في بعض الليالي أو الايام، أو صام يوماً أو أكثر من بعض الشهور أو سعى لزيارة بعض الاولياء والاتقياء، فأعطوه على كل ركعة مئات القصور

(١) انظر الله والانسان لمبد الكرم الخطيب ص ٤٥١ و ٤٥٢ .

وآلاف الحور والولدان والآلات المصنوع من الزبرجد والياقوت والمرجان ، وعلى كل يوم صامه او خطوة مشاها الى زيارة ولي أو عيادة مريض آلاف الحسنات واسقطوا عنه آلاف السيئات ، وكان له اجر الف حاج والف معتمر وثواب من صبر واحسن عملا كأيوب وأمثاله من النبيين والصديقين كما جاء في بعض المرويات وفرشوا له طريق الجنة بالورود والرياحين حتى ولو لم يفعل بعد ذلك من الطاعات شيئا ، بل وحتى لو فعل المنكرات كما تصرح بذلك بعض مروياتهم .

وجاء في تفسير علي بن ابراهيم ان الامام جعفر بن محمد قال : من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه دمع مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، الى غير ذلك من المرويات التي سنعرض بعضها حسب المناسبات في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

وحتى لا يتسرب الشك الى هذه الموضوعات وتبقى عنصرا مؤثرا على العامة تشدهم الى تلك الحلقات التي كانت تملأ المساجد والنوادي وتوفر لهم الهبات والعطاء ، فقد وضع القصاصون احاديث لتدعيم مروياتهم واساطيرهم وزيفوا لها الأسانيد التي تربطها بالنبي والأئمة بأسلوب يوحي بصحتها ، ويؤلف لهم البشائر بالحصول على تلك الدرجات التي وعدهم القصاصون بها ، فرووا لهم ان ان الامام عليه السلام قال : من بلغه ثواب على عمل فعمله رجاء ذلك الثواب اعطيه وان لم يكن رسول الله قاله ، وان النبي صلى الله عليه وآله قال : من حدث عني حديثا هو لله رضا فأنا قلته وبه ارسلت الى غير ذلك من المرويات بهذا المعنى ، وقد أخذ بها الشيعة والسنة ، واستخرج الشيعة منها قاعدة اضافوها الى مدارك الاحكام واصولها اطلقوا عليها قاعدة التسامح في ادلة السنن ، مع العلم بأن أسانيدها لم تتوفر فيها شروط العمل بالرواية ، لأن بينهم من هو متهم في دينه وبينهم من هو مجهول الحال اذا استثنينا رواية واحدة عدها بعض المحدثين من قسم الصحيح لان الراوي لها من المدوحين في كتب

الرجال ، مع العلم بأن مجرد ذلك لا يمنع من رد الرواية اذا كانت مخالفة لكتاب الله أو للخبر المقطوع بصدوره ، على ان هذا النوع من الرويات على تقدير صدوره فلا بد وان يكون المراد من البلوغ الذي نصت عليه هو البلوغ بالطرق التي تطمئن اليه النفس لا غيره .

وقد نص كتاب الله على حرمة الكذب وتوعد الكاذبين بالعذاب والعقاب الشديد ولعنهم اكثر من مرة في مختلف المناسبات ، ولم يستثن من ذلك الكذب في الطاعات والخيرات ، كما وان الرسول حينما توعد الكاذبين عليه ولعنهم كما جاء في قوله : من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار ، لم يستثن هذا النوع من الكذب عليه ، ولا يستطيع احد ان يدعي بأن الكذب في الطاعات لا يعد كذبا ، وقد اعترف القصاص بأنهم يكذبون على الرسول ، وكان عذرهم في ذلك أنهم يكذبون له لا عليه .

ومن القريب ان الفقهاء قد عدوا الكذب من الكبائر ومع ذلك فقد تساهلوا في هذا النوع من الاحاديث المكذوبة ، وأمعنوا في البحث عن أدلة الأحكام متناً وسندا فضعفوا الحديث واسقطوه لأقل شبهة في سنده أو متنه ولما جاؤا الى احاديث الترغيب والتخويف والفضائل وقفوا الى جانبها متجاهلين كل ما قرروه في اصولهم وفقههم لا لشيء إلا لان القصاص والوعاظ قد رووا لهم عن الرسول والامام انها قالوا من بلغه ثواب على عمل فعله أوتي به وان لم يكن رسول الله قاله !

والاغرب من ذلك ان المتأخرين ممن الف في اصول الفقه من علماء الشيعة قد أخذوا بهذه الرويات بدون تحقيق في مضامينها ولا تمحيص لأسانيدها وعلى اساسها قالوا : بأن الرويات المتعلقة بالسنن كالتجري على السنة الوعاظ وغيرهم سواء كانت من نوع المسانيد أو المراسيل يمكن اعطاء مضامينها حقه من الرجحان أو الاستحباب حتى ولو لم تكن صادرة عن المعصوم ، لقاعدة

التسامح في أدلة السنن التي انتزعوها من احاديث من بلغه ، وكانت تلك الاحاديث من وحي السماء ، بدعوى ان احاديث من بلغه لا يخلو مؤداها عن احد الامور الثلاثة التالية :

الاول : أن تكون ناظرة الى حصول الثواب الذي وعد به المخبر مهما كان نوعه ومقداره عندما يأتي الانسان بذلك العمل رغبة في الثواب الموعود به .

الثاني : أن تكون ناظرة الى الأمر بالعمل الذي اخبر الواعظ أو الراوي بترتيب الثواب عليه ، وبذلك يصبح العمل مستحباً وراجحاً ، ويكون المعنى المتحصل من قول الراوي (فعمله ابتغاء ذلك الثواب أوتيه) هو الأمر بالعمل بصيغة الإخبار ، أي اعمل ما بلغك ثواب عليه .

الثالث : ان تكون واردة لبيان جواز الاخذ بالاخبار الضعيفة الواردة في مقام الترغيب في الطاعات ، بمعنى ان الشروط التي لا بد من توفرها في الاخبار كالوثاقة والعدالة والاتصال وموافقة الكتاب وغيرها ، هذه الشروط يمكن الاستغناء عنها في هذا النوع من الاخبار ، فتكون اخبار من بلغه حاکمة على الأدلة التي دلت على اعتبار تلك الشروط في أخبار الآحاد (١) .

الى غير ذلك من التصرفات والتأويلات البعيدة عن ظواهر تلك المرويات لان المعنى الظاهر منها لا يتعدى الاحتمال الاول ، ولكن الاخذ بها يتوقف على صدورها عن النبي أو الامام (ع) ، وقد ذكرنا أن اسانيدنا لم تتوفر فيها الشروط المطلوبة وانها من صنع القصاصين والوعاظ ليؤكدوا بها مروياتهم في الترغيب والترهيب التي يستدرون بها عطف الناس وهباتهم ، وعلى تقدير صحتها فالبلوغ الذي ارشد النبي أو الامام الى الاخذ به هو البلوغ الذي

(١) انظر التقارير في الاصول العملية للشيخ محمد علي الكاظمي ص ١٥٠ .

تطمئن إليه النفس كما ذكرنا، أقول ذلك في حين أني لا استبعد بعض مرويات القصاصين والوعاظ وغير الموثقين وان لم تكن مستوفية للشروط المطلوبة في الراوي والرواية ، إذ ليس كل ما يرويه غير الموثق في دينه مكذوباً لجواز ان يصدق الكاذب أحياناً ، ولكن الذي ادعيه ان الاخذ بجميع مروياتهم واعتبارها في مستوى الصحيح ولو من حيث ترتيب الآثار عليها كما هو المستفاد من اخبار من بلغه مع العلم بأن أكثرها مكذوبة عليه أو مبالغ فيها ينحو لا يستسيغه العقل ولا يقصره منطق الشرائع والاديان ، جعلها في هذا المستوى يشجع الكذبة والمرتقة من الوعاظ على المناجزة بالدين واستغلال المستضعفين ، وفي الوقت ذاته ربما يخلد السامع عن العمل ويبعث في نفسه روح الاتكال على الثواب الموعود به عندما يسمع ان الدمة التي لا تزيد عن جناح بعوضة اذا خرجت من عينه حزناً على ما أصاب أهل البيت (ع) يفقر الله له بسببها جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر كما جاء في رواية علي بن ابراهيم عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام .

وهل يرجو المستضعف من عوام الناس غير الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين العاملين بأوامره والمنتبهين عن نواهيه ، فاذا اهدى له القصاصون على صلاة ركعتين يصلحها في ليلة من ليالي رمضان الف الف حسنة وقصوراً في الجنة من الزبرجد والياقوت وعشرات الجوارى والخور ، كل جارية مقمدها ميل في ميل كما جاء في بعض المرويات التي تصف الحور العين ، وتمحو من سجله آلاف السيئات ، فلماذا يجهد نفسه بعد ذلك في الطاعات واجتناب السيئات .

وعلى كل حال فلقد مضى القصاص يتحرك بنحو آخر منذ القرون الاولى وبخاصة عند الشيعة بعد ان اجتاحتهم تلك الهزات العنيفة والنكبات القاسية من واقعة الطف الى غيرها من الجرائم التي صبغت الأرض بدماء الأولياء والصلحاء والابرياء في العصرين الاموي والعباسي فأضاف الوعاظ والقصاصون من خطباء المنابر الى تلك النكبات عشرات القصص من صنع الخيال تمثل

قلبك الروح الاجرامية التي كانت تسير اولئك الحاكين الذين قتلوا وشردوا الملايين من الابرياء والصلحاء باسم الاسلام الذي لم يعرف التاريخ ارحم منه للابرياء وأشد نقمة على الظلم والطغيان ، وما زال القصاص يتحرك ويتطور بأسلوب جديد حتى عصرنا الحالي ، فقد تطوع اليه فريق باسم الدين يستغلون المناسبات من بلد الى بلد ليتحدثوا فيها الى الناس عن الزهد وهم من اشد الناس انهاكاً في الدنيا وسعياً وراء فضولها ، وعن القناعة وقلوبهم تنفو حتى إلى اليسير مما يملكه غيرهم من وسائل العيش ، وعن المظلومين والمعتدين وما أعدده الله لهم من النعم الدائم في الآخرة ليصرفهم عن التفكير بما حل بهم من أعداء الله والانسانية من تعذيب وتشريد واستغلال ، وعن الخيرات والاعمال الصالحات وما لفعليها ولتركها من الثواب والعقاب الاليم ، وبعضهم من ابعد الناس عن الخيرات والاعمال الصالحات ، ولعل ذلك من ابرز الاسباب لعدم تأثير اولئك الناس بمواعظهم وخروجهم من تلك المجالس ذئاباً ولثاماً يحمل ما كانوا أو أشد ضراوة ولؤماً .

ومها كان الحال فلا اكون مغالياً اذا قلت ان الكثير من المتدينين من عوام الشيعة والسنة يفعلون الكثير من المنكرات والمعاصي ، ويعتقدون بأن زيارة الحسين عليه السلام والبكاء أو التباكي عليه كما جاء في بعض الروايات ، والاعمال المأثورة في رمضان وغيره توفر عليهم ممارسة الالتزام بالطاعات واجتناب الشهوات اعتياداً على مروييات الوعاظ والقصاصين واحاديث من بلغه ثواب على عمل .

ولا اريد من ذلك ان اضع حداً لمعطاء الله وعفوه وكرمه وحداً لمحتويات الجنة وخيراتها ونعيمها وملذاتها بما تحيط به عقولنا وتصل اليه أفعالنا ومداركنا ، ولا اريد ان استكثر ثواب الزيارات والاعمال الصالحات ، لا اريد ذلك لأن كرمه فوق حدود التصور ، وخزائنه لا ينقصها العطاء وعفوه يتسع لجميع الناس ، ولا يحيط بسخائه ومحتوياتها إلا من احاط بقدرته

وعلمه ، وهذا ما لم يتيسر لأحد من الناس كائناً من كان ، وإنما الذي أريده ان القرآن الكريم الذي وضع اصول الاسلام وفروعه وحث على الطاعات والاعمال الصالحات ووعد المطيعين والعاملين جنات فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ، ولم يحدد أنواع تلك الملهذات والخيرات ، قد توعدهم في الوقت ذاته بالعقوبة الصارمة والعذاب الالم ، وصور لهم جهنم واهوالها ومخاطرها كما صور لهم الجنة ونعيمها وخيراتها ، وترك الانسان بين اليأس والامل حتى لا يترك ما عليه اتكالا على عفوه ورحمته ، ولا يقف مكتوف اليدين بمجرد أنه عصاه في بعض الاعمال يائساً من قبوله اذا رجع لطاعته ، بل فتح له باب التوبة ومهد له طريق العودة ووعدته اجراً عظيماً وجزاء كريماً .

لقد ألمحت بعض الايات والنصوص عن الرسول والأئمة الى ان الله سبحانه قد يضاعف الجزاء على الاعمال الصالحات ، ولكن لم يرد في آية من آيات الكتاب ولا في حديث صحيح عن الرسول أو الأئمة (ع) أن عملاً واحداً من أعمال الخير مهما كان نوعه يغفر الذنوب جميعها ولو كانت كزبد البحر وعدد الرمل والحصى كما جاء في احاديث القصاصين والوعاظ التي نسبوها الى الرسول والأئمة الهداة الميامين ، وهل يجوز على الرسول العظيم ﷺ ان يقول لابنته فاطمة سيدة النساء : اعملي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً ، ويقول في الوقت ذاته : لمن حضر معي وقعة بدر من المسلمين ، اعملوا ما شئتم فإن الله قد غفر لكم ، وهل يجوز على من قال : ان الحديث اذا لم يوافق العقل والكتاب فليس من احاديثنا وهو مدسوس علينا ، هل يجوز عليه ان يقول ذلك ، ثم يخبر عن نساء الجنة بأن مقعد الواحدة منهن ميل في ميل ، واذا كان مقعدها يحتاج الى هذه المساحة العريضة الواسعة ، فيجب أن يبلغ طولها ضعف هذه المساحة على أقل التقادير ، ولا بد وان يخلق الله لمن رجا لا بهذا الطول والعرض ، أو يحشر الله المؤمنين بغير اجسامهم التي كانوا بها في الدنيا ليم التجانس بينهم .

ان الاسلام بعيد عن السخف والخرافات بعد الخير عن الشر والحق عن الباطل ، ولكن اعداء الاسلام الذين لم يحدوا في مبادئه واصوله وتشريعاته ما ينفذون منه الى اهدافهم واغراضهم الدنيئة ادخلوا بين مروياته هذه الاساطير وامثالها لإثارة الشبهة والتشكيك وإبرازه على غير واقعه .

وبجمل القول ان الكذب في الحديث قد انطلق مع خيال الانسان الى ابعاد الحدود فشمّل جميع النواحي والجهات ، فقد وضع القصاصون والوعاظ واعداء الاسلام والحكام وقادة الفرق والاحزاب في كل موضوع من المواضيع عشرات الاحاديث ومئات الفرائب والقصص ، وفي الحلال والحرام وضع زنديق واحد أربعة آلاف حديث ، وهو ابن ابي العوجا كما اعترف عن نفسه حينما عرضه جلاد المنصور على السيف ، وجاء عن عمر بن سعيد أنه قال : لقد وضعت في اخبار جعفر بن محمد اثني عشر الف حديث كما اعترف غيره بأقل من هذا المقدار واكثر حسبما يستفاد من احصاء اكاذيب الوضاعين ، ومع ان الباحث اينما اتجه في مجاميع الحديث السنية والشيعة يجد الموضوع الى جانب الصحيح في كل باب من الابواب ، إلا أن الموضوعات في الفضائل والمثالب والترغيب والترهيب قد بلغت الحد الاقصى في غرابتها وبعدها عن منطق الاسلام والاخلاق هذا النوع من الموضوعات قد استخدمه الحكام واعداء الاسلام لأغراضهم الهدامة ، واستخدمه المرتزقة والقصاص للاستجداء ولا يزال المسلمون يعانون من آثاره السيئة التي مكنت بينهم العداوة والبغضاء وفرقتهم شيعاً وأحزاباً .

الفصل الرابع

يشتمل هذا الفصل على أمثلة من المثالب في بعض الصحابة المنسوبة الى الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام وبعض الكرامات والفضائل بعضها لا يشك القارىء وهو يقرؤها في أنها من موضوعات اعداء الأئمة (ع) من حيث متنها وسندها ، والنوع الآخر من قسم الضعيف الذي لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة في الراوي والرواية .

وقبل الشروع في هذا الموضوع أعود فأكرر ما اشرت إليه في الفصول السابقة من ان الحكام الامويين والعباسيين قد استغلوا جماعة من الفقهاء والمحدثين فوضعوا على لسان الرسول في اخصامهم السياسيين عدداً كبيراً من الاحاديث التي تحقق لهم أغراضهم ومقاصدهم كما وضعوا لهم مجموعة من المرويات في الطعن على الخلفاء والصحابة والنفلو المفرط في علي وبنيه ~~عليه السلام~~ بقصد اظهارهم على غير واقعهم وايجاد فجسوة بينهم وبين جمهور المسلمين الذين يدينون بشرعية الخلافة الاسلامية وتقديس اكثر الصحابة ، ونجحوا في هذا المخطط الى حد ما حيث علقت تلك الاحاديث في اذهان الكثيرين ودونها المحدثون ، ولا يزال البعيدون عن واقع التشيع ينظرون إليها وكأنها من اصوله ، وساعدهم على ذلك أنهم وجدوها بين مروياتهم وبعضها في مجاميعهم التي ينظرون إليها

بعين الرضا والاكبار ، وقد تركها النقاد والباحثون في الحديث لأسباب لا استطيع تقديرها ، كما وأني لا استطيع ان أبرهم من مسؤولية هذا الامل لأن بقاء تلك المرويات في مجاميعنا وبين احاديثنا قد يسر لأعداء الشيعة ان يتعاملوا عليهم ويقفوا منهم تلك المواقف المسعورة والمشحونة بالكيد والبغي وهل يحسد العدو الذي يحاول التنكيل والتشهير سلاحاً امضى واشد فتكاً من هذه المرويات المنتشرة بين المرويات عن الأئمة (ع) والتي دونها الشيعة في مجاميعهم إلى جانب الصحيح فيها ، في حين ان الاسلام قد حارب كل ما من شأنه اثاره الاحقاد والبغضاء وأقام بنيانه على أساس التسامح والتساهل وتطهير النفوس من كل ما من شأنه أن يعكر الاجواء ويشعن بها بالفتن والخلافات الجانبية التي لا تخدم مصلحة الانسان في دنياه وآخرته ، ووضع الاسس الكفيلة ببناء المجتمع الصالح الذي لا يمكن بناؤه إلا بالعمل المتواصل والجهد المخلص .

ومن هنا يدرك الانسان المجرد عن الاهواء والنزعات سر خلوده وبقائه ، واحتياج الانسان مهما بلغ وتماثلت قدراته وممت مواهبه الى ان يستمد منه ويعمل بوحى من هديه وتعاليمه في مختلف الميادين ، كما وأن الأئمة من ولد الرسول ﷺ الذين كانوا يعكسون في سلوكهم وسيرتهم ومجالسهم وفي كل حركة من حركاتهم روح الاسلام ومبادئه وتعاليمه ويعبرون عنها اصدق تعبير ، كانوا أرفع من أن يستعملوا لغة السب والشتم للأشخاص والتشفي بلعنهم والتشهير بهم ، لا سيما وهم يعلمون بأن ذلك قد يجر عليهم وعلى شيعتهم المشاكل والمتاعب ولا ينفعهم بقدر ما يسيء إليهم .

ان عظمة الأئمة من اهل البيت مستمدة من سيرتهم وتفانيهم في سبيل الحق وخير الناس أجمعين لا من الخرافات والاساطير ولا من سيئات اخصامهم ، والتاريخ وحده هو الذي يكشف هذه الحقيقة ويضع الانسان اما في صفوف عباقرة المصور والمصلحين ، أو في صفوف الأبالسة والشياطين ، هذا بالإضافة

إلى أن الآثار الصحيحة تؤكد أنهم كانوا يحرسون أشد الحرس على أن يترفع أصحابهم عن لغة السب والشتم وكشف العيوب، لقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام جماعة من أصحابه يشتمون معاوية، فانكر عليهم ذلك وقال: إني أكره لكم أن تكونوا قوماً سبابين، فإذا ذكرتموه وأصحابه فقولوا عوضاً عن ذلك اللهم اجعلنا وإياهم على الحق والهدى واهدنا إلى صراطك المستقيم، في حين أن معاوية قد عمل بما تقتضيه طبيعته وطبيعته فأمر بلعن علي وشتمه على المنابر وفي النوادي والحلقات وأعد للقصاصين لهذه الغاية كما أشرنا إلى ذلك في الفصول السابقة، مع العلم بأن الذين حكموا قبل معاوية كانوا ازه منه واحرص منه على مصلحة الاسلام بعشرات المرات، ومن الثابت ان الرواية التي رواها بعض المؤرخين والمحدثين والتي تنص على ان علياً عليه السلام قد أمر أصحابه بلعن معاوية وقتلت بلعنه في صلاته. هذه الرواية من موضوعات معاوية وأتباعه وضموها ليبرروا بها شتم علي ولعنه على منابر المسلمين، بل وحق في الصلاة وجميع الطاعات.

وقد ذكرنا في الفصل السابق رواية ابراهيم بن أبي محمود عن الامام الرضا عليه السلام حول هذا الموضوع والتي يحدد فيها موقف الأئمة من تلك المرويات.

وذكر جماعة من المحدثين وكتاب الفرق ان جماعة ممن بايعوا زياداً في الكوفة قالوا له: في الوقت الذي استعد لمواجهة اتباع الامويين: ما تقول ربكم الله في أبي بكر وعمر، فقال: غفر الله لهما ما سمعت احداً من آبائي قبرا منها وأنا لا أقول فيها إلا خيراً، فقالوا له: فلم تطالب اذن بدم أهل البيت، فقال ان أشد ما أقول فيمن ذكرتم، إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً، فقد ولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم تقاتل اذن؟ قال: ان هؤلاء ليسوا كأولئك، ان هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، واني ادعو

الى كتاب الله وإحياء السنن وامانة البدع ، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بركيل، فرفضوه وانصرفوا ونقضوا بيعته فلهعهم اسم الرافضة كما يبدو ذلك في كتاب الفرق والمؤرخين ، ولو صح ما ينسب إلى الأئمة (ع) من أنهم كانوا يشتمون ، أو يرضون بالسب والشتم لا يمكن أن ينفي زيد هذا الامر نفيًا قاطعاً ويصر على موقفه ، وهو يعلم ان جماعة من بايعوه سينفضون من حوله وهو في أمس الحاجة الى الانصار والاتباع .

وجاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه أنكر على جماعة من الشيعة شتمهم للخلفاء وقال لهم : أيها الناس أحبونا حب الاسلام فبا برح حبكم لنا حق أصبح علينا عارا وحق بغضتمونا الى الناس .

وجاء عنه أن جماعة من الشيعة نالوا من أبي بكر وعمر في مجلسه فقال لهم : أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم من الذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتم على أنفسكم وشهدتم بأنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم : « والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غداً للذين آمنوا » قوموا عني لا بارك الله فيكم ولاقرب دوركم أنتم مستهزئون بالاسلام ولستم من أهله .

ورويت هذه الحادثة مع ولده الامام محمد الباقر عليه السلام ومن الجائز أن تكون قد تكررت معها وأجاب الثاني بعين جواب الاول ، لان منطقها واحد وهدفها واحد لا يدارون ولا يحابون ولا يهيمهم إلا رضا الله وخير الناس أجمعين .

وروى جابر الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال له وهو يودعه :

ابلق أهل الكوفة أني بريء من تبرأ من أبي بكر وعمر ، ومن لم يعرف فضلها فقد جهل السنة .

وروي عنه أنه قال له : بلغني أنت قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يزعمون أني أمرتهم بذلك فأبلغهم أني بريء منهم ، والذي نفسي بيده لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم ، لا تأتني شفاعة محمد ﷺ ان لم أكن استغفر لهما وأرحم عليهما .

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام أن عروة بن عبد الله سأل عن حلية السيوف ، فقال : لا بأس بها ، فقد حلى أبو بكر الصديق سيفه ، قال له : أتقول الصديق فوثب واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً . الى غير ذلك من الرويات المنتشرة هنا وهناك وهذه الرويات وان لم تكن مستوفية للشروط المطلوبة من حيث متنها وسندها كما يبدو ذلك من رواية جابر المتقدمة التي يقول الامام فيها : لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم ، فانهم لا يستوجبون هذه العقوبة لجرد أنهم يناولون من أبي بكر وعمر كما هو المعلوم حق ولو كان ابو بكر وعمر في منتهى القداسة ، إلا أن هذه الرويات على تقدير صدورهما ولو لأي جهة من الجهات تلمح إلى أن لفظة السباب والشتائم ليست مألوفة للأئمة (ع) ولا هي من منطقهم ، ولا تساعد الظروف على استعمالها ، وبالإمكان أن تكون تلك الرويات من صنع الدسائس وأعداء الأئمة كما ذكرنا سابقاً حسبما يتفق مع مصالحهم وأغراضهم الدينية ، وأنا لا أريد أن أبرئ بعض المتشيعين من الطعن على الخلفاء وإلصاق بعض الصفات المشينة بهم ، فقد وضع بعضهم عدداً من الرويات حول هذا الموضوع ونسبوا إلى الأئمة إلى جانب ما وضعه اعوان الحكم من المرتزقة وأعداء أهل البيت ، كما جاء في رواية ابراهيم بن أبي محمود عن الامام الرضا عليه السلام ، كما واني

لا اريد أن ابرىء أحداً من الظلم والاعتصاب وان أضع الظالمين في صفوف
الأتقياء والصلحاء، قاله في كتابه قد لعن الظالمين في أكثر السور والآيات ووعدهم
بالخزي والعذاب الأليم ، ولكن الذي أريده أن الأئمة الهداة (ع) مع
حرصهم الأكيد على التمسك بالحق الذي جعله الله لهم والذين هم أولى به من
أي انسان آخر مهما كانت منزلته وصفته، كانوا عندما يحاولون اظهار حقهم
وظلامتهم لا يتعدون اسلوب القرآن الكريم في التنديد بالظالمين والغاصبين
ذلك الاسلوب الذي يتناسب مع مقامهم الرفيع وحرصهم على تماسك الأمة في
مقابل أعداء الاسلام الذين يكيدون لله ورسوله وكتابه، كما نبهت على ذلك
اكثراً من مرة في الفصول السابقة والله من وراء القصد .

من الموضوعات في المثالب

جاء في الوافي من رواية سليم بن قيس عن سلمان الفارسي أنه جاء إلى علي عليه السلام وهو يفضل رسول الله ﷺ فاخبره بما صنع الناس، وأخبره أن أبا بكر على منبر رسول الله وأن الناس يبايعونه بكلتا يديه، فقال له علي عليه السلام هل تدري أول من بايعه على منبر رسول الله ، فقال له سلمان لا أدري : غير بشير بن سعد وأبي عبيدة وعمر بن الخطاب وسالم ، فقال له الامام : لا أسالك عن هذا ، ولكن هل تدري أول من بايعه حين صعد على منبر رسول الله ﷺ قال: رأيت شيخاً كبيراً متوكئاً على عصاه بين يديه سجادة شديدة التشمير ، صعد إليه أول من صعد وهو يبكي ويقول : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك فبسط يده فبايعه ثم نزل وخرج من المسجد ، فقال علي عليه السلام أتدري من هو قلت لا : ولقد ساءتني مقالته وكأنه شامت بموت النبي، فقال له علي عليه السلام ذاك ابليس لعنه الله ، أخبرني رسول الله أن ابليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله إياي في غدير خم بأمر من الله ، وأمر الأبالسة الذين حضروا معه يوم ذاك ان يبلغ الشاهد منهم الغائب ، فاقبل ابليس الأبالسة ومردة أصحابه ، فقالوا : ان هذه امة مرحومة معصومة وما لنا عليهم من سبيل ، فانطلق ابليس حزينا كثيبا

وأضاف الى ذلك علي عليه السلام كما جاء في الرواية : ان رسول الله اخبرني ان الناس يبايعون ابا بكر وان اول من يبايعه علي منبري ابليس في صورة رجل شيخ مشمر ويجمع شياطينه وابالسته فيسخر ويقول : زعمت ان ليس لي عليهم سبيل فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا امر الله وطاعته وما امرهم به رسول الله ^(١) .

وجاء فيه عن صباح المروزي عن جابر الجعفي عن الامام محمد الباقر عليه السلام رواية بهذا المضمون جاء فيها : ان الناس لما بايعوا ابا بكر لبس ابليس تاج الملك ونصب منبرا وقعد في خيله والويته وامرهم ان يطربوا ، واضاف الى ذلك الراوي ان الامام الباقر فسر الآية « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه » ببينة ابي بكر ^(٢) .

وجاء في الوافي باب ما نزل فيهم وفي اعدائهم عن محمد بن اورمة وعلي ابن حسان بسند متصل بالامام الصادق عليه السلام انه قال : ان الآية « الذين آمنوا ثم كفروا ، ثم آمنوا ، ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم » نزلت في فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال للنبي : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، ثم آمنوا في البيعة لأمر المؤمنين ، ثم كفروا حيث مضى رسول الله فلم يقروا

(١) وبكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات سليم بن قيس وهو من المشبهين والمتهمين بالكذب ، وقد ورد في الكتاب المنسوب إليه ان محمد بن ابي بكر وعظ أباه عند الموت مع انه كان في حدود السنتين من العمر ، كما ورد فيه ان الأئمة ثلاثة عشر اماماً .

(٢) لقد ورد في سند هذه الرواية صباح المروزي وجابر الجعفي وهما ضعيفان وقد ورد في جابر قدح ومدح ، والاكثر على انه كان مغلطاً ، وتشير بعض المرويات عن الامام الصادق أنه كان لا يرتضيه ، وعلى اي الاحوال فلا يستطيع الباحث في تاريخه ان يخرج وبين يديه حكم براءته ولو من بعض ما نسب إليه .

له بالبيعة وازدادوا كفرا بأخذه من بايعه بالبيعة لهم فلم يبق فيهم من
الايان شيء .

وروي ابن أورمة بنفس السند عن الامام الصادق عليه السلام كما جاء في الروايات
أنه قال في تفسير الآية : « إن الذين ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم
الهدى » هم فلان وفلان وفلان ، فقد ارتدوا عن الايمان في ترك ولاية علي
وان الآية : « ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض
الامر » نزلت والله فيهم وفي اتباعهم .

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أن الآية : « ومن يرد فيه بالحاد بظلم »
نزلت فيه حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاهدوا على كفرهم وجحودهم بما
أنزل في علي عليه السلام فالحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليه فبعداً
للقوم الظالمين^(١) .

وجاء في معالم الزلفى عن العياش عن خيشمة الجمعي والمفضل بن عمر في
الباب الثاني والعشرين في صفة المحشر أنها قالوا: كنا عند أبي جعفر الباقر ليلاً
ليس عنده أحد ، فقال له المفضل : حدثنا بحديث نسربه ، قال نعم ، ثم
استرسل الامام في حديث طويل يصف فيه حالة الناس في المحشر وحالة
الانبياء والاولياء وما يلقونه من الترحيب والاكرام والتعظيم ، وكيف يلتفون
بمحمد ويلوذون به بوصف رائع وخيال خلاق مبدع شأن المفضل في أكثر
مروياته عن الأئمة ، وبخاصة عندما يحاول الدس والتشويش على الأئمة الهداة ،

(١) هذه الرويات وامثالها من تفسير الباطن المنسوب الى محمد بن أورمة وعلي بن حسان
ويونس بن ظبيان وامثالهم من المتهمين بالغلو والانحراف ، وقد ضعفهم المؤلفون في الرجال
ووقفوا في مروياتهم ، ويكفي هذه الرويات عيباً ورودها عن طريق هؤلاء بالإضافة الى
عيوبها الاخرى .

ويضي قائلًا : فيقوم شيطان كل فرقة فيتبعونه ، حتى تبقى هذه الامة ، ثم يخرج مناد من عند الله سبحانه ، فيقول : يا معشر الخلائق أليس العدل من ربكم أن يأتي كل فريق مع من كانوا يتولونه في دار الدنيا ، فيقولون : بلى فيقوم شيطان فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم الثاني فيتبعه من كان يتولاه ثم يقوم شيطان ثالث فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم معاوية بن ابي سفيان فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم يزيد بن معاوية واتباعه ، ويقوم الحسين عليه السلام واتباعه ، ومروان وعبد الملك وعلي بن الحسين واتباعهما الى ان يصل الى الامام الصادق .

ثم قال الامام علي حد زعم المفضل ، ثم اقوم انا فيتبعني من يتولاني ، وكأنني بكما معي مجلس مما على عرش ربنا ويؤتى بالكتب فتشهد على عدونا ونشفح لمن كان من شيعتنا مرهقاً بالذنوب ، ويقف الراويان عند هذا الحد بعد ان جاءت جارية الامام ، وأخبرته ان بعض القرشين بالباب فاقطع عن الحديث عند ذلك .

لقد اشتملت هذه الرواية على بعض الامور البعيدة عن منطق الاسلام واسلوب الأئمة ، وبخاصة التعبير عن الخلفاء الثلاثة بالشياطين ، هذا التعبير الذي لم يقصد منه إلا الاساءة الى الامام الصادق وايحاد فجوة بينه وبين من لا يؤمن بمثل هذه الاساطير ولا يرضى بالاساءة الى الخلفاء الثلاثة ، ولم يكتف بكل ذلك حتى نسب الى الامام عليه السلام انه يحتل عرش الرب ومعه المفضل وخيشمة ، في حين ان الامام قد لعن المفضل وحذر أصحابه من مكروه ودسائسه في اكثر من مناسبة ووصفه بالشرك والكفر ، وقلما تخلو رواية من مروياته من الغلو في الامام أو المبالغة فيما يحدث به ، لذلك فقد عدّه المؤلفون في الرجال من الضعفاء المتروكين ، مع وجود بعض المرويات عن الامام الصادق عليه السلام في الثناء عليه ، واقل ما يوجب ذلك التوقف في أمره والحذر من مروياته .

وأما خيشمة الجعفي فلقد ورد اسمه في كتب الرجال مع الحسان ولم يرد في حديثهم عنه ما يشعر بوثاقته وصحة الاعتماد على مروياته ما لم تتأيد ببعض القرائن والشواهد ، ومن غير المنسور ان تجد لهذا النوع من المرويات شاهداً يرجح صدورها عن الامام عليه السلام .

وروي في معالم الزلفى في رواية اسندها ابو الخطاب الى حريز عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى : « يوم يعصى الظالم على يديه يقول يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً » ان ابا بكر يقول يا ليتني لم اتخذ الثاني خليلاً ، وقد أكد هذا المعنى جابر الجعفي في روايته عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وجاء فيها ان امير المؤمنين خطب للناس ، وقال في خطبته : ولئن تقمصها دوني الاشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحق وركبها خلافة ، واعتقداها جهالة ، فلبس ما عليه وردا ، ولبس ما لأنفسها مهذا . يتلاعبان في دوارها فيتبرأ كل منها من صاحبه ، ويقول لقرينه إذا التقيا : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ، لبس القرين ، فيجيبه الاشقى : يا ليتني لم اتخذك خليلاً ، لقد أضللتني عن الذكر بعد ان جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً ، ويضيف الراوي الى ذلك بعض الفقرات التي تنذر بسوء مصيرها وشدة عذابها ، وروي بضمونها عن الامامين الباقر والصادق باسانيد غير مستوفية للشروط كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال .

واما ابو الخطاب محمد بن ابي زينب احد الرواة لهذا اللون من الاحاديث فلقد قال فيه الشيخ محمد طه في رجاله بانه ملعون باتفاق الاصحاب ، وقد لعنه الامام الصادق وحذر اصحابه من دسائسه ومروياته كما نص على ذلك المرزا محمد والنجاشي والكشي وغيرهم .

وجاء في معالم الزلفى عن الشيخ علي بن مظاهر تلميذ فخر الدين ابن العلامة الحلي عن ابي الحسن علي الهادي عليه السلام ان حذيفة اليماني دخل في اليوم

التاسع من ربيع الأول على النبي ﷺ وعنده علي والحسن (ع) يأكلون معه وهو يبتسم في وجوههم ، ويقول لولديه الحسن والحسين كلا هنيئاً لكما في هذا اليوم فإنه اليوم الذي يقبض فيه عدو الله عمر بن الخطاب عدو الله وعدوكا ويستجيب فيه دعاءك ، كلا فإنه اليوم الذي يقبل فيه الله أعمال شيعتكما ومحبيكما ، كلا فإنه اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيته وظالمهم وغاصب حقهم كلا فإنه اليوم الذي يعمد الله إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباء منثوراً ، ويعضي النبي كما يزعم الراوي يصف عمر بن الخطاب ويلصق به العيوب والبدع فلا يترك شيئاً إلا ويلصقه فيه ولا لعنة إلا ويتوجه بها ، ويعود إلى فضل اليوم التاسع من ربيع الأول وما أعد الله فيه لشيعته علي فيقول : إن الله أمر السموات السبع وما فيها أن يتعبدوا في هذا اليوم ويستغفروا لشيعتكم ، ورفع القلم عن الخلق ثلاثة أيام لا يكتب فيها على أحد سيئة مهما كان نوعها وخطرها كرامة لمحمد وعلي وتعظيماً لهذا اليوم الذي تهدم فيه أعظم ركن من أركان الجور والظلم والفساد ، في حديث طويل يبلغ أكثر من خمس صفحات إذا أردنا تدوينه بكامله ، في حين أن جميع فقراته تشهد بأنه من صنع الدسائس الحاقدين على أهل البيت وشيعتهم (١) .

ولو لم يكن في معالم الزلفى من المكذوبات غير هذا الحديث لكفاهها وصحة وعاراً ، على أن الأحاديث المكذوبة فيها لا تقل عن الأحاديث التي يمكن التفاوض عن عبوبها ، وعلى أي الأحوال فالعارفون من الشيعة وعلمائهم

(١) هذا الحديث هو المعروف عند البعض من عوام الشيعة بحديث كلا كلا كناية عن أن النبي ﷺ يزعم الراوي كان يكرر هذه الكلمة على الإمامين الحسن والحسين استبشاراً بهذا اليوم الذي يقتل فيه الخليفة ويلاقي مصيره المحتوم ، ومن الثابت أن الخليفة الثاني كانت وفاته في أواخر ذي الحجة من سنة ٢٣ هجرية .

لا يعترفون بهذا الحديث وأمثاله من المنكرات ، ولا يتنافى ذلك مع وجود هذا النوع من الاحاديث بين المرويات المنسوبة إليهم وفي بعض مجاميعهم ، لأن أكثر المؤلفين في الحديث قد حشدوا في مجاميعهم كل ما وقفوا عليه من المرويات وتركوا للباحث حرية النقد والاختيار ، ويحد المتبع في مجاميع السنة بل وفي صحاحهم أغرب من هذا الحديث وابشع .

وروي في الكتاب المذكور عن سليم بن قيس أن علياً قال لسلمان وأبي ذر وعمار والمقداد : اذكركم الله اسمعتم رسول الله يقول : ان تابونا من نار فيه اثنا عشر رجلاً، ستة من الأولين وستة من الآخرين في قعر جهنم في تابوت مقفل على ذلك الجب صغيرة اذا اراد الله ان يسعر جهنم كشف تلك الصغيرة عن ذلك الجب فاسمر جهنم من وهج ذلك الجب ومن حره ، وجاء في الحديث ان علياً قال لهم : فسألت رسول الله وانتم حضور ، فقال : اما الأولون فابن آدم الذي قتل اخاه ، وفرعون الذي حاج ابراهيم في ربه ورجلان من بني اسرائيل بدلا كتابهما وغيرا سنتهما ، احدهما هود اليهود والآخر نصر النصارى وعافر ناقة صالح وقاتل يحيى بن زكريا والدجال والاربعة من أصحاب الكتاب ، وجبتهم وطاغوتهم الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا ابا الحسن .

وروي في الكتاب المذكور عن يزيد بن هرون وعن كتاب تحف الاخوان وعن اسحاق بن عمار الصيرفي وجماعة آخرين احاديث حول الشيخين الجليلين ومصيرهما في الآخرة باسانيد ضعيفة واهية لا يجوز الاعتماد عليها في شيء من امور الدين بمقتضى الاصول التي وضعها علماءنا الاعلام للاخذ بالرواية ، هذا بالاضافة الى متون تلك الروايات وصياغتها التي لا تنسجم مع اسلوب الأئمة (ع) في التعبير عن مقاصدهم واهدافهم النبيلة الفاضلة ، هذا الاسلوب الذي

يتميز بالتسامح والدعوة الى كل ما من شأنه ان يؤلف ولا يفرق ويجمع ولا يشتت ويأخذ بيد الناس الى ما فيه خيرهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة .

أقول ذلك وأنا على يقين من ان القوم قد انتزعوا الحق من أصحابه الشرعيين بعد ان تمت عليهم الحجة ولم تترك لهم مخرجاً كما تؤكد ذلك المرويات عن النبي ﷺ ، ولكن اصحاب الحق كانوا فوق مستوى الانسان الذي يريد ان ينفس عن غمه بمثل هذه الأساليب التي لا تجدي نفعاً ، وقد تجر عليهم وعلى من يتحدث بها اسوأ انواع البلاء والتعذيب والله سبحانه لكل ظالم بالمرصاد.

وروى عن ابن عباس وكعب الاحبار حديثاً طويلاً جاء فيه ان عبد الله ابن عمر قال : لما دنت وفاة ابي كان يغص عليه تارة ويفيق أخرى ، فلما أفاق قال : يا بني ادر كني بعلي بن ابي طالب قبل الموت ، فقلت له : وما تصنع معه وقد جعلتها شورى واشركت معه غيره ، قال : يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان في النار قابوساً يحشر فيه اثنا عشر رجلاً من اصحابي ، ثم التفت الى ابي بكر وقال : احذر ان تكون أولهم ، ثم التفت الى معاذ بن جبل وقال : اياك ان تكون الثاني ، ثم التفت الي وقال اياك يا عمر ان تكون الثالث ، وحينما اغمي علي يا بني رأيت التابوت وليس فيه إلا ابو بكر ومعاذ ابن جبل وانا الثالث لا اشك فيه ، قال عبد الله : فمضيت الى علي بن ابي طالب وقلت : يا ابن عم رسول الله ان ابي يدعوك لامر قد احزنه فقام علي عليه السلام فلما دخل عليه ، قال يا ابن عم رسول الله ألا تعفو عني وتحللي منك ومن زوجتك فاطمة الزهراء واسلم لك الخلافة ، فقال له علي عليه السلام : على شرط ان تجمع المهاجرين والانصار وتعطي الحق الذي حرصت عليه من ملكه وما كان بينك وبين صاحبك من معاهدتنا ، وتقر لنا بحقنا ، وأعفو عنك واحللك ، واضمن لك عن ابنة عمي فاطمة ، قال عبد الله : فلما سمع أبي

ذلك حول وجهه الى الحائط وقال : النار يا أمير المؤمنين ولا العار.

هذا الحديث لو تفاضينا عن سنده المتصل بكعب الاحبار المعروف بين المحدثين والمؤرخين بالكذب على الرسول والصحابة الكرام وادخال البدع والفرائب والمنكرات بين احاديث المسلمين وتفسيرهم للقرآن الكريم ، لو تفاضينا عن ذلك فلا يسع أي باحث ان يتفاضى عن الخلل الموجود في متنه ، لقد اضطرب عمر بن الخطاب حينما اطلع على زميله في ثابوت من نار على حد زعم الراوي ، وكان قد حذره الرسول ان يكون احد المذبذبين فيه ، ولما نظر اليه هاله هذا المنظر واستغاث بعلي ليخلصه من هذا المصير ، ويدعي الراوي ان علياً لم يتصلب معه ووافق على ذلك. ولماذا تراجع عمر ووطن نفسه على النار وهو في اللحظات الاخيرة وعلى فراش الموت لا أمل له بالنجاح ولا طمع له بالسلامة من تلك الطمعة التي لم يكن بريئاً منها كعب الاحبار ؟ ان هذا الحديث اذا لم يكن من صنع كعب الاحبار ، فما لا شك فيه بأنه من صنع اعداء الشيعة الذين كانوا يحاولون ان يشعنوا القلوب بالحقد على الشيعة وأئمة الشيعة بواسطة هذه الرويات واشباهها .

وجاء في مختصر بصائر الدرجات للشيخ حسن بن سليمان الحلبي من حديث طويل يبلغ نحواً من تسع صفحات رواه المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام تناول فيه المفضل وصفاً شيقاً لبعض المراحل التي تسبق ظهور المهدي محمد بن الحسن والتي تقترب بظهوره والانتصارات الباهرة التي يحققها بأسلوب يبدو عليه الافتراء والتشويش على الأئمة الكرام ، ويمضي المفضل في حديثه ليصف موقف الامام المنتظر من الشيخين الجليلين ابي بكر وعمر واخراجهما من المكان الذي دفنا فيه بحوار الرسول ﷺ ، وانه يخرجهما من قبرهما غضين طريين كصورتها يوم كانا حيين ، ويأمر برفعها على شجرة يابسة نخرة

فيصلبهما عليها فتخضر وتورق ، فيقول المرتابون من أهل ولايتها : هذا والله الشرف حقاً ، لقد فزنا بحبيبتها وولايتها ، ثم ينادي «نادي المهدي كل من أحب صاحبي رسول الله فلينفرد جانباً فيتجزأ الخلق جزأين ، أحدهما موال والآخر متبرئ» ، منها ، فيعرض عليهم المهدي البراءة ، فيقولون إنا نتبرأ منك ومن آبائك وبخاصة بعد أن رأينا في هذا الوقت من نضارتها وغضاضتها وحياة الشجرة بها ، فيأمر المهدي رجلاً سوداء فثيب عليها فيجعلها كأعجاز نخل خاوية ، ثم يأمر بانزالتها من الشجرة فيثزلان اليه فيحييها باذن الله ويأمر الخلق بان تجتمع اجتماعاً عاماً ، ثم يقص على الناس فعالها وما وقع من المفاصد ابتداء من قتل هابيل الى اشمال النار على باب أمير المؤمنين وضرب فاطمة ورفق بطنها وسم الحسن وقتل الحسين ، ويضيف الراوي الى ذلك : ان الامام قال : ان كل دم سفك وقرج نكح حراماً ، وكل فاحشة واثم وظلم وجور منذ عهد آدم الى قيام القائم هو منها فيقتص منها في ذلك الوقت ، ثم يصلبهما على شجرة ويأمر نارا تخرج من الارض فتحرقهما والشجرة ، ثم يأمر الريح فتتسفعهما في الم نفا .

ويدعي المفضل انه سأل الامام عما يجري عليهما بعد ذلك ، فقال : انهما يقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان الى ما كانا عليه ، ثم يأخذ المفضل في وصف مواقف الحجة وعدد جنوده من الملائكة والجن والانس ولقائه مع الحسين عليه السلام ومعه جند عظيم من الجن والانس والملائكة ثم بعلي صاحب القبة البيضاء على النجف القائمة على أربعة أركان احدهما بالنجف ، والثاني بهجر ، والثالث بصنعاء ، والرابع بارض طيبة ، ولم يقف المفضل عند هذا الحد ، بل يمضي ليخبر عن رجوع رسول الله ولقائه بالمهدي ، فيقول : قلت له : يا سيدي رسول الله وأمير المؤمنين يكونان معه ، فقال : لا بد وان يطأ الارض حق ما وراء القاف اي والله وما في الظلمات وقعر البحار الى غير ذلك من الكذب والافتراء على الامام الصادق عليه السلام

وجاء في الحديث ان الحجة يخرج امره الى ثقافته ووكلائه ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري في غيبته بصابر ثم يظهر بمكة .

ومن المتفق عليه ان محمد بن نصير النميري من الغلاة الكذابين .

وجاء في اتقان المقال وغيره ان محمد بن نصير ادعى النبوة وان الامام العسكري ارسله الى الناس ، وكان يقول بالتناسخ واباحة المحرمات ونكاح الرجال بعضهم بعضاً ، وان اللواط هو احد الطيبات التي أحلها الله ، الى غير ذلك من المقالات المناقبة لاصول الاسلام وفروعه .

وقد اشتمل سند الرواية بالاضافة الى المفضل على عمر بن الفرات والحسين ابن حمدان وهما من الغلاة الكذابين الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد على مروياتهم .

واتفق المؤلفون في الرجال على ان الحسين بن حمدان كذاب صاحب مقالة فاسدة ملمون لا يلتفت اليه على حد تعبيرهم ^(١) .

ولو تفاضنا عن سنده ففي متنه أكثر من شاهد على انه من موضوعات الغلاة ، أو الزنادقة الذين دسوا آلاف الاحاديث في أخبار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لتشويه وجه التشيع الناصع بمثل هذه الخرافات التي لا تقبلها العقول ولا تنسجم مع مبادئ الاسلام واهدافه الرفيعة السامية .

وجاء في الوافي عن محمد بن اورمة وعلي بن حسان عن ابي عبد الله الصادق في تفسير الآية [وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد] ان الذين هدوا الى الطيب والى صراط الحميد هم حمزة وجعفر وعبيدة بن عبد المطلب وسلمان والمقداد وعمار وابو ذر ، هؤلاء هدام الله الى الطيب من القول ، وهو ولاية علي بن ابي طالب .

(١) انظر ص ٢٧٧ من الاتقان .

وان الآية : « وكره إليكم الفسوق والكفر والعصيان » ، ابو بكر وعمر وعثمان وهذا التفسير من تفسير الباطن المنسوب لمحمد بن اورمة وعلى بن حسان وهما من المتهمين بالغلو ، ولهما كتاب في تفسير الباطن ، كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرجال .

وجاء في كتب الرجال ان علي بن حسان كان فاسد الاعتقاد، وهو يروي في الغالب عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ، وهو من المتهمين بالكذب وتأويل القرآن بمثل هذه التأويلات البعيدة عن ظاهره واسلوبه (١) .

وروى بسطام بن مرة عن اسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي ابن الحسين العبدي وسعد الاسكاف عن الاصبغ ان امير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى : « ان اشكر لي ولوالديك والي المصير » ، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها وصاحبها في الدنيا معروفا ، فقال : الوالدان هما النبي وعلي (ع) وإن جاهداك : الشيخان ، علي ان تعدل عما امرت به من وصاية علي فلا تطعمها وصاحب النبي والوصي في الدنيا معروفا ، أي عرف الناس فضلها وادع الى سبيلها .

ولعل هذا التأويل من اسوأ أنواع التصرف بالكلام والتلاعب بالالفاظ ، والراوي له عن الاصبغ هو سعد الاسكاف وبينه وبين الاصبغ اكثر من تسعين عاماً ، هذا بالإضافة الى أنه من المتهمين بالكذب والانحراف ، وبقيّة الرواة لهذا الحديث كلهم من المجهولين ولم اعثر على احد منهم في كتب الرجال .

وروي عن محمد بن اورمة وعلي بن عبد الله عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير ان ابا عبد الله الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى : « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم » نزلت في

(١) انظر ص ٣٢٦ و ٣٣٩ من اتقان المقال ، وانظر رجال المرزا محمد ، حرف الميم .

فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبي في أول الأمر ، ثم كفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لعلي عليه السلام ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ .

وروى أيضاً بهذا السند عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : في تفسير الآية : « إن الذين ارتدوا على ادبارهم بعد ما تبين لهم الهدى » قال : انها تعنى فلانا وفلانا وفلانا حيث انهم ارتدوا عن الايمان بولاية علي ، وان الآية : « ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله سنطيعكم في بعض الأمر » نزلت فيهم وفي اتباعهم حيث تعاقبوا مع بني امية على ان لا يصيروا هذا الامر فينا بعد النبي ولا يعطونا من الخس شيئاً ، فقالوا سنطيعكم في بعض الأمر ، فانزل الله فيهم : « أم ابرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم » .

لقد ورد هذا السند في بعض الرويات السابقة وجميع رجاله من المتهمين بالكذب والغلو في الأئمة كما ذكرنا .

واني اذ اكتفي بهذه الامثلة وأقف عند هذا الحد من الرويات في المطاعن لا ادعي بأنني قد استقصيت جميع الرويات في هذا الموضوع ، فالمتتبع لكتب الحديث والادعية يجد هنا وهناك امثلة اخرى ربما تكون كهذه الامثلة أو اصرح منها ، إلا ان الباحث عندما يعرض متونها واسانيدها على علمي الرجال والدراية لا يكاد يجد رواية من تلك الرويات ولادعاء على تلك الادعية التي تتعرض لهذا الموضوع سالمة من العيوب التي يجب الوقوف عندها .

وأعود لاكرر ، بأنني لا اريد من ذلك ان اقدس الحكام والصحابة ولا أن ابريء أحداً من تلك الاحداث القاسية التي لطخهم بها التاريخ ولم يترك منفذاً لبراءتهم منها ، ولا اريد ان اقول ان الأئمة (ع) قد هادنوا الظلم والظالمين والمتمردين على أوامر الله ونواهيهم وكانوا يترحمون على الماضين ويباركون

تصرفاتهم وأعمالهم ، لا اريد شيئاً من ذلك ، ولكن الذي اريده انهم قد حاربوا الظالمين والطفساء المتجبرين والمنحرفين عن الخط الاسلامي بسلوهم وسيرتهم وتعاليمهم التي كانت تعكس وجه الاسلام الصحيح ، وفي الوقت ذاته تفضح مخططات الطغاة من حكام تلك المصور الذين تستروا بالاسلام والدين وحلوا قلوب الأبالسة والشياطين ، اما التشفي بالسب والشتم الذي يلجأ اليه الحقى من الناس احياناً فليس من شأنهم ولا من اخلاقهم ، ولم يرض علي بن أبي طالب لشيعته ومحبيه ان يستملوه مع معاوية الذي أمر الشرك واظهر الاسلام ، فكيف يرضاه الامام الصادق لمن هم اطهر من معاوية وامثاله بعشرات المرات .

وبعد التتبع في المرويات السنية استطيع ان اقول بأن المرويات التي وضعها اتباع الحاكمين والحاقدين ممن ينتسبون الى السنة ليست بأقل من المرويات الشيعية ، ولا المرويات الشيعية التي تسمى الخلفاء بأقوى منها .

والى القراء امثلة منها لاثبات هذه الحقيقة ، فمن ذلك ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة انها قالت : كنت عند رسول الله اذ أقبل علي والعباس ، فقال النبي : يا عائشة ان هذين يموتان على غير ملقي .

وروى عنها أنها قالت : ان سرك ان تنظري الى رجلين من أهل النار فانظري الى هذين ، قالت عائشة : فنظرت واذا بعلي والعباس قد أقبلا .

وروى عمرو بن العاص كما جاء في صحيح مسلم والبخاري انه سمع النبي يقول : ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، انما ولي الله وصالح المؤمنين .

وروى الاعمش ان ابا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية عام الجماعة دخل مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مرارا وقال: يا أهل الكوفة أتزعمون أني أكذب على رسول الله وأحرق

نفسه بالنار ، والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكل نبي حرماً وان حرمي بالمدينة ما بين غير الى ثور فمن احدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، واشهد بالله ان علياً احدث فيها ، فلما سمع معاوية اكرمه واجازه وولاه امانة المدينة .

وجاء في شرح النهج عن ابي جعفر الاسكافي ان المغيرة بن شعبه كان يكره علياً ويلعنه ويضع الاحاديث فيه وينسبها الى رسول الله ، كما كان يفعل مثله سمرة بن جندب ، وقد بذل له معاوية خمسمائة الف درهم ليروي للناس عن رسول الله ان الآية : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت في ابن ملجم لانه قتل علياً ، والآية : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » نزلت في علي بن ابي طالب .

وجاء في المجلد الاول من شرح النهج ص ٣٦٠ ان الروايات تظاهرت عن عروة بن الزبير انه كان يسبه ويضرب باحدى يديه على الاخرى ويقول : وما يغني أنه لم يخالف الى ما نهى الله وقد اراق دماء المسلمين ، واضاف الى ذلك ان حريز بن عثمان كان يبغضه ويروي الاحاديث المكذوبة فيه ، فقد روى حمزة بن حسان عنه انه كان يقول اذا ذكر علي بن ابي طالب : ذاك الذي أحل حرم رسول الله .

وقال يحيى بن صالح الوضاحي : لقد أتيت حريز بن عثمان فناولني كتاباً فاذا فيه : حدثني فلان عن فلان ان النبي أوصى عندما حضرته الوفاة ان تقطع يد علي بن أبي طالب .

وقال ابو جعفر الاسكافي : كان المغيرة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل الزر يرضي معاوية بما يسوء الى علي بن ابي طالب ، وقد قال يوماً في مجلس معاوية : ان علياً لم ينكحه رسول الله ابنته حباً به ، ولكنه اراد ان يكافئ احسان

ابي طالب ، واطاف الى ذلك ابو جعفر ، وقد صح عندنا ان المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى (١) .

وقد وضع اعداء علي كالمغيرة وأشباهه عن لسان العباس انه سب عليا ووصفه بالكذب والخيانة .

وجاء في صحيح مسلم ان العباس تنازع هو وعلي في ميراث رسول الله فجاء الى عمر بن الخطاب وقال له : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر (٢) .

وروى المبرد في الكامل ان خالد بن عبد الله القسري لما كان أميراً على العراق في خلافة هشام كان يلعن علياً على المنبر ويقول : اللهم العن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر الرسول على ابنته وابا الحسن والحسين ، ثم يلتفت الى الناس ويقول : هل كنيت ؟ .

وكان الوليد بن عبد الملك اذا ذكره يقول : كان لصاً وابن لص ، وهذه اللفة هي التي اعتادها الحكام وولاتهم واذنابهم والمرزقة طيلة عهدهم واصبح شتمه من أفضل الوسائل التي يتقرب بها إليهم الناس .

وجاء في شرح النهج ان رجلاً اعترض الحجاج وهو في طريقه فقال له : ايها الامير ان اهلي عقوني فسموني علياً فقير اسمي وصلني بما اتبلغ به فاني فقير لا املك شيئاً ، فقال الحجاج : ما ألطف ما توسلت به قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاذهب اليه .

(١) انظر ج ١ من شرح النهج ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢) انظر الفدير ج ٧ ص ١٤٩ .

وقد ذكرنا فيما مضى ان هشام بن عبد الملك فرض على اتباعه من علماء ذلك العصر ان يرووا ان الآية : « فمن تولى كبره منهم فله عذاب عظيم » نزلت في علي بن أبي طالب فأقروه على ذلك. الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان الموضوعات في علي وبنيه ان لم تكن أكثر من الموضوعات المنسوبة الى الشيعة في الخلفاء واشد فحشا فلا تقل عنها كما وكيفاً ، فكما ان هذه المرويات لا تعكس رأي السنة في علي عليه افضل الصلاة والسلام ، فكذلك المرويات المنسوبة الى الشيعة ، فإنهم عندما يحاكمون اسانيدها يحكمون عليها بالضعف ولا يتعاشى اكثرهم من تكذيبها وعدّها مع الموضوعات .

أمثلة من المرويات في الفضائل

لقد ذكرنا في الفصول السابقة اسباب الكذب في الحديث والمراحل التي مر بها ، وذكرنا في أوائل هذا الفصل أمثلة من الموضوعات في المثالب واني اذ اقدم هذه الامثلة من المرويات في الفضائل والكرامات اقدمها وانا واثق بأن اكثرها مكذوب على الأئمة الكرام (ع) .

فمن ذلك ما جاء في اكمال الدين واقام النعمة للصدوق عن جماعة من المحدثين عن عبد الله بن العباس عن ابيه عن ابي طالب (ع) انه قال : خرجت الى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي ﷺ في وقت أشد ما يكون من الحر ، فلما اجعت على المسير قال لي رجال من قومي : ما تصنع بمحمد وعلى من تريد ان تخلفه ، قلت لا اريد ان اخلفه على احد من الناس اريد ان يكون معي والله لا يفارقني حيثما توجهت ابدا ، فذهبت وحشوت حشية كساء كتافا وكنا ركبا كثيرا ، فكان والله البعير الذي عليه محمد امامي يسبق الركب كلهم ، واذا اشتد الحر جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة الثلج فتسلم عليه وتقف فوق رأسه ، وكانت ربما امطرت علينا السحابة بأنواع الفواكه وهي تسير معنا فكنا حيثما نزلنا تمتلئ الحياض ويكثر الماء ونحضر الارض ، فكنا في كل خصب وطيب من الخير ، ومعنا قوم قد وقفت جمالهم فمشى اليها رسول الله ومسح يده عليها فسارت ، فلما قربنا من بصرى الشام

إذا نحن بصومعة قد اقبلت تمشي كما تمشي الدابة السريعة ، حتى اذا قربت منا وقفت واذا فيها راهب والسحابة لاتفارق رسول الله ساعة واحدة ، وكان الراهب لا يكلم الناس ولا يدري ما الركب ولا ما فيه من التجار ، فلما نظر إلى النبي عرفه ، وسمعه يقول : إن كان أحد فأنت أنت ، فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب ، قليلة الأغصان ليس عليها حمل ، وكان الركبان ينزلون تحتها ، فلما نزل رسول الله اهتزت الشجرة والتفت أغصانها على رسول الله وحلت ثلاث أنواع من الفواكه فاكهتان للصيف وفاكهة للشتاء ، فتمعجب جميع من كان معنا من ذلك ، فلما رأى بغير الراهب ذلك ذهب فاتخذ لرسول الله طعاماً بقدر ما يكفيه ، ثم جاء وقال : من يتولى منكم أمر هذا الغلام ، فقلت أنا عمه ، فقال : يا هذا ، أله أعمام غيرك ، فأبي الأعمام أنت ، فقلت أنا أخو أبيه من أم واحدة ، فقال أشهد أنه هو وإلا فلست بغيرا ، ثم قال لي : يا هذا أتأذن لي أن اقرب هذا الطعام منه لياكله ، فلما أذنت له قربته إليه فرأيت أنه كارهاً لذلك ، فالتفت إلى النبي ﷺ وقلت : يا بني رجل أحب أن يكرمك فكل من طعامه ، فقال النبي : لا آكل دون أصحابي ، فقال الراهب لم يكن عندي أكثر من ذلك ، فاستأذنه النبي ﷺ أن يأكل هو وأصحابه وكانوا مائة وسبعين رجلاً والطعام لا يكفي إلا لواحد ، فأكلوا جميعهم حتى شبعوا وتجشأوا على حد تعبير الراوي ، وبغيرا قائم على رأس النبي يقبله بين الحين والآخر ، ويكرر هو ، هو ورب المسيح ، والحضور لا يفهمون شيئاً .

وأخيراً اعترضه رجل من الركب وسأله عن صلته بالغلام ، فقال لهم : إني أرى ما ترون منه ولكني أعلم ما لا تعلمون ، ولو علمتم أمر هذا الغلام لحلتموه على رقابكم ، والله ما أكرمتكم إلا له ، ولقد رأيت له نوراً أمامه ما بين السماوات والأرض ، ورجالا في أيديهم مراوح من البياقوت والزبرجد ،

وآخرين ينثرون عليه أنواع الفواكه ، ثم هذه السحابة لا تفارقه حتى أن صومعتي مشيت إليه كما تنسي الدابة على رجلها ، ثم هذه الشجرة لم تزل من عهد طويل يابسة قليلة الاغصان ، ولما جلس تحتها كثرت أغصانها وحملت ثلاثة أنواع من الفواكه فاكهتان للصيف وفاكهة للشتاء ، ثم الحياض التي امتلأت بعد أن غار ماؤها من أيام تخرج بني اسرائيل بعد الحواريين بدعاء شمعون عليهم وأضاف بحيرا ان شمعون أخبر في كتابه ان هذه الحياض اذا امتلأت فاعلموا أنه لأجل نبي يخرج في ارض تهامة .

ومضى الراهب يسأل النبي عن بعض الاسرار وهو يحببه ، وبحيرا يعدده له انتصاراته وما سيجري في زمانه من الكرامات والفتوحات ، ويقبل يديه مرة ورجليه أخرى، ويقول: لقد ضحكت الارض يوم مولدك وهي لا تزال ضاحكة مستبشرة الى يوم القيامة ، وبكت الكنائس والبيع والشياطين ولا تزال تبكي .

وأضاف الراوي بعد حديث طويل من بحيرا يسمعه الركب بكامله - ان بحيرا أشار على عمه أن يرده خوفاً عليه من النصارى واليهود، فلما دخل بصرى اهتزت قصور الشام كلها وعلا منها نور اعظم من نور الشمس، وازدحم حوله الناس ينظرون إليه حتى لم يبق راهب ولا حبر إلا وخرج ، ومن بين هؤلاء أعظم الاحبار المسمى بنسطور وبقي معه ثلاثة أيام لا يمل من النظر اليه الى غير ذلك من الفرائب التي اشتملت عليها هذه الرواية .

ويستطرد المؤلف والقصاصون في عرض المرويات التي تتعلق برحلات النبي المتتالية الى الشام وبصرى منذ الثامنة من عمره الى السنة التي بعث فيها ، وما رافق ذلك من المعائب والفرائب والكرامات التي تمت بين النبي والرهبان والاحبار والبطارقة الكبار بما يوحى بأنها من صنع المندسين في الاسلام من المسيحيين واليهود، ولخلق جو من التشكيك في رسالة محمد ﷺ وانه استمدها

من اليهودية والنصرانية وغيرهما من الاديان .

كما أثار هذه الشبهة جماعة من اعداء الاسلام المستشرقين وغيرهم ولا يزالون يثيرونها وبخاصة عندما يجدون هذه المرويات بين ايدي المسلمين وفي مجاميعهم ومن صرح بذلك انطون سعادة في كتابه الاسلام في رسالتيه المسيحية والحمدية ، فلقد جاء فيه ما حاصله ان عمداً بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس الى المبادئ الثلاثة التالية :

و الايمان بالله ، ووحدانيته ، واليوم الآخر .

وهذه المبادئ اخذها من الرهبان والاحبار خلال اتصالاته بهم في سفراته الى بلاد الشام ، ولما انتقل الى المدينة واستتب له الامر شكل دولة بها واخذ التشريعات والانظمة التي دعا إليها من التوراة حيث كانت المدينة مركزاً رئيسياً لليهود الجزيرة العربية .

وقال الاستاذ كتاني في كتابه فاطمة الزهراء صفحة ٤٠ : ما حاصله : ان محمداً وضع فكرة النبوة في ذهنه بواسطة الرهبان الذين اتصل بهم خلال رحلاته الى الشام ، ووضع الفكرة موضع التصميم والتنفيذ في غار حراء ، ومع الاسف الشديد ان هذا الكتاب طبع في النجف الاشرف قبل سنتين تقريباً ونال مؤلفه الجائزة الاولى التي اقترتها الهيئة المشرفة على المباراة التي دعت اليها لجنة من الفضلاء والأدباء لوضع كتاب عن الزهراء (ع) وهي خمسمائة دينار بدون ان يعلقوا عليه ، مع ان كلامه حول الموضوع كان ظاهراً في الدس على الاسلام ، ولكن الهيئة التي اختارت كتاب الكتاني من بين عشرات الكتب وقدمته على غيره قد تأثرت حسداً باعتقاد بأسلوبه الطري الساحر وألفاظه المختارة البراقة ، وغطى ذلك على ما فيه من دس واطفاء فكرية .

وعلى أي الاحوال فلاستاذان سعادة وكتاني ليسا بأول من أثار هذه الشبهة حول رسالة النبي العظيم ﷺ ، فلقد سبقهم عدد من المستشرقين وغيرهم

واعتمد بعضهم على هذه المرويات التي دونها المحدثون في مجاميعهم بدون تدبر في مضامينها ولا تقدير لما يلتج عنها ، مع العلم بأن الحاجة يوم ذاك والنبي ﷺ لا يزال في الثامنة من عمره لا قدعو الى هذا النوع من الاعجاز الذي لم يحمر له في ادق المراحل التي مرت بها دعوته خطورة وضيقاً .

وهل من الممكن ان يشاهد ذلك الراكب المؤلف من مائة وسبعين رجلاً من تجار مكة صومعة مقبلة على محمد وهو طفل صغير تمشي على رجلين بخشوع واحترام ، وشجرة يابسة تحمل لهم ثلاثة انواع من فواكه الصيف والشتاء ، وغمامة تسير معهم عبر الصحراء الواسعة ، وحياضاً تتدفق فيها المياه العذبة في تلك الصحراء القاحلة التي لا شيء يراود فيها اذهان المسافرين غير التخوف من الموت عطشاً ، ورهباناً وبطارقة يتدافعون بحماس وحرارة لينظروا محمداً ويتبركوا بطلعته ، وقصوراً شاذة في بصرى وبلاد الشام تنحني اجلالاً واحتراماً ، وعالماً يوج بعضه في بعض يتزاحم على النظر اليه .

فهل من المعقول ان يشاهد ذلك الحشد الذي كان يرافقه جميع هذه الحوادث الكونية ، ومع ذلك لا يتغير موقفهم منه ولا تختلف نظرتهم اليه قبل ذلك ، هل من الممكن ان تجري هذه الحوادث بمراى ومسمع من مائة وسبعين رجلاً من التجار ، ولا يروها سوى شذاذ الرواة؟!

في حين ان نظرتهم اليه لم تتأثر بتلك الحوادث المزعومة ابداً ، وكانوا ينظرون اليه قبل النبوة باكبار واعجاب من خلال سيرته وامانته وصدقه وجميع صفاته التي امتاز بها عن جميع المكيين والعرب اجمعين .

على ان الصدوق نفسه يروي في موضع آخر ان ابا الموهب الراهب استقبل وفدأ من تجار مكة وسألهم عن نسبهم وبلدهم فأخبروه بأنهم قرشيون مكيون ، ولما سألهم عن محمد ﷺ قالوا له والله ما في قريش اخمل ذكرنا منه وهو يتيم قريش واجير لامرأة منا يقال لها خديجة فحرك رأسه وقال : هو هو ،

ولما رآه خلى به ساعة يناجيه ويكلمه ، واخرج شيئاً من كمه فأبى رسول الله ان يقبله ، ثم اخبرهم بنبوته كما اخبرهم بوصيه علي عليه السلام وصفاته واسمائه ، وأضاف الى ذلك اننا نجد صفة علي عندنا كما نجد صفة محمد وما اختصها الله به .

وهذه الرواية تشير الى ان هذه الرحلة الى الشام كانت قبل نبوته يوم كان عاملاً عند خديجة وذلك بعد ان تجاوز العشرين من عمره ، وان ما اخبرهم به الراهب كان غريباً عنهم لم يسموه من قبل ، في حين ان الرواية الاولى تنص على انه كان في حدود الثامنة من عمره ، وان الركب التجاري الذي رافق تلك الرحلة كان يضم مائة وسبعين تاجراً من المكيين والقرشيين ، وكلهم شاهدوا تلك الحوادث التي رافقت تلك للرحلة ، وقد ذكر حديث سفره الى الشام كل من المسعودي في مروج الذهب ، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، ولكن رواية المسعودي لم تشتمل على شيء من تلك الغرائب وكل ما جاء فيها ان النبي كان له من العمر اثنا عشر عاماً ، ولما مر الركب ببجيرا رأى النبي فعرقه بصفته وصنع له طعاماً ووضع يده على كتفه ، وأشار على الوفد ان يردوه الى المدينة خوفاً عليه من اهل الكتاب ، واخبر بذلك ابا بكر وبلال وكافا من الوفد المرافق له ، وهما اخبرا عمه بذلك فرداه الى المدينة وأخبر قريشا بما كان من امره .

وأما رواية البداية والنهاية فمع انها أوسع من رواية المسعودي إلا أنها تختلف اختلافاً كبيراً عن رواية الصدوق واقتصرت على حديث الغمامة التي كانت تظلمه وعلى اطعام الوفد واخبارهم بما يكون من امره ونصيحة ابي طالب بارجاعه الى المدينة خوفاً عليه ، وتضيف الى ذلك ان عمه قد ارجعه مع ابي بكر وبلال ، في حين ان ابا بكر كان في حدود التاسعة من العمر ، وبلال كان اقل من ذلك على حد تعبير ابن كثير في روايته .

وجاء في رواية الواقدي ان بجيرا حينما رأى النبي عليه السلام أشار على عمه

بإرجاعه سرّاً الى مكة وأوصاه به خيراً ، وهي اقرب الى الصحة
من غيرها (١) .

وجميع ما اورده المؤلف حول هذا الموضوع رواه بين عامي غير موثوق
في احاديثه وبين شيعي مجهول الحال ، والشيء المظنون به ان الرسول الاعظم
ﷺ لم يخرج مسافراً الى الشام سوى مرة واحدة في تجارة لخديجة بنت
خويلد بعد أن تجاوز العشرين من عمره ، وبما لا شك فيه أن رحلته تلك قد
تكللت بالنجاح الذي لم تكن ترجوه خديجة ولا غيرها من التجار ، ووجد
التجار الذين رافقوه من مظاهر الخير والبركة ما لم يعرفوه من قبل ، ومن
الجانز ان يكون لبحيرا وغيره من الرهبان دور مع النبي ﷺ لم يتجاوز
حدود الفراسة فيما سيكون من امره بعد ان وجدوا فيه ملامح الرجل الذي
يبشر بنبوته الانجيل وكانوا يتوقعون ظهوره بين الحين والآخر .

وروى ابن بابويه عن احمد بن يحيى ومحمد بن اسماعيل عن جماعة بسند
يتصل بأبي طالب أن أبا بكر بن عبد الله بن أبي جهم حدث عن أبيه عن
جده ان ابا طالب روى عن عبد المطلب أنه قال : بينما أنا نائم في الحجر إذ
رأيت رؤيا هالتي فأتيت ، كاهنة قريش وعلي مطرف خز تضرب منكبي ،
فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغيير فاستوت وانا يومئذ سيد قومي ،
فقلت : ما شأن سيد العرب متغير اللون ، هل رابه من حدائق الدهر ريب
فقلت لها : بلى : اني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبئت على
ظهري ونال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب ورأيت نوراً
يظهر منها اعظم من نور الشمس سبعين مرة ، ورأيت العرب والمعجم ساجدة

(١) انظر مروج الذهب ج ١ ص ٤٤ ، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٦ ، واكمال الدين
لمحمد بن بابويه القمي .

لها ، وهي كل يوم تزداد عظما ونورا، ورأيت رهطاً من قریش يريدون قطعها
فاذا دنوا منها اخذهم شاب من احسن الناس وجها وأنظفهم ثيابا فيأخذهم
ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لانتناول غصناً من أغصانها فصاح
بي الشاب وقال مهلا ليس لك فيها نصيب ، فقلت لمن النصيب والشجرة مني
فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها ، فانتبهت فزعاً مرعوباً ، فرأيت
لون الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك ولد
يملك المشرق والمغرب ويتنبأ في الناس ، واطاف الراوي ان ابا طالب كان
يحدث بهذا الحديث والنبي قد خرج ، ويقول : كانت الشجرة والله ابو القاسم
الابن ، فيقولون له : فلم لم تؤمن به فيقول خوف السبة والمار .

هذا الحديث إن صح شيء منه وليس بعيد ان تكون تلك الرؤيا صحيحة
ولكني لا اشك بأن آخره من الموضوعات ، لان ابا طالب كان من امرع الناس
الى الايمان بمحمد ﷺ واقوام يقيننا به واخلصهم لدعوته ، وكيف يرى
اسلامه عبارة وسبة كما يزعم الراوي ولولاه لتراكت على النبي الصعوبات
وضاقت الدنيا في وجهه ، وهو القائل :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا

إلى غير ذلك مما تواتر عنه من الأقوال والأفعال التي تؤكد صدق إيمانه
واخلاصه للرسول ودعوته وبرأته من كل ما الصقه به الامويون واتباعهم ،
على ان الرواة له من العامة وهم ما بين ضعيف ومجهول الحال كما يظهر من لسان
الميزان لابن حجر العسقلاني .

وجاء في اكمال الدين عن محمد بن يحيى العطار واحمد بن ادريس عن احمد
ابن محمد بن عيسى من رواية طويلة لو أراد القارئ ان يقرأها لم ينته منها

بأقل من عشرين دقيقة تشتمل على المعجزات والكرامات قبل ولادة النبي
بأكثر من خمسين عاما، جاء فيها ان سلمان الفارسي عمر اكثر من مائتين وخمسين
عاما ، وانه سمع وهو سائر مع ابيه في منطقة بشيراز قبل نبوة محمد بزمن
طويل صوتاً يخرج من صومعة يقول : أشهد ان لا إله إلا الله وأن عيسى روح
الله ومحمد حبيب الله ، فرسخ حبه في طمه ودمه ولم يعد يتنها بطعام وشراب
وامتنع يوم ذاك ان يسجد لمطلع الشمس كما كان يصنع ، ثم رأى كتابا معلقا
في سقف البيت ففتحه واذا به : بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد الله الى آدم
انه خالق من صلبه نبيا يقال له محمد يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن عبادة
الاوثان ويأمر بتترك المجوسية والتزام النصرانية ، وانه من اوصياء عيسى ،
ولما علم ابوه بحاله وحبه لمحمد عذبه ووضع في بئر عميقة وعامله بأشد ما
يكون من القسوة ، ولما طال عليه الامل في البشر استغاث بمحمد ﷺ
وذلك قبل مولده بأكثر من مائتي عام فأرسل الله اليه من أخرجه منها الى
الصومعة فاستقبله صاحب الدير واطلمه على أمر محمد وبشره به .

ولما مات انتقل منها الى انطاكية بأمر منه وارسل معه رسالة الى رهبانها،
ولما وصلها استقبله الرهبان واثاروا عليه بالذهاب الى الاسكندرية بعد موتهم
ولما مات راهب الاسكندرية التحق بقوم قد باعوه من يهودي بمعد ان
استعبده مدة من الزمن، ولما رأى النبي ومعه علي وجعفر وعقيل في بستان
من بساين المدينة ايقن بالفرج فاشترى النبي باربعمائة نخلة صفراء غرسها علي
في ساحته فشبت وساوت جميع ما في البستان من نخيل وأشجار ، الى
غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها قصة اسلامه وعمره الطويل وتقلاته
من بلد الى بلد وما رافق ذلك من أحداث وكرامات ، في حين ان سندها
غير سالم من العيوب ، وعلى تقدير صحتها ، فسلامة السند لا تثبت صدور

الرواية عن المصوم ، فلقد روى الثقات عشرات الاحاديث المدسوسة التي وضعها المغيرة بن سعيد وامثاله من الوضاعين وأدخلوها في كتب أصحاب الامامين الباقر والصادق (ع) كما أشار الى ذلك الامام الرضا في حديثه الذي وصف به موقف الرواة والمحدثين في ذلك العصر .

وجاء في معالم الزلفى عن كتاب بستان الواعظين عن محمد بن ادريس أنه قال: رأيت بمكة اسقفاً وهو يطوف في الكعبة ، فقلت له: ما الذي رغب بك عن دين آبائك وأجدادك ؟ ، فقال : لقد استبدلت خيراً منه ، فقلت له : وكيف ذاك ؟ قال : ركبت البحر ! فلما توسطناه انكسر بنا المركب فملوت لوحاً فلم تزل الامواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب فعمدت الله تعالى على ذلك ، وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله بالفرج ، فلما ذهبت إليها خفت على نفسي من الدواب التي فيها فملوت شجرة من تلك الاشجار ونمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل وإذا بدابة على وجه الماء تسبح وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار، وعلي بن أبي طالب سيف الله على الكفار ، وفاطمة وبنوها صفوة الجبار ، وعلي مبغضهم لعنة الجبار ، ومأوام جهنم وبئس القرار ، فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، ثم قالت : لا إله إلا الله صادق الوعد والوعيد ، محمد الرسول الهادي الرشيد ، وعلي ذو البأس الشديد ، وفاطمة وبنوها خيرة الرب المجيد، وعلي مبغضهم لعنة الرب المجيد ، فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعمة، ووجهها وجه انسان، وقوائمها قوائم البعير، وذنبها ذنب الأسماك ، فخشيت على نفسي منها وهربت من أمامها ، فلما رأني وقفت وقالت : أيها الانسان قف وإلا هلكت ، فوقفت لها ، فقالت :

ما دينك : قلت النصرانية ، فقالت ويحك : ارجع إلى دين الاسلام ، فقد حلت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ، فقلت لها وكيف الاسلام قالت : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولما قلتها ، قالت قد تم اسلامك بموالاته علي بن أبي طالب وأولاده وبالصلاة عليهم والبراءة من أعدائهم ، فقلت ومن أتاكم بهذا : قالت قوم منا حضروا عند رسول الله فسمعوه يقول : إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق يا إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني وتزيني ، فيقول الجليل جل جلاله قد شددت أركانك وزينتك بابتنة حبيبي فاطمة الزهراء ، وبعلها علي بن أبي طالب وابنيها الحسن والحسين ، والتسعة من ذرية الحسين (ع) ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ فقلت لها الرجوع ، فقالت : اصبر حتى يمتاز مركب ، وإذا بمركب يجري ، فأشارت إليهم ، فدفعوا إليها زورقاً فلما علوت معهم وإذا في المركب اثنا عشر نصرانياً فقصصت عليهم ما جرى علي فأسلموا كلهم ^(١) .

هذه الرواية بالإضافة إلى غرابتها ، ووصفها تلك الدابة بهذا التركيب المعجيب الذي يجمع بين الانسان والنعامة والبعير والسمك في مخلوق واحد ، بالإضافة إلى ذلك ، فلقد رواها محمد بن ادريس ، وقد جاء عنه في اتفاق المقال أنه عامي المذهب ، وقال ابن حجر في لسان الميزان : انه كان ضعيف الحديث ، يروي المناكير لا يصح الاعتماد على مروياته .

وكما هي موجودة بين أحاديث الشيعة بهذا النص موجودة بين مرويات السنة بهذا النص أيضاً إلا في الفقرات التالية ، فقد جاء في رواية كتب الشيعة لها أن الدابة التي تصفها الرواية بالشكل الذي ذكرناه كانت تقول : لا إله إلا

(١) انظر ص ٣٢٢ من معالم الزلفى .

الله العزيز الجبار محمد رسول الله المختار ، وعلي بن أبي طالب سيف الله على الكفار ، وفاطمة وبنيتها صفوة الجبار ، وعلى مبغضهم لعنة الجبار ومأوام جهنم وبئس القرار ، وظلت تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، ثم قالت : لا إله إلا الله صادق الوعد والوعيد ، محمد الرسول الهادي الرشيد ، وعلي ذو البأس الشديد ، وفاطمة وبنوها خيرة الرب المجيد ، وعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد .

ورواية السنة تقول ان الدابة كانت تردد : لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد الرسول المختار ، وأبو بكر الصديق صاحبه في الفار ، وعمر الفاروق فاتح الامصار ، وعثمان القتيل في الدار ، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، فلما طلع الفجر ، قالت : لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادي الرشيد ، وأبو بكر صاحب الرأي السديد، وعمر بن الخطاب سور من حديد، وعثمان بن عفان صاحب الفضل الشديد ، ويمضي الراوي ليصفها فيقول: ان رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان ، وقوائها قوائم بعير ، وذنبها ذنب سمكة كما وصفها الرواية الشيعية ، ثم يقول الراوي انه بعد أن هرب منها نطقت بلسان فصيح ونصخته أن يرجع الى الخنفية بعد أن أخبرها بأنه يعتنق النصرانية، وقالت انك قد حللت بفناء قوم من الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ، وأضاف الى ذلك أنها قالت: تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأمرته بأن يترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأخبرته بأن قوماً من الجن حضروا عند رسول الله وسمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح ، إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني ، فيقول لها الجليل جل جلاله : قد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزينتك بالحسن والحسين .

وجاء في الرواية الشيعية أنه قال لها : قد شددت أركانك وزينتك بآية حبيبي فاطمة وبعلها علي بن أبي طالب ، وابنيها الحسن والحسين ، وبالسنة من ذرية الحسين (ع) إلى آخر الرواية التي تتفق بنصها الحرفي ولا تختلف في شيء إلا بما ذكرناه ، مما يؤكد أنها من الموضوعات ، ويبقى أن السنة وضموها أولا فيما وضعوه من فضائل الخلفاء ، وحوورها الشيعة بما رويناها أولا لتكون فضيلة لملي وأبنائه (ع) أو أنها من مخترعات الشيعة ، وحوورها السنة بشكلها الموجود في كتبهم .

ولا أجد لدي ما يؤيد أحد الأمرين ، وكل ما في الأمر أن السنة رووها عن محمد بن آدم ، والشيعة رووها عن محمد بن ادريس .

ومها كان الحال فهي من النوع الذي أشار اليه الامام الرضا عليه السلام في جواب من سأله عن مرويات العامة في فضائل الأئمة كما جاء في الفصول السابقة .

وجاء في الكتاب المذكور عن الحسين بن حمدان الحصري عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : جلس النبي صلى الله عليه وآله في رحبة مسجده في المدينة ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار ، وعلي عن يمينه وأبو بكر بين يديه اذ دخلت غمامة لها زجل وحفيف ، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أبا الحسن قد ألتنا هدية من الله سبحانه ، ثم مد رسول الله يده الى الغمامة فتدلت ، فبدا منها جام يلعب حتى غشيت أبصار من حضر في المسجد من لمعانه وشعاع نوره وفاح في المسجد روائح أزال من طيبها عقول الناس ، والجام يسبح الله ويقده ويحمده بلسان عربي مبين حتى نزل في بطن راحة رسول الله اليمنى وهو يقول : السلام عليك يا حبيب الله وصفوته ونبيه ورسوله المختار من العالمين ، والمفضل على جميع أنبياء الله أجمعين ، من الأولين والآخرين وعلى وصيك خير الوصيين ، وأخيك خير المؤاخين ، وخليفتك خير المستخلفين وامام المتقين وأمير المؤمنين ونور المستبينين وسراج المقتدين ، وعلى زوجته

فاطمة خيرة نساء العالمين الزهراء في الزاهرين والبتول أم الأئمة الراشدين وعلى
سبطيك ولوريك وربحانتيك وقرة عينيك الحسن والحسين، فسمع ذلك رسول
الله وجميع من حضر يستمعون هذا كله من الجام ويفضون أبصارهم من أنواره
الباهرة ، ورسول الله يكثر من حمد الله وشكره ، حتى قال الجام وهو في
كفه يارسول الله ان الله بعثني اليك والى أخيك وابنتك فاطمة والحسن
والحسين ، فردني يارسول الله الى كف علي عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ
خذه يا ابا الحسن تحفة اليك ، فد يده اليمنى فصار في بطن راحته ، فقبله
وشمه وقال : مرحباً بزلفة الله الى رسول الله واهل بيته واكثر من حمد الله
والثناء عليه ، والجام يكبر الله ويهلله ويقول: يا رسول الله قل لعلي يردني
الى فاطمة والحسن والحسين كما امرني الله عز وجل فأمره رسول الله بذلك
فقام علي وببده الجام حتى دخل على فاطمة ونوره يزيد على نور الشمس
ورائحته قد اذهلت العقول ، فرده الى يدها وتداوله الحسنان وارجعوه الى
رسول الله ، فقام عمر بن الخطاب وقال : يا رسول الله مالك تستأثر بكل
ما اتاك من عند الله من تحية وهدية ، فقال رسول الله : ويحك يا عمر
ما اجرأك أما سمعت ما قال الجام : حتى تسألني أن أعطيك ما ليس لك ،
فقال : أتأذن لي في أخذه وشمه ، فقال : ويحك ما ذلك لك ولا لغيرك من
الناس ، فقال : أتأذن لي في لمسه بيدي ، فقال الرسول : ما أشد الحاحك
قم فان تلقه فما محمد رسول الله ولا جاء بحق من عند الله ، فد يده الى
الجام فلم تصل اليه وانصاع الجام وارتفع نحو الغمامة وهو يقول : يا رسول
الله ما هكذا يفعل المزور بالزائر .

وهكذا يمضي الراوي في حديث طويل ويصف الحوار الذي دار بين الجام
والرسول بأسلوب قله النفوس ولا تقبله العقول (١) .

(١) انظر ص ٣١٨ من الكتاب المذكور .

ولو تفاضينا عن الميوب الموجودة في متنه من حيث أسلوبه وصياغته ، واشتماله على هذا النوع من الكرامات التي تتسع قدرة الله لها ولأكثر منها ، عندما تدعو الحاجة لذلك ، مع العلم بأن الموقف لا يستدعي شيئاً من تلك الكرامات ، لو تفاضينا عن كل ذلك ، فالراوي الأول الحسين بن حمدان الحصري كان فاسد المذهب كذاباً ملعوناً لا يلتفت الى شيء من مروياته كما جاء في اتفاق المقال وغيره .

وأما الراوي الثاني لهذا الحديث الذي رواه عن الامام الصادق ، وهو الفضل بن عمر فحالاه غني عن البيان ، وقد تحدثنا عنه في بعض مروياته السابقة .

وروي في الكتاب المذكور عن أبي مخنف بإسناده الى جابر بن عبد الله الانصاري أنه قال : سألت رسول الله عن مولد علي عليه السلام فقال : يا جابر سألت عجباً عن خير مولود ، اعلم ان الله تعالى لما أراد أن يخلقني ويخلق علياً خلق قبل كل شيء درة عظيمة أكبر من الدنيا عشر مرات ، ثم أن الله سبحانه قد استودعنا في تلك الدرة فكثنا فيها مائة الف عام نسبح الله تعالى ونقدس له فلما أراد إيجاد الموجودات نظر الى الدرة بعين التكوين فانفجرت نصفين فجعلني ربي في النصف الذي احتوى على النبوة ، وجعل علياً في النصف الذي احتوى على الامامة ، ثم خلق الله من تلك الدرة مائة بحر ، فمن بعضه بحر العلم ، وبحر الكرم ، وبحر السخاء ، وبحر الرضا ، وبحر الرأفة ، وبحر العفة .

ومضى الراوي في حديثه الى ان عد اربعين بحراً على هذا النسق ، وأضاف الى ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله قال : لقد مكثنا في هذه البحور سبعة آلاف عام ، وبعدها خلق الله القلم ، وقال له : اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب

توحيدى ، فكث القلم سكراناً من قول الله عز وجل عشرة آلاف عام ثم أفاق بعد ذلك ، وقال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، فلما فرغ القلم من كتابته ، قال يا رب ومن هؤلاء الذين قرنت اسمها باسمك ، قال تعالى : يا قلم ، محمد نبيي وخاتم أنبيائي ، وعلي وليي وخليفتي على عبادي وحجتي عليهم ، وعزتي وجلالي لولاهما ما خلقتك ولا خلقت اللوح المحفوظ ، ثم قال له اكتب : قال وما اكتب ؟ قال : صفاتي وأسمائي ، فكتب وظل يكتب الف عام حتى كلّ وملّ ، ثم ان الله خلق من نوري السموات والأرض والجنة والنار والكواكب والصراط والعرش والكرسي والسحاب والحجب ، وخلق من نور علي عليه السلام الشمس والقمر والنجوم قبل ان يخلق آدم بالف عام ، ثم ان الله امر القلم ان يكتب على كل ورقة من اشجار الجنة وعلى كل باب من ابوابها وابواب السموات والارض والجبال والشجر لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، ثم امر نور رسول الله ونور علي ان يدخلوا في حجاب العظمة .

ومضى الراوي يعدد ما لعلي ولرسول الله ﷺ من فضل وآثار قبل ان يخلق آدم بألاف السنين ، الى أن قال : فلما خلق الله آدم كنت أنا في أصبعه السبابة وعلي في أصبعه الوسطى ، وابنتي فاطمة في التي تليها ، والحسن في الخنصر ، والحسين في الإبهام ، الى غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها الرواية .

وبكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وقد ضعفه السنة والشيعه ولم ينقوا بمردياته ، وله كتب كثيرة في السير والاختبار جمع فيها كل ما رأى وسمع كما هو الحال بالنسبة الى جميع المؤلفين في المصنوع الأولى (١) .

(١) انظر لسان الميزان ج ٤ ص ٩٢ واتقان المقال في علم الرجال ص ١١٩ .

وجاء في معالم الاخبار عن سدير الصيرفي ان الامام الصادق عليه السلام روى عن رسول الله ﷺ انه قال : خلق الله نور فاطمة قبل ان يخلق الارض والسماء ، فقال له بعض الناس يا رسول الله أليست هي انسية ؟ فقال : فاطمة حوراء انسية خلقها الله من نور قبل ان يخلق آدم اذ كانت الارواح ، فلما خلق الله آدم عرضت على آدم ، قيل له : يا نبي الله واين كانت فاطمة؟ قال كانت في حقة تحت ساق العرش ، ، قيل ، يا رسول الله : فما كان طعامها ، قال : التسبيح والتهليل والتمجيد ، فلما خلق الله آدم واخرجني من صلبه احب الله أن يخرجها من صلي ، جعلها تفاحة في الجنة واتاني بها جبرائيل فقال لي السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، قلت وعليك السلام ، قال : ان ربك يقرئك السلام ويقول ان هذه تفاحة اهداها الله اليك من الجنة ، قال : فأخذتها وضممتها الى صدري ، قال ان ربك يقول لك كلها ، ففلقنتها فرأيت فيها نوراً ساطعاً فزعت منه فقال : كلها ولا تخف فان ذلك النور للمنصورة ، وفي الارض فاطمة ، قلت ولم سميت في الارض فاطمة ، قال : سميت في الارض فاطمة لانها فطمت شيعتها من النار ، وفطم اعداؤها عن حبها ، وسميت في الأرض المنصورة لقوله تعالى : ويوم يفرح المؤمنون بنصر الله ، أي بنصر فاطمة لمحبيها .

ان من الجائز الغريب أن تكون هذه الرواية من صنع الغلاة وقد نسبت الى سدير الصيرفي زوراً وبهتاناً ، لان النبي والأئمة الهداة ما كانوا في يوم من الايام ليحدثوا الناس بما لا تدركه عقولهم ولا تحيط به حق اوهامهم ، وبعد أن أحسوا بذلك السيل الجارف من المرويات المكذوبة عليهم أمروا شيعتهم وأتباعهم بأن لا يأخذوا بالرواية الا بعد عرضها على كتاب الله وعدم مخالفتها لنصوصه وظواهره ، ومن غير الجائز عليهم ان يحدثوا بمثل هذه الغيبات حتى

ولو كانت صحيحة في الواقع ، ثم يعلنوا على الملأ أن كل رواية تخالف كتاب الله فهي مكذوبة علينا ، على أن الراوي لهذه الرواية عن الصادق هو سدير الصيرفي ، وقد جاء عنه أنه كان غلطاً على حد تعبير المؤلفين في الرجال ولم يخرجوا من ترجمته بـ نتيجة توشي يحواز الأخذ بـروايته والاعتماد عليها (١) .

وروى السيد هاشم البحراني في كتابه نزهة الأبصار جملة من الاساطير حول مولد النبي وعلي والزهراء والأئمة الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام كلها من صنع الفلاة وأعداء الأئمة والاسلام بدافع التشنيع عليهم والتشويه لأقارم الخيرة التي كانت وستبقى ما بقي على وجه الأرض انسان من أفضل ما يقدمه الانسان في هذه الدنيا من خير وتعاليم لبنى الانسان .

وبذلك وحده قد استحقوا التقديس والتعظيم وأصبحوا فوق مستوى الناس أجمعين، لا بتلك الغيبيات والاساطير التي تلقفها حشوية الشيعة كالبحراني والبرسي وصاحب جامع الاخبار والشيخ حسن بن سليمان الحلي الذي اختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري وغيرهم من ألف في الحديث، ودون كل ما سمعته اذناه ورأته عيناه من غير تحقيق في متونها وأسانيدها ، ولا تفكير في مفاسدها ، بالرغم من أن الأئمة أنفسهم قد أنكروا تلك الاحاديث ولعنوا كل من يحدث عنهم بما لا تقبله العقول ولا تدركه الاوهام والافهام .

وسلام الله على الامام زين العابدين الذي قال لجماعة سمعهم يتحدثون عنه وعن آبائه بمثل هذه الغيبيات والاهام ، قال حبيبونا الى الناس ولا تبغضونا اليهم ، لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا ، لنا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله ، وولادة طيبة ، هكذا قولوا الى الناس ، أي لا تحدثوا عنا بأكثر من ذلك ، واطرحوا الغيبيات جانباً وردوها على من جاءكم بها .

(١) انظر المصدر السابق قسم الضعفاء ص ١٨٧ .

ومنها كان الحال فمن تلك المرويات ما رواه محمد بن بابويه عن جماعة منهم محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد بن سنان عن زياد بن المنذر عن ليث بن سعد أنه قال لكعب الاحبار في مجلس معاوية : كيف تجدون صفوة مولانا النبي ، وهل تجدون فضلاً لعترته ، فقال له معاوية : هات ما عندك يا أبا اسحاق ، فقال كعب الاحبار : لقد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال ووجدت في كلها ذكر مولده ومولد عترته، ولم يولد مولود قط نزلت عليه الملائكة ساعة ولادته ما خلا عيسى واحمد ، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم وآمنة أم احمد ، وكان من علامة حمله أنه لما كانت الليلة التي حملت به آمنة نادى مناد في السماء أبشروا فقد حملت آمنة بأحمد هذه الليلة ، وما بقي يومئذ في الارض دابة تدب ولا طائر يطير إلا علم بمولده، ولقد بني في الجنة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت احمر ، وسبعون ألفاً من لؤلؤ رطب ، فقبل هذه قصور الولادة ، وتزينت الجنان وضجعت ولا تزال ضاحكة الى يوم القيامة .

ولقد بلغني أن حوتاً من حيتان البحر يقال له طينوسا وهو سيد الحيتان له سبعة الف ذنب يمشي على ظهره سبعمائة الف ثور الواحد منها أكبر من الدنيا ، لكل ثور سبعة الف قرن من زمرد اخضر ، وما بقي يومئذ جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة، ولقد خضعت الجبال كلها لأبي قبيس كرامة لمولده ولقد ضرب بين السماء والارض سبعون عموداً من أنواع الانوار لا يشبه كل واحد صاحبه .

ولقد بلغني أن الكوثر قد اضطرب واهتز فرمى بسبعمائة الف قصر من قصور الدر والياقوت نثاراً لمولد محمد .

وأضاف كعب الاحبار الى ذلك : انا نجد في الكتب ان عترته خير الناس وانه لا يزال الناس في امان من العذاب ما دام منهم انسان .

ومضى كعب يحدث عن فاطمة الزهراء وذريتها بمثل حديثه عن مولد الرسول حتى نهض معاوية مغضباً ، الى غير ذلك من الاساطير التي اعتاد كعب الاحبار أن يزود بها المسلمين لغاية في نفسه ، على أن من أبطال هذه الاسطورة محمد بن موسى المتوكل ، وقد عده بعض المؤلفين في الرجال مع الثقات ، لا لشيء إلا لان الصدوق قد روى عنه ، وهو لا يروي إلا عن الثقات على حد تعبيره ، مع العلم بأنه قد روى عشرات الروايات عن غير الموثوقين كما يظهر ذلك لكل من تتبع مروياته .

وورد في سندها محمد بن سنان وزيايد بن المنذر وليث بن سعد ، أما محمد ابن سنان فهو من المتهمين بالكذب على الأئمة (ع) .

وجاء عن الفضل بن شاذان أنه قال : لا احل لكم ان ترووا احاديث محمد بن سنان ، كما عده في بعض كتبه مع الكذابين كأبي الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ وغيرهم .

وأما زيايد بن المنذر الملقب بسرحوب فقد كان زيدي المذهب واليه تنسب الفرقة الجارودية ، وتصفه بعض المرويات عن الأئمة بالكذب والكفر ، وأما ليث بن سعد فلم اجد له ذكراً بين رجال الشيعة .

وما يؤكد كذب هذه الرواية ان الراوي يدعي ان حديث كعب كان في مجلس معاوية في ايام خلافته ، ومن غير الممكن ان يسمح معاوية لاحد ان يحدث في فضل فاطمة وبنيتها في مجلسه ، وهو الذي كان يعاقب بشدة كل من يذكر علياً أو يحدث عنه ولو كان الحديث في احكام الله وحلاله وحرامه .

وبما جاء في ولادة علي عليه السلام عن محمد بن علي بن شهر اشوب في نجبة المناقب عن زيد بن قعنّب وجابر الانصاري انه كان راهب يقال له الملتزم ابن وهيب قد عبد الله مائة وتسعين عاماً لم يسأله بها حاجة ، فسأل ربه

يوماً أن يريه ولياً له ، فبعث الله بأبي طالب ، فسأله عن مكانه وقبيلته فلما
أجابه وثب إليه وقبل رأسه وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني وليه ،
ثم قال له : أبشر يا هذا فإن الله قد ألهمني أن ولدأ يخرج من صلبك هو ولي
الله اسمه علي ، فإذا ادركته فاقرئه مني السلام ، فقال : وما برهانه ، قال :
وما تريد ، قال : طعام من الجنة في وقي هذا ، فدعا الراهب بذلك ، فما
استتم كلامه حتى اتى بطبق عليه من فاكهة الجنة رطب وعنب ورمان ،
فتناول رمانة فتعولت ماء في صلبه فجاء فاطمة فحملت بملي ^{عليه السلام}
وارتجت الأرض وزلزلت بهم وعلت قريش الى ذروة ابي قبيس ، فجعلت
ترجج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم الصخور وتناثرت وتساقطت الالهة على
وجوهها ، فصعد ابو طالب الجبل وقال : ايها الناس ان الله سبحانه قد احدث
في هذه الليلة حدثاً ، وخلق بها خلقاً ، إن لم تطيعوه ولم تقرروا بولايته
وبإمامته لم يسكن ما بكم ، فأقروا بولايته وإمامته ، فرفع يده أبو طالب
وقال : إلهي وسيدي ومولاي ، أسألك بالمحمدية المحمودة ، والعلوية العالية
والفاطمية البيضاء الا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة ، فكانت الحرب
تدعو بها في مبدأ الجاهلية وهي لا تعلمها ، فلما قربت ولادة علي ^{عليه السلام} أتت
فاطمة بنت اسد الى بيت الله ، وقالت : ربي إني مؤمنة بك وبما جاء من
عندك من رسل وكتب ، ومصدقة بكلام جدي ابراهيم ، فبحق الذي بنى
هذا البيت ، وبحق المولود الذي في بطني الا ما يسرت علي ولادتي ، فانفتح
البيت ودخلت فيه ، وإذا هي بجواء ومريم وآسية وام موسى وغيرهن فصنعن
مثل ما صنعن برسول الله وقت ولادته ، فلما ولد سجد على الأرض يقول :
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن علياً وصي محمد
رسول الله ، بمحمد يختم الله النبوة ، وبعلي تم الوصية ، وأنا أمير المؤمنين ،
ثم سلم على النسوة وأشرقت السماء بضياءه ، فخرج أبو طالب قائلاً : أبشروا

فلقد ظهر ولي الله ، به يختم الله الوحيين وهو وحي رسول رب العالمين ، ثم أخذ عليا ، فسلم علي عليه وقال له الحق بالملتزم وخبره بما رأيت فإنه في كهف كذا من جبل المسكارم ، فخرج حتى أتاه فوجده ميتاً جسداً ماخوفاً في مدرعة مسجى ، فسلم عليه أبو طالب ، فأحياء الله وقام وهو يمسخ على وجهه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن علياً ولي الله والامام بعد نبي الله ، فقال أبو طالب : أبشر فإن علياً قد طلع الى الأرض ، فسأل عن ولادته فأخبره ابو طالب بما جرى له ، فبكى الملتزم وسجد لله شكراً ، ثم تمطى وقال له : غطني بمدرعتي ففطاه بها فاذا هو ميت كما كان فأقام أبو طالب ثلاثاً ، وخرجت حيتان وقالتا : السلام عليك يا أبا طالب ، إلحق بولي الله فانك احق بصيافته وحفظه من غيرك فقال لهما : من انما ، قالتا : نحن من جملة من يذب عنه الأذى الى ان تقوم الساعة فحينئذ تكون إحدانا قائده والأخرى سائقه ودليله الى الجنة .

هذه الرواية من مرويات ابن شهر آشوب وحاله معروف في الاعتقاد على الروايات الضعيفة وبخاصة اذا كانت في المناقب ، كما هو الحال في غيره من المحدثين الذين جمعوا كل ما سمعوه مهما كان مصدره ومضمونه ، على ان احد الرواة لها وهو يزيد بن قعنب لم اعثر له على ذكر بين رواة الشيعة والسنة .

وجاء في كتاب نزهة الابصار عن اصحاب التواريخ على حد تعبيره ان رسول الله ﷺ كان جالساً وعنده جني يسأله عن قضايا مشككة ، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور ، ثم قال : أجبرني يا رسول الله ، قال ممن أجبرك ، قال : من هذا الشاب المقبل ، فقال له النبي : وما ذاك ، قال الجني : أتيت سفينة نوح لاغرقها يوم الطوفان ، فلما تناولتها ضربني هذا فقطع يدي ، ثم أخرج يده المقطوعة ، فقال النبي : وهو

ذاك ، وأضاف الى ذلك ان جنياً كان جالساً عند رسول الله ﷺ فلما أقبل أمير المؤمنين استغاث به الجنى ، وقال اجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل ، قال : وما فعل بك ، قال تمردت على سليمان ، فأرسل اليّ نفرين من الجن فخطلت عليهما ، فبعاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني ، وهذا مكان الضربة الى الآن لم يندمل .

ويكفي هذه الرواية عيباً انها من مرويات نزعة الابصار الذي حشد فيه مؤلفه كل ما لذ له وطاب من المراسيل والمنكرات والمجاهيل وضعاف الاحاديث .

وروي في معالم الزلفى عن الشيخ رجب البرسي مؤلف كتاب مشارق الانوار في اسرار امير المؤمنين المشحون بالغلو والاختبار المكذوبة على علي وبنيه (ع) ، روي عنه أنه قال : كان امير المؤمنين عليه السلام جالساً في دكة القضاء إذ نهض اليه رجل يقال له : صفوان الاكحل وقال له يا أبا الحسن انا رجل من شيعتك وعلي ذنوب اريد ان تطهرني منها ، قال علي عليه السلام : وما اعظم ذنوبك وما هي ؟ قال : أنا ألوط بالصبيان ، قال ايما أحب اليك ، ضربة جذي الفقار ، او اقلب عليك جداراً ، او ارميك بالنار ، فان ذلك جزاء ما ارتكبته ، فقال يا مولاي : احرقني بالنار لانجو من نار الآخرة ، فقال علي لهما : اجمع لي الف حزمة من القصب لنضرمه غداة غد بالنار ، ثم قال للرجل انهض وأوصر بما لك وما عليك ، فنهض الرجل واوصى بما له وما عليه وقسم امواله على عياله واولاده واعطى كل ذي حق حقه وبات على حجرة علي في بيت نوح شرقي جامع الكوفة ، فلما صلى امير المؤمنين قال : يا عمار ناد في الكوفة اخرجوا وانظروا الى حكم علي عليه السلام ، فقال جماعة منهم : اليس قد قال ان الشيعة لا تأكلهم النار ، هذا رجل من شيعته ومحبيه فاذا اكلته النار تبطل امامته ، فسمع بذلك امير المؤمنين فأخذ الرجل وبني عليه الف حزمة من الحطب واعطاه كبريتاً وقال له : اقدح واحرق نفسك

فان كنت من شيعة علي ومحبيه لا تأكلك النار ، وان كنت من المكذبين والمخالفين فالنار تأكل لحك وتكسر عظمك ، فقدح الرجل النار واحرق القصب بكامله وكان قد لبس ثياباً بيضاء فخرج من تحت النار ولم تعلق به ولا اصاب ثيابه شيء حتى من الدخان ، فقال الامام : كذب العادلون بالله وضلوا ضللاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً ، وقال : شيعتنا منا وانا قسم الجنة والنار .

والذي يجب ان يقال : ان هذا الحديث من الموضوعات لان النار خلقها الله للعصاة ولو كانوا من الصق الناس نسباً بعلي عليه السلام ، والجنة للمطيعين ولو لم تربطهم برسول الله وعلي سوى رابطة الاسلام والايمان ، كما أكد ذلك القرآن الكريم والحديث الصحيح ، وليس للشيعة منها بلغوا من الولاء والايمان بعلي وبنه أي امتياز على غيرهم ، والصلاة والسلام على رسول الله القائل لابنته فاطمة : اعلمي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً ، واذا وصفنا اللواطين والمفسدين من الشيعة الى جانب غيرهم من الشيعة المطيعين لأوامر الله في الجنة كان اولئك اكرم على الله من هؤلاء ، وفي عقيدتي ان الذين وضعوا هذا النوع من المرويات قد اساؤوا الى التشيع وشوهوا وجهه الصحيح الذي عناه الامام الصادق بقوله لبعض الشيعة : ليس من شيعتنا من كان في بلد فيها اربعون الفا وفيهم من هو اورع منه .

وعلى أي الاحوال فالامر في هذه الرواية سهل بعد ان كانت من مختارات الشيخ رجب البرسي المعروف بالغلو والافراط في الصفات التي وصف بها الأئمة كما يبدو ذلك من كتابه مشارق انوار اليقين الذي روى فيه الغرائب ، واعطى للأئمة جميع خصائص الخالق ، وروى فيه قصة زواج عبد الله من آمنة وحملها بالنبي ﷺ وكيف اضطرب العالم وظهرت فيه الكرامات والمعجزات من اللحظة التي اتصل فيها عبد الله بآمنة حتى بقية مراحل حملها لحظة فلحظة وما رافق ذلك من الحوادث الكونية والمفاجآت التي لم يعرف للبشر لها

تفسيراً ، ولا سمع بنظيرها في اخبار الامم السالفة ، ويمضي البرسي في حديثه فيقص على العالم حوادث الشهر الثالث من حمله ، فيقول : ولما اتى على رسول الله في بطن امه ثلاثة اشهر كان ابو قحافة راجعاً من الشام فلما بلغ قريباً من مكة وضعت ناقته فجعلتها على الارض ساجدة فضربها ضرباً موجعاً ، فلم تنهض به ولم ترفع رأسها من السجود ، فبينما هو يحاولها واذا بهاتف يهتف ويقول : لا تضرب يا ابا قحافة من لا يطيعك ، الا ترى ان الجبال والبحار والاشجار والادميين تسجد لله سبحانه ، فقال ابو قحافة : يا هاتف وما السبب في ذلك ، قال اعلم ان النبي الامي قد اتى عليه الآن ثلاثة اشهر في بطن امه ، قال ابو قحافة : ومتى يكون خروجه ، قال : سرى ذلك ، فالويل كل الويل لعبد الاصنام من سيفه وسيف اصحابه ، وكلما مر عليه شهر في بطن امه تسجد الجبال وجميع الكائنات ويضطرب الناس لهول ما يلاقون وما يشاهدون من الغرائب والمعائب التي لم يعرفوها مما قبل .

ثم ينقل البرسي عن الواقدي حوادث الشهر الثامن فيقول : انه كان في بحر الهوى حوتة يقال لها طينوسنا هي سيدة الحيتان ، فتحركت الحيتان والحوتة معها واستوت قائمة على ذنبها فارتفعت مع الامواج ، فقالت الملائكة اهلنا وسيدنا: اما ترى ما تفعل طينوسنا فانها لا تطيعنا وليس لنا بها قوة ، قال : فصاح استيعايل الملك صيحة عظيمة ، وقال لها قري في مكانك ، فقالت : لقد امرني ربي يوم خلقتني ان اذا ولد محمد بن عبد الله بالاستغفار له ولايته ، والآن سمعت الملائكة يبشر بعضهم بعضاً ، فلذلك قمت وتحركت ، فامرها ان تقرر في مكانها واخبرها بأنه لم يولد الى الآن .

ويمضي الراوي في حديث طويل يصف المراحل التي مر بها الى انتهاء حمله وايام ولادته وما رافقها من الاسداث الغريبة بهذا اللون من الوصف الى ان

انقضى الشهر التاسع على حملها ، وكانت فيه ولادته بعد مضي تسعة آلاف سنة وتسعمائة وأربعة اشهر وتسعة أيام من وفاة أبي البشر آدم عليه السلام .

وهناك الاحداث الجسام في السماوات والارضين التي روعت العالم بأسره وارتاع منها حتى ابليس وأولاده على حد تعبير البرسي وحشا على رأسه التراب وتكسرت الاصنام ، وسجدت الالهة في المشرق والمغرب .

وهكذا يمضي في وصف قصة حياته الكريمة وما رافقها يوماً فيوماً من الحوادث الكونية الى ان ماتت امه وانتقل الى حاضنته حليمة وما رآته من الآيات والكرامات والبركات مما تعجز عن ادراكه العقول ولا يقع في حدود التصور والخيال في حديث طويل الى ان اتم السنتين عند حاضنته ، فخرج يوماً يتنزه فأرسل الله سبحانه له سحابة تظله من حرارة الشمس وتتناثر فيها المياه حتى تسيل على وجه الارض ولم يصب النبي منها بشيء فتخضر الارض وتعود الحياة الى جميع الاشجار اليابسة وتثمر من جميع الفواكه والثمار ، ويمر على روضة فيها جبل شاهق كالحائط لا يستطيع احد ان يتسلقه ، فيحاول ان يصعد اليه فلم يتمكن ، فيصبح « استحيابل » في الجبل صبيحة ترعشه فيهتز خوفاً منها ، ويقول له : ويحك ايها الجبل ، اطلع محمداً خير المرسلين عليك ، فيفرح الجبل ويتراكم بعضه على بعض ، كما يتراكم الجلد في النار ، فيصعد النبي الى اعلاه ، وتخرج الحيات والعقارب التي تبلغ حجم البغال من تحته ، فيصبح بها الملك بالرجوع حتى لا يراها محمد ، الى غير ذلك من الاساطير التي تشبه اساطير الهنود القدماء والامم الغابرة .

ويكفي هذه الاسطورة عيلاً انها من مرويات الواقدي الذي كان من اقدم المؤلفين في التاريخ والمغازي ، وكانت يجمع كل ما طرق سمعه من القصص والاخبار .

وجاء عنه أنه ترك ستمائة قمطر من كتبه ، ومع أنه كان يعتمد على ذاكرته في جميع مدونهاته ، وقوي الذاكرة لم يكن يحفظ شيئاً من القرآن ، حتى أن المأمون اراده ان يصلي الجمعة بالناس فاعتذر بأنه لا يحفظ سورة الجمعة وألح في اعتذاره ، فلأزمه المأمون شطراً من الليل يلقيه إياها ، فكان كلما حفظ منها جزءاً يلساه عندما يتجه الى الجزء الآخر حتى مل المأمون وأخذ النعاس ، فكلف علياً بن صالح ان يلقيه إياها ، وأخيراً مضى الليل بكامله ولم يصنع شيئاً^(١) .

ومها كان الحال ، ان الله سبحانه اذ يصنع المعجز على يد الانبياء وربما على يد الأولياء ، فبمقدار ما للمعجز من روعة وجلال واكبار واستغراب ، لا بد وان تكون الفائدة منها والاهداف الداعية اليها موضع تقدير واكبار من حيث آثارها وفوائدها ، وبتعبير آخر لا يكون الاعجاز لا سيما اذا كان من الحوادث الكونية ، إلا حيث يرى الله سبحانه ان رسالة رسله لا يمكن ان تتم وتعم الا بذلك ، فلقد تكلم عيسى في المهد وأحصى الموتى وتوالت آياته ومعجزاته ، وانشق البحر لموسى حتى وقف الماء بشكل عمودي ، وكانت عصاه آية من الآيات فوق امكانيات السحرة ، كما تشايحت الآيات والمعجزات لمحمد ﷺ بعد ان بعثه الله نبياً ، كل ذلك لم يكن الا تكميلاً لرسالاتهم وارغاماً للجاحدين والظالمين الذين وقفوا في وجه النبوة وجندوا كل امكانياتهم حتى لا ترتفع راية الحق ولا تعلو كلمة الله على كلمة الشيطان ، اما حيث يكون رسول الغد حملاً أو طفلاً فلا تدعو الحاجة الى شيء من ذلك .

ولقائل ان يقول : ان محمداً أكرم على الله من عيسى وجميع الانبياء ، وقد توالت الكرامات لعيسى من حين ولادته حيث تكلم في المهد واخبر بما سيكون من امره كما نص على ذلك القرآن الكريم .

(١) انظر الجزء الثالث من الكنز للشيخ عباس القمي ص ٢٣١ .

والجواب عن ذلك ان حمل السيدة مريم قد احيط بكثير من الشبه والاتهامات من اليهود وغيرهم حتى اعتقد الناس بها سوء كما تدل على ذلك الآية : « يا اخت هارون ما كان ابوك امراً سوء وما كانت امك بغيّاً » غانطقه الله وأظهر على يده ويد أمه بعض الكرامات لتزكيتها واتثببت نبوته التي جد اليهود في احاطتها بسياج كثيف من الشبه والاتهامات .

ومن الجائز ان تظهر بعض الملامح والحالات التي تبشر بمستقبله الزاهر كالتي ظهرت للنبي منذ طفولته الى ان اختاره الله رسولا ونذيراً بعد أربعين عاماً من ولادته ، والتي كان بسببها محلاً لاحترام الجميع وثقتهم واطمئنانه اليه واعتمادهم على امانته وصدقته في جميع امورهم ومشاكلهم ، أما تلك الفرائب والحوادث الكونية التي رواها الواقدي واختارها البرسي والبحراني وغيرهما من حشوية الشيعة ، والتي تتابعت وتوالى منذ ان كان نطفة الى ان اصبح علفة ومضفة وعظاما يكسوها لحم طري الى ان اطل بوجهه الكريم على هذا العالم وانطلقت أنفاسه في فضاء مكة وبعدها بين احياء العرب حيث كانت حليلة السعدية تتولى حضائته وتربيته كالمذهولة هي وجميع من في حياها .

هذه الكائنات التي ظهرت في السماء والأرض والبحار وفي كهوف الجبال على حد زعم الراوي لو صحت لطبقت بشهرتها مكة وجوارها وكان لها أثرها في اذلال جبابرة المكين والقرشيين وإرغامهم على التصديق بدعوته بيسر وسهولة ، مع العلم بأنهم كانوا من اشد العرب والامم تعصباً وضراوة في وجه دعوته المباركة .

ولم يستطع ان يفرض رسالته عليهم الا بعد ان اكلت الحروب منهم ومن اتباعه وأصبح أقوى منهم عدة وعتادا ، هذا بالإضافة الى ان المؤرخين القدامى لم يتعرضوا لتلك الكائنات ، ولم تتعرض الروايات ولا الآثار الى انه هو أو عمه ابو طالب الذي كان من اشد الناس تحمساً لدعوته ودفاعاً عنها

وعن اتباعه ، لم تتعرض الى انه قد احتج عليهم بشيء من تلك الاحداث
الجسام التي يدعيها البرسي والواقدي من تاريخ حمله وولادته وتربيته ونشأته
ورحلاته المزعومة الى الشام وما رافقها من الغرائب والكائنات مما نقلناه
وتركنا ما هو اعظم منه غرابة وبعداً عن الحق والواقع .

كما وأن ما دونه البحراني في كتابه من الاحداث التي يدعي إقرارها بولادة
الامام وغيره من أئمة الهدى والزهراء (ع) كله من موضوعات القصاصين
واعداء الاسلام الذين لم يستطيعوا ان يثبتوا في وجه الزحف الاسلامي
المتصاعد يوماً بعد يوم ، فدخلوا فيه مرغين وادخلوا معهم هذا اللون من
الغيبيات والغرائب والاساطير ليصنعوا منها منفذاً الى التشكيك به وابرازه
بشكل اسطوري يزيد المتشكك تمقيداً ، وضعفاء الايمان ريباً وتضليلاً .

وبشيء من الایجاز فان كتب البحراني والبرسي وامثالهما ممن جمعوا
الحديث على علاقته ومصائبه قد مكنت اعداء الاسلام من بث سمومهم وزودتهم
بأسلحة الهدم والتخريب والتشويش على الاسلام والتشيع الذي لم يعتمد في جهة
من جهاته على غير المحسوس من سيرة اهل البيت وعلمهم الموروث وتضحياتهم
المتواصلة في سبيل الله وخير الناس اجمعين .

واني اذ اترك معالم الزلفى الى غيرها من كتب الحديث لا لأنني لم أججد
فيها محلاً للتشكيك والريب أكثر مما نقلته عنها ، فان أكثر مروياتها لو
عرضت على اصول علمي الرجال والدراية لا يثبت منها الا القليل في وجه
النقوض والاتهامات الموجهة اليها، وانما اتركها لأقدم في كتابي نماذج في مختلف
المواضيع من الموضوعات في غيرها من مجاميع الحديث .

وفي الوقت ذاته اريد ان يفهم غيرنا ان جميع مؤلفاتنا في الحديث نخضع

للقصد والتجريح حتى الكتب الاربعة ، ولا نصفها بالصحة كما وصف غيرنا ستة من مجاميعهم بالرغم من انها مشحونة بالموضوعات والاساطير .

وجاء في الوافي عن محمد بن الحسين عن الحكم بن مسكين عن اسحاق بن عمار عن رجل عن ابي عبد الله (ع) في تفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان وكان ظلوماً جهولاً » انه قال : الامانة هي ولاية علي بن ابي طالب .

وقد جاء في سند هذه الرواية الحكم بن مسكين ، ولم يتعرض المؤلفون في الرجال لمدمحه أو ذمه غير انه ورد في التعليقة على رجال الميرزا محمد ان بعض المؤلفين في الدراية حاول ان يعمده مع الموثوقين لبعض الاعتبارات التي لا تقني شيئاً ، والظاهر ان محمد بن الحسين الراوي لها عن ابن مسكين هو محمد بن الحسين الصائغ ، وهو من الضعفاء والمتهمين بالغلو ، ومما يؤيد ذلك ان هذا النوع من التفاسير اكثر روايته من الغلاة المتهمين بوضع الأحاديث ، هذا بالإضافة الى ان اسحق بن عمار لم يذكر الرجل الذي رواها عن الامام الصادق بوصفه أو اسمه ، ويكفيها ضعفاً ذلك ، على أن المؤلفين في التفسير لم يتعرض احد منهم لهذا الاحتمال ، والاقرب إلى الاعتبار ان هذا التفسير مأخوذ من كتاب تفسير الباطن لعلي بن حسان ، أو من تفسير علي بن ابراهيم المنسوب إلى العسكري عليه السلام ، ومن المعلوم انه قد احيط بأكثر من الشك والريب عند الشيعة الامامية لانه يعتمد على الباطن في أكثر المناسبات ، هذا بالإضافة إلى أن الرواة الذين نسبوه إلى العسكري عليه السلام لم تتوغل فيهم الشروط المطلوبة بالراوي كما يظهر من المؤلفات في هذا الموضوع .

وروي في الوافي عن علي بن الحكم عن الفضل بن صالح عن جابر الجعفي عن الامام الباقر ان الآية : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم

نجد له عزمًا « انه عهد إلى آدم بولاية محمد والأئمة من ولده ، فترك ولم يكن له عزم على ذلك .

وأضاف الامام إلى ذلك انا نحن أولو العزم لانه عهد اليهم في محمد وأوصيائه والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم على الاقرار به ، وأكد ذلك محمد ابن عيسى القمي ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله بن سنان ، وقالوا ان الامام الصادق اقسم بأن الآية نزلت على محمد بالصيغة التالية :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنتسي » .

وقد جاء في سند هذه الرواية المفضل بن صالح ، واتفق المؤلفون في احوال الرواة انه كان كذاباً ، يضع الاحاديث ، ولم يرد عن احد منهم ما يشعر بجواز الاعتماد على مروياته ، كما ورد في سندها محمد بن سليمان ، وسواء كان ابن عبد الله الديلمي أو بن زكريا الديلمي فهما من المتهمين بالكذب لا يعول على مروياتهما على حد تعبير المؤلفين في الرجال .

ومع التفاضي عن جميع ذلك ، فإن آدم من الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته ، ومع ذلك فكيف يضح عليه ان يخالف عهد الله ولا يعزم عليه كما تنص هذه الرواية .

وروي عن علي بن محمد عن بعض أصحابنا كما جاء في سند الرواية عن السراد عن محمد بن المفضل عن ابي الحسن الماضي انه قال في تفسير قوله تعالى : « يريدون أن يعطفوا نور الله بأفواههم » يريدون أن يطفئوا ولاية علي بن أبي طالب والله متم نوره ، أي متم امامة علي .

وأضاف إلى ذلك أن الآية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » نزلت في علي عليه السلام وان الهدى ودين الحق هما ولاية علي بعد رسول الله ،

« والله متم نوره ولو كره الكافرون » أي متم بولاية علي عليه السلام .

ومضى الراوي يقول : وان الآية : « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله » تعني انهم اذا قيل لهم ارجعوا الى ولاية علي يستغفر لكم رسول الله «لوا رؤسهم واستكبروا » عن ولايته ، وان الآية : « فمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » قد ضربها الله مثلاً لمن حاد عن ولاية علي أمير المؤمنين ، فهو يمشي مكباً على وجهه لا يهتدي لأمره ، ومن يتبع علياً يمشي على الصراط مستقيم وهو نفسه الصراط المستقيم ، وان قوله تعالى « انه لقول رسول كريم » أي أن ولاية علي هي قول جبرائيل « وما هو بقول شاعر قليل ما يؤمنون » تشير الى ان المنافقين قالوا بان محمداً قد كذب على ربه في استخلاف علي من بعده .

قال السائل فما المراد من قوله : « انا لما سمعنا الهدى آمنا به » ، قال : الهدى هو الولاية ، ومن آمن بها لا يخاف بخساً ولا رهقاً .

ومضى الراوي في حديثه المزعوم عن الامام موسى بن جعفر يطبق عشرات الآيات على ولاية علي حتى انتهى إلى الآية : « يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » ، فقال الامام : النذر هو ولاية علي بن ابي طالب ، وأضاف يقول : ان المراد بالمصلين في الآية لم تكن من المصلين ، أي من أتباع علي أمير المؤمنين إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فسرهما الامام على حد زعم الراوي بولاية أمير المؤمنين ، في حين أن ظواهرها لا تشير إلى هذه التفسيرات ولو من بعيد ، ولو كان الرواة لهذه الرواية من الموثوقين المعروفين بالصدق والامانة لم يكن لنا بد من التصديق والاذعان ، لان الأئمة أعرف بظاهر القرآن وباطنه وأسباب نزوله وعامه وخاصه من جميع الناس ، ولكن لا سبيل لنا إلى ذلك بعد أن كانت هذه التفسيرات من الغرائب والروايات لها من غير الموثوقين في أقوالهم وأفعالهم ، فان الراوي لها عن الامام موسى

ابن جعفر محمد بن الفضل الأزدي الصيرفي متهم بالغلو ومعدودين ضعفاء الرواة ، وكان معاصراً لأبي الحسن الرضا ويروي عنه وعن أبيه الامام موسى ابن جعفر عليه السلام .^(١)

وروي عن سلمة بن الخطاب عن الحسين بن عبد الرحمن عن علي أبي بصير عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » انه قال من أعرض عن ولاية علي يحشر يوم القيامة أعمى القلب والبصر عن الولاية ، وأضاف إلى ذلك الامام على حد زعم الراوي ان من أعرض عن الولاية يبقى متحيراً يوم القيامة فيقول لربه : « لمّ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً » فيأتيه الجواب لانك نسيت آياتنا وهم الأئمة وكذلك اليوم تنسى وتترك في نار جهنم كما تركت الأئمة واتبعتم غيرهم ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، أي ان من اشرك بولاية امير المؤمنين وترك الأئمة ولم يتبع آثارهم ، ومن كان يريد حرث الآخرة ، أي معرفة امير المؤمنين والأئمة نزد له منها اي يستوفي نصيبه من دولتهم ، ومن كان يريد حرث الدنيا فؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ، أي ليس له نصيب من دولة الحق عند ظهور القائم عليه السلام .

وجاء في سند هذه الرواية سلمة بن الخطاب ، والظاهر اتفاق المؤلفين في احوال الرجال على ضعفه وعدم جواز الاعتماد على مروياته ، إلا إذا اقترنت ببعض القرائن التي ترجح صدورها عن الامام عليه السلام ، وقد رواها عن الحسين ابن عبد الرحمن ، ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، وأما الراوي الأخير

(١) انظر رجال المرزا محمد والاتقان للشيخ محمد طه .

لما عن الامام وهو علي أبو بصير على حد زعم سلمة بن الخطاب ، فهو من
المجهولين الذين لم تتعرض لهم كتب الرجال .

والذين يكتنون بأبي بصير أربعة لا غير ، أبو بصير عبد الله بن محمد
الأسدي ، وأبو بصير علباء بن دارع ، وأبو بصير ليث بن البخثري ، وأبو
بصير يحيى بن أبي القاسم ، وكلهم من المتهمين ، وأفضلهم كما يبدو من كتب
الرجال أبو بصير ليث بن البخثري ، حيث وثقه جماعة ، وطعن فيه آخرون
ونسبوا اليه ما يشعر بفساد عقيدته .

وجاء عن ابن أبي يعفور انه قال له : حج بمالك فأنت ذو مال كثير ،
فقال له أبو بصير : اسكت ، والله لو كانت الدنيا وقفا لصاحبك لاشتغل
عليها بردائه ، يعرض بالامام عليه السلام (١) .

وروي في باب ان الجن تأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم عن محمد بن علي
عن يحيى بن مساور عن سعد الاسكاف انه قال : أتيت أبا جعفر عليه السلام في
بعض ما أتيته فجعل يقول : لا تعجل ، حتى حميت الشمس علي وجعلت اتبع
الافياء ، فما لبث ان خرج علي قوم كأنهم الجراد الصفر قد انهكتهم العبادة ،
فوالله لانساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم ، فلما دخلت عليه قال لي :
أراني قد شققت عليك ، قلت : أجل ، والله لقد انساني ما كنت فيه . قوم
مروا بي لم أر قوماً أحسن هيئة منهم في زي رجل واحد ، كأن ألوانهم
الجراد الصفر قد انهكتهم العبادة ، فقال : يا سعد رأيتهم ؟ قلت نعم ، قال :
أولئك اخوانك من الجن ، فقلت يأتونك ، قال : نعم ، يأتونا يسألون عن
معالم دينهم وحلالهم وحرامهم .

(١) انظر رجال المرزا محمد حرف اللام في ترجمته ، وانظر ترجمة الاسدي في رجال الكشي

وهذه الرواية رواها يحيى بن مساور عن سعد الاسكاف ، أما يحيى فهو مجهول الحال ولم اجد من تعرض له بمدح أو قدح ، وأما سعد الاسكاف فهو من المتهمين ، وقيل بأنه كان ناووسيا من اتباع عجلان بن ناووس ، وقد جاء عن الامام الصادق ما يشعر بمدحه ، فـ قيل انه قال له حينما تولى القضاء للعباسيين : أحب ان يكون في كل ثلاثين ذراعاً قاضٍ مثلك .

وعلى أي الأحوال فإن الذين تحدثوا عنه لم يخرجوا بنتيجة ايجابية توجب الوثوق به والاطمئنان الى حديثه ، وبخاصة اذا تعلقت احاديثه بالامور الغيبية .

وروي عن محمد بن الحسن عن ابراهيم بن هاشم عن عمر بن عثمان عن ابراهيم بن ايوب وعمر بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: بينما أمير المؤمنين على المنبر اذ اقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد فهم الناس ان يقتلوه ، فأمرهم أمير المؤمنين ان يكفوا عنه ، فأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى الى المنبر فتطاول وسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فأشار عليه أمير المؤمنين ان يقف حتى ينتهي من خطبته ، فلما فرغ منها أقبل عليه وقال له : من أنت ، قال : أنا عمر بن عثمان خليفتك على الجن ، وان أبي مات وأوصاني أن آتيك وأستطلع رأيك ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى ، فقال أمير المؤمنين : أوصيك بتقوى الله وان تنصرف فتقوم مقام ابيك في الجن فانك خليفتي عليهم ، فودعه وانصرف ، فقلت : جعلت فداك فيأتيك عمر وذاك واجب عليه؟ قال نعم .

ورواها في الكافي بنفس السند، والذي رواها عن جابر هو عمرو بن شمر، وجاء في كتب الرجال عنه انه كان يضع الاحاديث في كتب جابر وينسبها اليه ، ونص النجاشي على انه ضعيف جدا ، وجاء في الخلاصة للعلامة انه لا يعتمد على شيء من مروياته ، هذا بالاضافة الى ان جابر الجعفي من المتهمين

عند أكثر المؤلفين في الرجال كما ذكرنا من قبل ، أما ابراهيم بن ايوب الذي رواها عن عمرو بن شمر فلم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، والذي رواها عنه لم يتعرض احد له بمدح أو قدح ، والظاهر ان الراوي لها عن ابراهيم بن هاشم محمد بن الحسن بن شمعون ، وهو من الغلاة المعروفين بالكذب ووضع الاحاديث .

وروي أيضاً عن محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن رجل عن حد تعبير الراوي عن محمد بن جعفر عن حكيمه انها قالت: رأيت الامام الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب وهو يناجي ولست أرى احداً ، فقلت ياسيدي لمن تناجي ، فقال : هذا عامر الزهراني أفأني يسألني ويشكو إلي ، فقلت احب ان اسمعه ، فقال لي : انك ان سمعته حمت سنة كاملة ، فقلت احب ان اسمعه ، فقال لي: اسمعي، فسمعت شبه الصغير وركبتي الحمى سنة كاملة .

ورواها في الكافي بنفس السند أيضاً ، والظاهر ان محمد بن الحسن الراوي لها عن سهل بن زياد هو ابن شمعون وهو من الوضعيين كما ذكرنا من قبل ، وأما الحسن بن سهل بن زياد ، فقد جاء عنه أنه كان ضعيفاً جداً ، فاسد الرواية والمذهب يروي المراسيل ويعتمد المجاهيل، وقد أخرجه احمد بن محمد بن عيسى ابن قم واطهر البراءة منه ونهى عن الاستماع اليه والرواية عنه^(١) وأما محمد بن جعفر الراوي لها عن حكيمه فلم يرد له ذكر في كتب الرجال وجميع ما ورد في الوافي والكافي وغيرها حول هذا الموضوع لا تجد رواية منه تطمئن النفس الى احد من رواها .

وروي في الوافي عن احمد بن محمد الكوفي عن حنان بن سدير الصيرفي عن أبيه سدير الصيرفي عن أبي اسحاق الليثي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال

(١) انظر رجال الشيخ محمد ص ٢٩٨ .

له : اخبرني عن المؤمن من شيعة أمير المؤمنين اذا بلغ وكمل في المعرفة هل يزني ويلوط ويشرب الخمر ويذنب ؟ فكثير تعجبي من ذلك وقلت : يا ابن رسول الله ، اني اجد من شيعة أمير المؤمنين ومواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون بالصلاة والزكاة وجميع الواجبات ، وإذا جاءه المؤمن في حاجة يسيرة لا يقضيها له ، فتبسم الامام عليه السلام وقال : يا ابن اسحاق ، هل عندك شيء غير هذا ، قلت نعم يا ابن رسول الله : واني اجد الناصب الذي لا اشك في كفره يتورع عن هذه الاشياء ولا يستحل درهما لمسلم ويقوم بمحوائج المسلمين لله تعالى ، فقال عليه السلام : لهذا الأمر سر باطن مكنون وباب مغلق مخزون قد خفي عليك وعلى كثير من أمثالك ، وان الله سبحانه لم يأذن ان يخرج سره وغيبه إلا من يحتمله .

ومضى الامام عليه السلام على حد زعم الراوي يصف عليهم وصعوبة تحمله واخطار اذاعته ، وما يترتب على ذلك من المفساد والمشاكل ، ثم تلا هذه الآية : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، وأضاف الى ذلك ان اعمال الناصب تذهب هباء منثوراً ، وتلا قوله تعالى : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » وقال ان الله يقول : « عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين أنية » وبعد ان تحدث عن النواصب وموقفهم من ولاية علي عليه السلام قال : ان الله يقول : « ان تجتنبوا كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض » وأضاف الى ذلك ان الله خلق أرضاً طيبة طاهرة وفجر فيها ماء عذبة زلالاً فرائاً فرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ، ثم نقب عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين فجعله طين الأئمة ، ثم أخذ جل جلاله ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا

وعحبينا من فضل طيلتنا ، فلو ترك طيلتكم كما ترك طيلتنا لكنتم انتم ونحن سواء ، قلت يا ابن رسول الله ما صنع بطيلتنا قال ﷺ خلق الله أرضاً سبخة خبيثة منلثة وفجر منها ماء اجاجاً مالحاً آسناً ، ثم عرض عليها ولاية امير المؤمنين فلم تقبلها ، وأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ، ثم نضب عنها فأخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث فخلق منه أئمة الكفر والطفاة والفجرة ، ثم عمد الى بقية ذلك الطين ومزجه بطيلتكم ، ولو ترك ذلك الطين ولم يمزجه بطيلتكم ما عملوا ابدأ عملاً صالحاً ، ولا تشهدوا الشهادتين ، ولا أدوا الى أحد أمانته ، ولا فعلوا شيئاً من الواجبات ، ولا اجتنبوا شيئاً من المحرمات ، ثم مزج الطيلتين بالماء الاول والثاني ، فما تراه من شيعةنا وعحبينا من زنا ولواط وخيانة وشرب للخمر وترك للصلاة وبقية الواجبات ، فهي كلها من عدونا للناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطيلته ، وما تراه من الناصب من الزهد والعبادة والمواظبة على أعمال الخير والواجبات ، فذلك كله من طينة المؤمن ، فاذا عرضت الاعمال على الله سبحانه يقول الله عز وجل : انا عدل لا أجور ومنصف لا اظلم ، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا اظلم مؤمناً بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطينته ، هذه الاعمال الصالحات كلها من طينة المؤمن ، والاعمال الرديئة التي أتى بها المؤمن تلحق الناصب لانها من طينته ، وكل شيء يرجع الى أصله وجوهره ، ثم تلا قوله تعالى : « معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » ، ومضى الامام كما يزعم الراوي يقرب هذا المعنى ويستدل عليه بآيات من القرآن في حديث طويل لا يعنينا منه اكثر من هذا المقدار ، ورواه في الكافي أيضاً بهذا النص .

وهذه الرواية تخالف نصوص القرآن الكريم الذي حمل كل انسان سيئات أعماله ، وفي الوقت ذاته تدل على ان جميع ما يأتيه الانسان من خير أو شر

انما من لوازم الطينة التي خلق منها وليس له اختيار في شيء من اموره ، هذا
بالاضافة الى ان الرواة بين مجهول الحال وبين متهم في عقيدته والكذب على
الأئمة عليهم السلام .

وروي عن الحسن بن موسى عن احمد بن عمر عن يحيى بن ابان عن شهاب
أنه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله هذا
الخلق لم يلم احد احداً ، فقلت : اصلحك الله ، وكيف ذلك ، قال : ان
الله تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة واربعين جزءاً ، ثم جعل الاجزاء اعشاراً ،
فجعل كل جزء تسعة اعشار ، ثم قسمه بين الخلق ، فجعل في رجل عشر
جزء وفي آخر عشر جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً ، وفي آخر جزء وعشر جزء ،
وفي آخر جزء وعشرين جزءاً ، وفي آخر جزء وثلاثة اعشار الجزء حتى بلغ
به جزأين تامين ، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأربعهم تسعة واربعين جزءاً ، فمن
لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر ان يكون مثل صاحب العشرين ، وكذلك
صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة اعشار ، وكذلك من تم له
جزء لا يقدر ان يكون مثل صاحب الجزأين ، واطاف الى ذلك : لو علم
الناس ان الله تعالى خلق هذا الخلق على هذا لم يلم احد احداً .

وهذه الرواية ترفع عن الانسان مسؤولية اعماله لانه يصبح مسيراً لتلك
الاجزاء التي اودعها الله فيه ، وكما لا يجوز لاحد ان يلوم احداً على سوء تصرفاته
لا يصح من الله وهو العادل الرؤوف الرحيم الذي لا يجوز ولا يظلم احداً ان
يحاسب ويعاقب ما دام الانسان مرتبطاً بما اودع الله فيه من الاجزاء واعشار
الاجزاء وليس بإمكانه ان يتخطاها ، هذا بالإضافة الى انها تدعو الى اليأس
والركود وعدم التطلع الى الافضل .

على ان الرواة لهذا الحديث بين من هو مجهول الحال ، وبين من هو متهم
في دينه وعقيدته .

وجاء عن شهاب الراوي لها عن الامام عليه السلام ان الامام الصادق قال فيه:
واما شهاب فهو شر من الميتة والدم ولحم الخنزير ، وقيل انه كان ناووسيا
يقول : بامامة عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام ، وقد حاول بعضهم الدفاع
عنه ، ولكنه لم يخرج بالنتيجة تطمئن اليها النفس .

وروي عن الحسن بن شيمون عن الأصم عن عبد الله بن القاسم البطل عن
ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال في تفسير الآية : « وقصينا الى بني
اسرائيل لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً » انها تعني قتل أمير
المؤمنين وطعن الحسن بن علي (ع) وقتل الحسين ، وان قوله تعالى : « فاذا
جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار
وكان وعداً مفعولاً » ، تعني ان الله سيبعث قوماً قبل خروج القائم فلا
يدعون واتراً لآل محمد إلا قتلوه ثم يخرج القائم عليه السلام ، وان قوله : « ثم رددنا
لكم الكرة عليهم » ، تعني خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه فلا
يشك احد فيه ويكون الحجة محمد بن الحسن خلفهم فاذا استقرت المعرفة
في قلوب المؤمنين انه الحسين جاءه الموت فيغسله الحسين ويلبسه في حضرته
لان الوحي لا يلي امره إلا وحي مثله .

والرواية لهذه الرواية كلهم من المنحرفين عن التشيع الصحيح ومن
الوضاعين كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرواة .

وروي عن صالح بن ابي حماد عن الوشا عن كرام عن عبد الله بن طلحة
انه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ فقال: رجس وهو مسخ كله ،
فاذا قتلته فاغتسل ، ثم قال : كان ابي في الحجر ومعه رجل يحدثه فاذا هو
بوزغ يولول بلسانه ، فقال ابي للرجل : ما يقول هذا الوزغ ، فقال : لا علم
لي بما يقول ، فقال ابي : انه يقول : والله لئن شتمت عثمان لأشتمن علياً حتى
تقوم من هنا ، وأضاف الى ذلك أبي انه ليس يموت من بني أمية ميت إلا

ويعسخ وزغاً ، ان عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً وذهب من بين ولده وحاشيته وكانوا حوله ، فلما فقدوه عظم ذلك عليهم ولم يدروا ما يصنعون ، ثم اجتمع امرهم على ان يأخذوا جذعاً فيضعونه كهيئة الرجل ففعلوا ذلك ثم ألبسوا الجذع درعاً من حديد وألبسوه الأكفان ودفنوه ولم يطلع على ذلك إلا أنا وولده .

وبلا شك فان هذه الرواية من الموضوعات لان الامام الصادق ارفع شأنه وأعلى مقاماً من أن يستمع لمثل هذه الاساطير ويحدث بها، على أن الرواة لهذه الرواية بين مجهول الحال، وبين متهم بالكذب كصالح بن حماد، وبين من انكر امامة موسى بن جعفر ووقف على الامام الصادق وهو كرام بن عمر ، وأما عبد الله بن طلحة الراوي لها عن الامام الصادق عليه السلام فلم اجد له ذكراً في كتب الرجال (١) .

وجاء في الكافي عن احمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن الخبيري عن يونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وابي سلمة السراج ، والحسين بن ثوار بن ابي فاخنة انهم قالوا : كنا عند ابي عبد الله الصادق فقال : عندنا خزائن الارض ومفاتيحها ، ولو شئت ان اقول باحدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت ، ثم ضربها باحدى رجليه فخطها في الأرض خطأ فانقرجت الأرض ، ثم مد يده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر ، وقال : انظروا حسناً فنظرنا فإذا سبائك الذهب بعضها فوق بعض ، فقال له بعضنا : جعلت فداك اعطيتم ما اعطيتم وشيعتكم محتاجون ، فقال : ان الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم .

وقد اشارك في هذه الرواية أربعة من المتهمين بالكذب والغلو الخبيري بن

(١) انظر الكشي ورجال المرزا محمد وغيرهما .

علي الطحان ، فلقد جاء في منهج المقال عنه انه ضعيف في مذهبه ، وقال عنه جماعة ان في مذهبه ارتفاعاً ، يعنون بذلك الغلو ، وعمر بن عبد العزيز ، فلقد وصفه الشيخ محمد طه في رجاله بأنه كان غلطاً ، وجاء عن الفضل بن شاذان انه يروي الغرائب والمناكير ، واما المفضل بن عمر ويونس بن ظبيان فحافظهما معروف ويكفيهما ما جاء عن الامام الصادق في ذمهما والتحذير منها ولعنهما .

وجاء عنه انه قال : لعن الله يونس بن ظبيان الف لعنة تتبعها الف لعنة .

ومن الجائز على الامام عليه السلام ان يصنع أكثر من ذلك بقدره الله سبحانه ولكن وجود هؤلاء في سند رواية من هذا النوع يضعها في قفص الاتهام .

ومن الموضوعات ما جاء في الكافي عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن الياس الحريشي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : بينا ابي جالس وعنده نفر اذ استضحك حتى اغرورقت عيناه دموعاً ، ثم قال : اقدرون ما أضحكني ، فقالوا لا يا ابن رسول الله ، فقال : زعم ابن عباس انه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فقلت له : هل رأيت الملائكة يا ابن عباس تخبرك بولايتها لك في الدنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحزني فقال : ان الله يقول : إنما المؤمنون اخوة ، وقد دخل في هذا جميع الأمة فاستضحكت ، ثم قلت صدقت يا ابن عباس : انشدك الله ، هل في حكم الله جل ذكره اختلاف ، فقال لا ، فقلت : ما ترى في رجل ، ضرب رجل اصابعه بالسيف حتى سقطت ، ثم ذهب وأتى آخر فأطار كفه ، فأتى به اليك وأنت قاضي ، كيف أنت صانع ، قال : أقول لهذا القاطع اعطه دية كفه ، وأقول لهذا المقطوع صالحه على ما شئت ، قلت : جاء الاختلاف في حكم الله ونقضت القول الاول ، ابي الله ان يحدث في خلقه شيئاً من الحدود ليس له تفسير في الأرض ، اقطع قاطع الكف اصلاً ، ثم اعطه دية الاصابع ، هكذا حكم الله

ليلة تنزل فيها امره ، ان جحدتها بعد ما سمعتها من رسول الله فأدخلك الله النار كما أحمى بصرك يوم جحدتها على ابن ابي طالب ، قال : فلذلك عمي بصري ، قال : وما علمك بذلك ، فوالله ان عمي بصره إلا من صفقة جناح الملك ، قال : فاستضحكت ثم تركته يومه ذاك لسخافة عقله ، ثم لقيته فقلت : يا ابن عباس ، ما تكلمت بصدق مثل امس ، قال لك علي بن ابي طالب ان ليلة القدر في كل سنة وانه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وان لذلك الأمر ولادة بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : من هم ؟ فقال : أنا وأحد عشر من صلي أئمة محدثون ، فقلت : لا أراها كانت إلا مع رسول الله ﷺ فتبدي لك الملك الذي يحدثه ، فقال كذبت يا عبد الله ، رأيت عيناى الذي حدثك به علي ولم تره عيناه ولكن وعى قلبه ووقر في سمعه ، ثم صفحك يحنأه فعميت ، فقال ابن عباس ما اختلفنا في شيء فحكاه الى الله ، فقلت : فهل حكم الله في حكم من حكمه بأمرين ؟ قال لا ، فقلت هلكت واهلكت .

وقد عد التستري في كتابه الأخبار الدخيلة هذه الرواية من الموضوعات ، وعلق عليها بما حاصله ان عبد الله بن العباس كان من صفوة الموالين لأهل البيت .

والرواية تشير الى خلاف ذلك كما يبدو من قوله في جواب علي بن الحسين : لا أراها كانت إلا مع رسول الله ، بالإضافة الى ما جاء في صدرها ، على أن الذي يظهر من الرواية ان هذا الجدل بين الامام الباقر عليه السلام وعبد الله بن العباس كان في حال امامته ، ومن المعلوم ان الامامة قد انتقلت الى الباقر سنة ٩٥ بعد وفاة ابيه علي بن الحسين ، وذلك بعد وفاة عبد الله بن العباس بسبعة وعشرين عاماً حيث كانت وفاته سنة ٦٨ ، ويومها كان الامام الباقر في حدود العاشرة من عمره .

ومضى التستري يقول : ان الحديث ينص على ان عبد الله بن العباس قد

فقد بصره بعد ان صفعه جبرائيل يحنأه لانه خالف امير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن ليلة القدر ، مع أن بعض النصوص التاريخية تؤكد أن ذهاب بصره كان لبكائه على بني عمومته علي والحسين ، واستطرد يقول : فلماذا أعماه جبرائيل وهو المدافع والحامي عن علي وبنيه ، ولم يضرب معاوية وغيره من المبغضين لعلي يحنأه .

والذي يجب التنبيه عليه ان الحديث المذكور مع قطع النظر عن كل هذه الملابسات يكتنفه الغموض وعدم الانسجام والاضطراب بنحو لا يشبه كلام الأئمة ، ورواته من المتهمين بالفساد والكذب على الأئمة ، وجاء في سهل بن زياد انه من الغلاة الكذابين ، وقد اخرج الأشعري من مدينة قم لهذه الغاية ووصفه ابن شاذان بالحق ، وأما الحسن بن العباس الحريشي فقد جاء عنه في كتب الرجال انه ضعيف جداً ، له كتاب انا انزلناه في ليلة القدر ، ردي الحديث مضطرب الألفاظ كما ذكرنا من قبل ، وجاء في الخلاصة عن ابن الغضائري ان كتابه فاسد الالفاظ تشهد غايته على انه من الموضوعات ، وأضاف ان هذا الرجل لا يلتفت اليه ولا يكتب حديثه .

وروي الكليني تسعة احاديث بهذا السند ، وكلها بالاضافة الى ضعف سندها مضطربة الألفاظ يكتنفها الغموض والتشويش البعيدين عن منطق الأئمة (ع) منها حديث طويل يعرض فيه حواراً دار بين الامام الباقر والياس الذي اشار الله اليه في القرآن الكريم حول ليلة القدر ، وان الله ينزل فيها على الأوصياء كما كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وبكفي هذه الروايات عيباً ان سندها قد اشتمل على الحسن بن العباس بن الحريشي وسهل بن زياد.

وروي في الكافي والوافي عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن ابي سعيد الخراساني عن ابي عبد الله عليه السلام ان الامام الباقر قال : ان القائم اذا قام بمكة واراد ان يتوجه الى الكوفة نادى مناديه ألا لا يحمل

احد منكم طعاماً ولا شرباً، ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقر بعير ، فلا ينزل منزلاً إلا انبعثت منه عين، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظامئاً روي فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة .

وقد ورد في سند هذه الرواية عبد الله بن القاسم البطل ومحمد بن الحسين الصائغ وموسى بن سعدان، وكلهم من المتهمين الذين لا يعتمد بمروياتهم كما ذكرنا من قبل ، وأما الراوي الأخير لها عن الامام الصادق عليه السلام فهو من المجهولين كما نص على ذلك المرزا محمد في رجاله .

وجاء في الكافي عن عبد الله بن محمد عن متبع عن الحجاج البصري عن مجاشع عن معلى عن محمد بن الفيض عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : كانت عصا موسى لأدم فصارت لشعيب ، ثم صارت لموسى بن عمران ، وانها لعندنا واني عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيتها حين انتزعت من شجرتها ، وانها لتنطق اذا استنطقت ، ، اعدت لقائنا يصنع بها ما كان يصنع موسى وانها لتروع وتلقف ما يأفكون ، وتصنع ما تؤمر به ، يفتح لها شفتان احدهما في الأرض والاخرى في السقف وبينهما اربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها .

والرواة لهذه الرواية ما بين متهم بالغلو ووضع الأحاديث ، وبين مجهول الحال كما يبدو ذلك في كتب الرجال واحوال الرواة .

وروي في الكافي والوافي عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابراهيم ابن اسحاق الاحمر عن عبد الله بن حماد عن سيف التمار انه قال : كنا عند ابي عبد الله الصادق جماعة في الحجر ، فقال علينا عين ، فالتفتنا بینه وبسرة فلم نجد أحداً ، فقلنا ليس علينا عين ، فقال ورب الكعبة ورب هذه البلية ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتني اني اعلم منها ولأتيتهما بما ليس في ايديها ، لأن موسى والخضر اعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما

يكون وما هو كائن حق تقوم الساعة وقد ورثناه عن رسول الله ﷺ .

لقد نصت هذه الرواية على ان النبي عنده بالاضافة الى علم ما كان ، علم ما هو كائن وما سيكون ، وقد ورثه للأئمة الأطهار ، ومعنى ذلك ان الله سبحانه لم يستأثر بشيء وعلمه بكامله قد انتقل للنبي والأئمة ، وهو مخالف لنصوص القرآن .

وجاء في بعض الروايات عن النبي انه كان يقول لأصحابه : ما لي ولكم تسألوني عما لا أعلم وانما أنا عبد لله لا علم لي إلا ما علمني ربي .

وقال لهم مرة : أنا أعلم بأمور دينكم وأنتم أعلم بأمور دنياكم ، الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تنص على انه لم يدع لنفسه علم ما كان وما سيكون كما تنص هذه الرواية .

على أن ابراهيم بن اسحاق الاحمر الراوي لها عن عبد الله بن حماد ، قد وصفه المؤلفون في الرجال بالضعف ، وقال عنه ابن الغضائري : في مذهبه ارتفاع ، وجاء في الفهرست انه ضعيف في حديثه ومتمم في دينه ، كما نصوا على ان عبد الله بن حماد الراوي لها عن سيف التمار لا يجوز الاعتماد على حديثه اذا لم يكن مدعوماً ببعض القرائن التي ترجح صدوره ، واما سيف التمار الراوي لها عن الامام فهو مشترك بين الضعيف والموثق (١) .

وجاء في رواية اخرى عن محمد بن سنان ويونس بن يعقوب والحارث بن المغيرة ، وعبد الله بن بشير الحثعمي ان الامام الصادق عليه السلام كان يقول : اني لأعلم ما في السموات والأرض ، وأعلم ما في الجنة والنار ، وأعلم ما كان وما

(١) انظر رجال الشيخ محمد طه ص ٣١٢ و ص ٢٥٥ ورجال المرزا محمد وغيره من كتب الرجال .

سيكون ، ويضيف الى ذلك انه كان يعلم كل ذلك من كتاب الله لأن فيه
تبيان كل شيء .

والذي نعتقده ونؤمن به ايماناً راسخاً لا يتزعزع ان الأنمة يعلمون ما لا
يعلمه غيرهم من اي كان من الناس ، وانهم ورثوا عن رسول الله الكثير والكثير
مما اوحى اليه من الكائنات والغيبيات ، وليس من الضروري ان نؤمن بأن
القرآن قد اشتمل على جميع ما في السموات والجنة والنار وما كان وسيكون
الى يوم القيامة ، ولم يشتمل على أي نقص على ان فيه قبيانا لكل شيء مما
كان وسيكون الى يوم الدين .

على ان الرواة لهذه الرواية لم تتوفر فيهم الشروط المطلوبة الراوي
والرواية ، فهم ما بين مجهول الحال وبين من هو متهم في عقيدته ومروياته
كما يبدو ذلك للمتتبع في احوال الرواة .

وروى الشيخان في الكافي والوافي مجموعة من المرويات التي تصف
الامام عليه السلام وهو حمل في بطن امه منذ الأيام الاولى الى وقت ولادته ، وانه
يسمع الكلام بعد مضي اربعين يوماً على حمله ، وانه يولد على راحتيه رافعاً
صوته بالتكبير والتهليل ويرى من خلفه كما يرى من امامه ولا يجنب ولا
يتشاءب ولا يتمطى ، ولخروجه رائحة كرائحة المسك تبتلعها الأرض ، واذا
لبس درع رسول الله كانت عليه وفقاً ، واذا لبسها غيره من الناس طوي لهم
وقصيرم زادت عليه شبراً الى غير ذلك من الصفات التي لا ترفع من شأن
الامام ، ولا يضره عديمها .

وجميع المرويات حول هذا الموضوع لا تكاد تجد رواية منه يخلو سندها
عن كذاب أو منحرف عن التشيع الصحيح ، كما يبدو ذلك للمتتبع في احوال
الرواة ، ومن المعلوم ان مجرد ذلك لا يثبت كون الرواية من الموضوعات
لجواز ان يصدق غير العادل ومن لا يتورع عن الكذب ، ولكن التدوين بها

والأخذ بمضمونها لا تقره اصول علم الدراية ما لم تقترن بشاهد يرجح صدورها عن الامام عليه السلام كما ذكرنا ، وليس في المرويات الصحيحة والنصوص القرآنية واصول الاسلام والتشيع ما يصلح لأداء هذه المهمة .

وروى ابن بابويه القمي في كتابه اكمال الدين واتمام النعمة في خلال حديثه عن اجتماع بالامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام حديثاً طويلاً عن محمد بن علي بن محمد بن حاتم النوفلي المعروف بالكرماني عن جماعة من الرواة ، منهم محمد بن بحر الشيباني انه قال : حدثني احمد بن مسرور عن سعد بن عبد الله القمي ، وجاء في الحديث بعد ان وصف المراحل التي مر بها حتى دخل دار ابي محمد الحسن العسكري فوجد الحجة المنتظر جالساً على ركبتى ابيه وهو غلام صغير يلعب في رمانة ذهبية مرصعة بالجواهرات تلمع نقوشها ، فأظهر الله على يده من الكرامات والفيدييات وهو يلهو ويلعب ويقبض على يد ابيه كلما اراد ان يكتب شيئاً ما يبهز العقول .

وجاء في الرواية انه سأل عن بعض الأشياء التي كان قد استعصى فهمها عليه ، ومنها قوله تعالى : « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى » واستطرد السائل يقول : ان فقهاء الفريقين يدعون بأنها كانت من اصاب الميتة ، فقال الامام عليه السلام ان ذلك لا يليق بنبي كموسى ، ولا يصح عليه ان يلبس من حيوان ميت ، وتأويلها ان موسى ناجى ربه بالوادي المقدس وقال له اني قد أخلصت لك المحبة ، وغسلت قلبي عن سواك ، فقال الله تعالى : اخلع نعليك ، أي انزع حب اهلك من قلبك ان كنت صادقاً في محبتك لي .

وأضاف الى ذلك الراوي انه قال له : فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل « كهيعص » ، فقال الامام عليه السلام على حد زعم الراوي : هذه الحروف من انباء الغيب اطلع الله عليها عبده زكريا ، ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله وذلك ان زكريا سأل ربه ان يعلمه اسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرائيل فعلمه اياها ،

فكان زكريا اذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سري عنه همه ، والمجلى كربه ، واذا ذكر الحسين خنفته العبدة ووقعت عليه البهرة ، فقال ذات يوم : يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعمائة منهم تسليت بأسمائهم عن همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ، فأنبأ تعالى عن قصته ، وقال : « كهيص » الكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد بن معاوية ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره ، فلما سمع ذلك زكريا اعتكف في مسجده واقبل على البكاء والنحيب ، وكانت نديته : إلهي اتق جمع خير خلقك بولده ، اتزل هذه الرزية بفنائها ، إلهي اتلبس ثياب هذه المصيبة علياً وفاطمة .

رجاء في الرواية انه سأل الله أن يرزقه ولداً ويحببه الى قلبه ويفجعه به كما فجع محمداً بولده الحسين ، فرزقه الله يحيى وفجعه به ، الى غير ذلك مما اشتملت عليه هذه الرواية من الغرائب التي يحب الوقوف عندها وان كان ما نقلناه منها ليس بأقل غرابة مما أھلنا ذكره .

فلقد جاء في بعض المرويات الصحيحة ان الله سبحانه انما امره بأن يخلق نعليه لأنها كانت من جلد حمار ميت وهذا لا يتنافى مع مقامه ، والشيء الغريب الذي لا يقره العقل ولا تساعد عليه النصوص الصحيحة ، ان يأمره الله سبحانه بأن ينزع حب أهله من قلبه ، مع ان ذلك لا يزاحم حبه لله واخلاصه له ، مع العلم بأن التعبير عن النملين بحب الأهل من أسوأ أنواع التجوز الذي لا يجوز اشتغال القرآن عليه ، هذا بالاضافة الى ان الله سبحانه قد امر بتعظيم الوالدين والاحسان إليهما في أكثر من آية في كتابه .

وأما التفسير الذي اشتملت عليه الرواية لكهيص فتنافيه الأخبار الكثيرة التي وردت في تفسير هذه الحروف ، فقد جاء في بعضها ان المراد من هذه الكلمة ان الله هو الكافي الهادي الوالي العالم الصادق في وعده .

وجاء في رواية ثانية عن الصادق عليه السلام انه قال في تفسيرها : الكاف كاف لشيعتنا ، والهاء هاد لهم ، والياء وليهم ، والعين عالم بالمطيعين منهم ، والصاد صادق لهم وعدم .

وجاء في رواية ثالثة ان هذه الكلمة تشير الى اسماء الله سبحانه ، وجاء عن الاصبغ ان علياً كان في حالات الشدة يقول : يا كهيص ، الى غير ذلك من المرويات حول تفسير هذه الحروف .

هذا كله بالاضافة الى ان سند الرواية قد اشتمل على بعض الاشخاص المتهمين بالكذب في الحديث ، منهم محمد بن بحر الشيباني ، فقد جاء عنه انه من القائلين بالتفويض ومن المقالين ، ومن يعتمد على الضعفاء ، على ان بعض المؤلفين في الرجال يرجحون ان سعد بن عبد الله القمي وان عاصر الامام العسكري ، ولكنه لم يرو عنه ولا عن ولده محمد بن الحسن ، ويرى بعضهم ان هذا الحديث من جملة الموضوعات نظراً لضعف سنده واشتماله على بعض الأمور التي لا تجوز على الامام (١) .

وجاء في الكافي والوافي عن محمد بن الفضل ان الامام أبا الحسن عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى : « وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » قال ان المساجد هم الاوصياء .

وبلا شك فان هذه الرواية من موضوعات الغلاة ، ومما يؤيد ذلك ان محمد بن الفضل الراوي لها قد الصق به المؤلفون في احوال الرواة هذه التهمة

(١) انظر الاخبار الدخيلة للتستري ص ٩٦ وما بعدها ، وانظر الحديث بكامله في ص ٢٥١ وما بعدها في اكمال الدين .

وأما الراوي الاول لها وهو محمد بن اسماعيل فهو مشترك بين الضعيف والثقة (١) .

ولو افترضنا ان الرواة لهذه الرواية كلهم من الموثوقين ، فهل يجوز على الامام الصادق الصدوق ان يتصرف في القرآن الكريم بمثل هذا النوع من التأويل الذي لا يتناسب مع اسلوب القرآن واعجازه ، وهو القائل : اذا اشتبهت عليكم الاحاديث المروية عنا فاعرضوها على كتاب الله ، فما خالف كتاب الله فليس من احاديثنا .

وروي في الكافي مجموعة من الروايات التي فسرهما الامام على حد زعم الرواة بالأئمة (ع) فمن تلك المرويات ما رواه عن سلمة بن الخطاب عن الحسن بن عبد الرحمن عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير ان الامام الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندياً » قال ان الرسول دعا قريشا الى ولايتنا فنفروا وانكروا ، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا ، الذين أقروا لأمر المؤمنين ولنا أهل البيت أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندياً ، فقال الله ردأ عليهم : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن - من الأمم السالفة - هم أحسن أثاثاً ورثياً » قلت قوله : « من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً » ، فقال : كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية علي ولا بولايتنا ، فكانوا ضالين مضلين فيمد لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شراً مكاناً وأضعف جنداً ، قلت قوله : « حتى اذا رأوا ما يوعدون إما

(١) محمد بن اسماعيل بن بزيع من المتلق على وثاقته ، ومحمد بن اسماعيل بن بشير وثقه جماعة وضعفه آخرون ، ومحمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق لقد وثق على الامام موسى ابن جعفر الى الرشيد كما جاء في الكافي ، ومحمد بن اسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي لم يتعرض له احد بقدرح أو مدح ، ومحمد بن اسماعيل الجعفي مجهول الحال أيضاً .

العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ، قال :
 أما قوله : « حتى إذا رأوا ما يوعدون » فهو خروج القائم وهي الساعة ،
 فسيعلمون في ذلك اليوم ما نزل بهم من الله تعالى على يد قائمه ، فذلك قوله :
 من هو شر مكانا ، يعني عند القائم ، قلت قوله : ويزيد الدين اعدوا هدى ،
 قال : يزيدم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يحسدونه ولا
 ينكرونه ، قلت قوله : لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ،
 قال : الا من دان الله بولاية امير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله ،
 قلت قوله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ،
 قال : ولاية امير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى ، قلت : فانما يصرناه
 بلسانك لتعبت به المتقين وتتلو قوما لدا ، قال : انما يسره الله سبحانه على
 لسانه حين اقام امير المؤمنين علما فبشر به المؤمنين وانذر الكافرين ، وهم
 الذين ذكرهم الله في كتابه لدا أي كفارا .

قال : وسألته عن قوله تعالى : « لقد حق القول على أكثرهم فهم لا
 يؤمنون » فقال : هم الذين لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده ،
 ثم قال : وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا
 يبصرون ، عقوبة منه لهم حيث انكروا ولاية امير المؤمنين والأئمة من بعده
 هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقحمون ، ثم قال الله يا محمد : سواء
 عليهم أأنذرتهم أم لم تنلهم لا يؤمنون بالله وولاية علي والأئمة من بعده ،
 انما تنل من اتبع الذكر أي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

والرواة الأربعة لهذه الرواية لا يجوز الاعتماد على مروياتهم ما لم تقارب
 ببعض الشواهد والقرائن ، وقد تحدثنا أكثر من مرة عن سلسلة بن الخطاب
 ونقلنا آراء المؤلفين في الرجال فيه .

وأما الحسن بن عبد الرحمن فقد ورد هذا الاسم في منبج المقال مرتين ،
الأولى الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري الكوفي ، والثانية الحسن بن عبد الرحمن
الكوفي ، ولم يتعرض لها بقدرح أو مدح .

وأما علي بن أبي حمزة فقد كان القائد لأبي بصير يحيى بن القاسم الراوي
للحديث عن الامام عليه السلام وجاء عنه انه كان واقفياً كذاباً متهماً ملعوناً على
حد تمبيرهم ، ولقد قال علي بن الحسن بن فضال : لقد كتبت عنه تفسير القرآن
من أوله الى آخره ولكني لا أستحل أن أروي عنه حديثاً واحداً .

وجاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه قال بعد موته : ، انه أقعد في حفرته
فسئل عن الأئمة فأخبر بأسمائهم حتى انتهى الى فوقف واضطرب فضرب على
رأسه ضربة امتلأ قبره منها فإراء كما جاء عنه انه كان أشد أهل الدنيا عداوة
له ، وهو أول من أظهر فكرة الوقف وانكر امامة الرضا عليه السلام .

ويدعي المؤلفون في الرجال انه هو وجماعة ، منهم زياد بن مروان النقدي
وعثمان بن عيسى الرواسي كلوا من وكلاء الامام موسى بن جعفر عليه السلام وكان
له اموال كثيرة عندهم فوقفوا على امامته وامتنعوا عن تسليم الاموال لخليفته
الامام الرضا عليه السلام والظاهر ان أبا بصير الذي روى عنه علي بن أبي حمزة هو
يحيى بن القاسم لأنه كان قائده على حد تعبیر الشيخ محمد طه في الاتقان وكان
متبها في حديثه ومغلطاً كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال .

وعلى أي الأحوال فولاية علي تؤكد ما النصوص المتواترة عن النبي والأئمة
(ع) وبها يتميز الحق من المبتطل والطيب من الخبيث والفضال من المهتدي على

(١) انظر ص ٣٢٢ من الاتقان وص ١٧٣ من منبج المقال ولعلي بن أبي حمزة ولد يدعى
الحسن بن علي بن أبي حمزة كان متبها كأبيه كما تنص على ذلك المؤلفات في احوال الرواة .

شرط ان يسير الموالي على نهجهم القويم وطريقهم المستقيم ، ولا محتاج الى هذا التحوير والتأويل البعيد عن اسلوب القرآن الكريم .

وبلا شك فان مضمون هذا الحديث ينطبق على الجاحدين ولاية علي عليه السلام والعاملين على غير هديه ، ولكن ضعف رواها يشير الشك في صدورهما عن الامام عليه السلام .

وبعد التتبع في الأحاديث المنتشرة في مجاميع الحديث كالكافي والوافي وغيرها، نجد ان الغلاة والهاقدن على الأئمة والهداة لم يتركوا باباً من الأبواب إلا ودخلوا منه لإفساد احاديث الأئمة والاساءة الى سمعتهم ، وبالتالي رجعوا الى القرآن الكريم لينفثوا عن طريقه سمومهم ودسائسهم لانه الكلام الوحيد الذي يتحمل مالا يتحملة غيره ففسروا مئات الآيات بما يريدون وألصقوها بالأئمة الهداة زوراً وتضليلاً .

وألّف علي بن حسان وعمه عبد الرحمن بن كثير وعلي بن ابي حمزة البطائني كتباً في التفسير كلها تحريف وتحريف وتضليل لا تنسجم مع اسلوب القرآن وبلاغته وأهدافه .

وليس بغريب على من ينتحل البدع ان يكون في مستوى المخرفين والمهوشين ، انما الغريب ان يأتي شيخ المحدثين بعد جهاد طويل بلسع عشرين عاماً في البحث والتنقيب عن الحديث الصحيح فيحشد في كتابه تلك المرويات الكثيرة ، في حين ان عيوبها متناً وسنداً ليست خفية بنحو تخفى على من هو أقل منه علماً وخبرة بأحوال الرواة ، وجاء العلماء والمحدثون من بعده فاحتضنوا الكافي ومروياته لأنه ينظر فريق لم يتخط المرويات الصحيحة ، وينظر الفريق الأكثر جمع كمية كبيرة من المرويات الصحيحة الى جانب المرويات المكذوبة على أهل البيت ، والفريقان مسؤولان عن موقفهم هذا منه .

وكم كنت أتمنى ان يقبض الله سبحانه من يعلق على الطبعة الحديثة ويضع
إشارة على كل رواية لم تستوف شروط الصحة .

وجاء في الكافي عن أبي سعيد العصفوري عن عمر بن ثابت عن أبي الجارود
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال : قال رسول الله ﷺ اني واثني عشر
من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها بنا أوتد الله الأرض
ان تسبخ بأهلها ، فاذا ذهب الاثناسا عشر من ولدي ساخت الارض بأهلها
ولم ينظروا .

وجاء في رواية أخرى بنفس السند ان الأئمة من ذريته اثنا عشر ، وهاتان
الروايتان مخالفتان لضرورة المذهب واجماع الامامية في جميع العصور ، لأن
لسان الأولى ان النبي واثني عشر من ولده وعلي أوتاد الأرض ، والثانية تنص
على ان الأئمة من ولده اثنا عشر اماما، ومقتضاها ان الأئمة ثلاثة عشر اماما، ولم
يذهب لذلك احد من الامامية ، هذا بالاضافة الى ان الرواة لهاتين الروايتين
بين من هو مجهول الحال كأبي سعيد العصفوري وبين متهم بالكذب والانحراف
كعمرو بن ثابت وأبي الجارود ، فلقد جاء عن عمرو بن ثابت انه ضعيف لا
يعتمد بمروياته كما نص على ذلك بعض المؤلفين في الرجال .

وجاء عن أبي الجارود ان الامام الباقر كان يسميه سرحوبا واليه تنسب
الفرقة السرحوبية من الزيدية .

وجاء في الكشي أن سرحوبا اسم لشيطان اعمى يسكن البحر ، وكان
ابو الجارود مكفوفاً أعمى القلب والبصر ، وأضاف الى ذلك ان ابا نصر قال :
كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فمرت بنا جارية معها قمقم فقلبتة ، فقال
ابو عبد الله : ان الله عز وجل قد قلب قلب أبي الجارود كما قلبت هذه
الجارية هذا القمقم .

وجاء عنه انه قال : والله ان ابا الجارود لا يموت إلا قائماً، وعن ابي بصير ان الامام الصادق ذكر كثيراً لغواً وسالم ابن ابي حفصة و ابا الجارود وقال : كذابون مكذبون كفار عليهم لعنة الله الى غير ذلك مما ورد فيه^(١) .

وجاء في رواية اخرى عن الحميري عن احمد بن هلال عن ابن ابي عمير عن ابي السفاتي عن جابر الجعفي عن الامام الباقر عن جابر الانصاري انه قال : دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح يكاد يعشي ضوءه الأبصار ، فيه ثلاثة اسماء في ظاهره ، وثلاثة اسماء في باطنه ، وثلاثة اسماء في احد حرفيه ، وثلاثة اسماء في الطرف الآخر ، يرى من ظاهره ما في باطنه ، ومن باطنه ما في ظاهره ، فعددت الاسماء ، فاذا هي اثنا عشر ، فقلت لها من هؤلاء ؟ فقالت : هذه اسماء الاوصياء ، من ولدي آخرهم القائم ، قال جابر الانصاري : قرأت فيها محمداً في ثلاثة مواضع .

وجاء في رواية رابعة رواها الحسن بن موسى الحشاش بسند ينتهي الى الامام ابي جعفر الباقر عليه السلام يقول فيها : الاثنا عشر اماماً من آل محمد كلهم محدث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وولد علي عليه السلام فرسول الله وعلي هما الوالدان ، ويكفي هذه الروايات عيباً ان مضمونها لا يلتزم به احد من الامامية ، وكلهم متفقون على ان الأئمة احد عشر من ولد فاطمة (ع) وعلي عليه السلام هو الثاني عشر ، والاحد عشر من ذريته .

وجاء في روضة الكافي عن علي بن ابراهيم عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال : سأله عن طول آدم وحواء حين هبطا الى الأرض ؟ فقال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان الله تعالى لما ان أهبط آدم وزوجته حواء الى الأرض ، ان رجليه كانا

(١) انظر الكشي ص ١٩٩ و ص ٢٠٠ .

بثنية الصفا ورأسه دون افق السماء وانه شكا الى الله تعالى ما يصيبه من حر الشمس ، فأوحى الله الى جبرائيل ان آدم قد شكا ، ا يصيبه من حر الشمس فاغمره غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه ، واغمر حواء غمزة فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها .

وجاء في مرويات الستة عن عطاء انه لما اهبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعائهم ويأبئهم اليهم فهابته الملائكة وشكت الى الله تعالى في دعائهم وصلاتهم فخفضه الى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله في صلاته ودعائه فوجه الى مكة فصار موضع قدمه قرية وخطوته مفازة حتى انتهى الى مكة .

وروي عن ابن عباس ان خطوه كان مسيرة ثلاثة ايام ، وان رأسه كان يبلغ السماء فاشتكت منه الملائكة ، فهمزه الرحمن همزة فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

وأضاف الطبري بسنده الى ابن عباس ان آدم حين هبط كان رأسه يمسح السماء فمن ثم صلح وأورث ولده الصلح .

وبلا شك ان هذه المرويات من صنع القصاصين ، أو من موضوعات كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرها الذين أدخلوا الاسرائيليات على الحديث والتفسير كما ذكرنا في الفصول السابقة .

على أن الراوي لها عن الامام وهو مقاتل بن سليمان كان من بقرية الزيدية اتباع الحسن بن صالح بن حي الملقب بالأيتير وإليه تنسب فرقة البقرية من الزيدية .

وجاء في مدينة المعاجز عن كامل الزيارات لابن قولويه عن عبد الله الأصم

عن عبد الله بن بكر الأرجاني انه قال : صحبت أبا عبد الله الصادق عليه السلام في طريقه من المدينة إلى مكة ، فزلنا منزلاً يقال له عسفان ، ثم مررنا بجبل اسود عن يسار الطريق وحش ، فقلت له : يا ابن رسول الله ، ما أوحش هذا الجبل ، ما رأيت في الطريق مثل هذا ، فقال لي : يا ابن بكر ، اندري أي جبل هذا ، فقلت لا ، قال : هذا جبل يقال له الكد وهو على واد من أودية جهنم ، وفيه قتلة أبي عبد الله الحسين ، استودعهم الله فيه ، تجري من تحتهم مياه جهنم من الفسلين والصدید والحميم ، وما يخرج من الفلق وما يخرج من آثام ، وما يخرج من طينة خبال ، وما يخرج من جهنم ولظى وحطمة وسقر والهاوية والجحيم والسعير ، وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به إلا رأيتهم يستغيثون ، واني لأنظر الى قتلة أبي وأقول لها : ان هؤلاء فعلوا ما استمتم لم ترحمونا ، إذ وليتم وقتلتمونا ، وحرمتونا ، وشيتم على حقنا ، فلا رحم الله من يرحمكما ذوقوا وبال ما قدمتم ، وما الله بظلام للعبيد ، فقلت : جعلت فداك ومن معهم ؟ فقال : كل فرعون عقى على الله وحكى الله عنه فعالة ، وكل من علم العباد الكفر ، قلت من هم ؟ قال : لويس الذي علم اليهود ان يد الله مغلوله ، ونسطور الذي علم النصارى ان عيسى المسيح ابن الله ، وانه ثالث ثلاثة ، وفرعون موسى الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، وغرود الذي قال : قهرت أهل الأرض وقتلت أهل السماء ، وقاتل أمير المؤمنين ، وقاتل فاطمة الزهراء ومحسن ، وقاتل الحسن والحسين (ع) .

وأما معاوية وعمر بن العاص لما يطعمان في الخلاص ومن معهم من نصب لنا العداوة وأعان علينا بلسانه ويده وماله ، قلت : جعلت فداك ، فأنت تسمع هذا كله ولا تفزع ، قال : يا ابن بكر ، ان قلوبنا غير قلوب الناس ، وان الملائكة تنزل علينا في رحالنا ، وتتقلب على فراشنا ، وتشهد طعماننا ،

وتحضر موتنا ، وثابتنا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون ، وتصلي معنا ،
وتدعو لنا ، وتقلب على أجنحتها صبياننا ، وتمنع الدواب ان تصل إلينا ،
وثابتنا بما في الأرض من كل ثبات في زمانه ، وتسقيننا من ماء كل أرض ، نجد
ذلك في آيتنا ، وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلا وهي تنبئنا لها ،
وما من لية تأتي علينا إلا وأخبار كل أرض عندها ، وما يحدث فيها ، وأخبار
الجن والهواء من الملائكة ، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره مقامه
إلا أتتنا بخبره ، وكيف سيرته بالذين من قبله ، وما من أرض من ستة ارضين
إلى الأرض السابعة إلا ونحن نؤتي بخبرها ، فقلت له جعلت فداك ، الى أين
ينتهي هذا الجبل ؟ قال: الى الأرض السادسة وفيها جهنم على واد من أوديتها
عليه حفظة أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ما في البحار والثرى ،
وقد وكل كل ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه ، قلت جعلت فداك ، إليكم
جميعاً يلقون الاخبار ، قال : لا : انما يلقي ذلك الى صاحب الامر ، وانا
لنعمل ما لا يقدر العباد على حمله ولا على الحكومة فيه ، فمن لم يقبل حكومتنا
جبرته الملائكة على قولنا أو أمرت الذين يحفظون ناصيته ان يقصروه على
قولنا، فان كان من الجن من أهل الخلاف والكفر أو ثقته وعذبه حتى يصير
الى ما حكمنا به ، قلت جعلت فداك ، فهل يرى الامام ما بين المشرق
 والمغرب ، قال : يا ابن بكر ، فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو
لا يرام ولا يحكم فيهم ، وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر عليهم
ولا يقدرون عليه ، وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا
يرام ، وكيف يكون حجة عليهم وهو محبوب عنهم ، وقد حيل بينهم
وبينه ان يقوم بأمر ربه فيهم ، والله يقول : « وما أرسلناك إلا كافة للناس ،
يعني به من على الأرض ، والحجة بعد النبي يقوم مقامه .

ويكفي هذه الرواية شاهداً على أنها من الموضوعات ، اضطراب متنها واسلوبها البعيد عن منطق الامام الصادق ، هذا بالإضافة الى ان روايتها من المتهمين بالغلو ووضع الاحاديث ، فقد رواها عبد الله بن الاصم عن عبد الله ابن بكر الارجاني ، وقد ذكرنا فيما سبق رأي المؤلفين في أحوال الرواة في عبد الله بن الاصم ، وأما عبد الله بن بكر الارجاني فقد جاء عنه انه كان ضعيفاً في روايته مرفق القول لا يعبأ به (١) .

وجاء في عيون المعجزات ومدينة المعاجز عن جماعة من المحدثين بسندهم الى ابي سمينة محمد بن علي الصيرفي عن ابراهيم بن عمر اليان عن حماد بن عيسى الجهمي المعروف بغريق الجحفة عن عمر بن اذينة عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس انه قال : سمعت أبا ذر جندب بن جنادة يقول : رأيت السيد محمد ﷺ وقد قال لملي : ذات ليلة اذا كان غداً أقصد الى جبال البقيع وقف على نشز من الارض ، فاذا بزغت الشمس فسلم عليها ، فان الله أمرها أن تجيبك بما فيك ، فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين ومعه ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والانصار حتى وافى البقيع ووقف على نشز من الارض ، فلما طلعت الشمس قال : السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له ، فسمعوا دويماً من السماء وجواب قائل : وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم ، فلما سمع ابو بكر والمهاجرون والانصار كلام الشمس صعقوا ثم أفاقوا بعد ساعات وقد انصرف أمير المؤمنين عن المكان ، فوافوا رسول الله ﷺ مع الجماعة ، وقالوا انت تقول : ان

(١) انظر ص ٣١١ من اتفاق المقال ، وانظر منهج المقال للمرزا محمد ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن الاصم ، والظاهر اتفاق المؤلفين في أحوال الرواة على ضعفها وعدم الاعتماد بمروياتها.

علياً بشر مثلنا وقد خاطبته الشمس بما خاطب الباري نفسه ، فقال النبي ﷺ : وما سمعته منها ، فقالوا : سمعناها تقول : يا أول ، قال : صدقت هو أول من آمن بالله وصدق بنبوتي ، قالوا سمعناها تقول : يا آخر قال : صدقت ، هو آخر الناس عهداً بي ، يغسلني ويكفني ويدخلني قبري ، قالوا وسمعناها تقول : يا ظاهر ، قال : صدقت ، ظهر علي كله له ، قالوا وسمعناها تقول : يا باطن ، قال : قد بطن سري كله له ، قالوا وسمعناها تقول : يا من هو بكل شيء عليم ، قال : صدقت ، هو العالم بالحلل والحرام ، والفرائض والسنن وما شاكل ذلك .

وجاء في رواية ثانية ان الشمس تكلمت معه والنبي ﷺ في طريقه الى هوازن ومعه حشد كبير من المسلمين يتراوح بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف مقاتل .

وجاء في رواية ثالثة ان الشمس ردت له التحيّة وقالت له : يا خير الأوصياء ، لقد اعطيت في الدنيا والآخرة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، فقال لها علي عليه السلام : وما أعطيت ؟ فقالت : لم يؤذن لي أن أخبرك فيفتن الناس ، ولكن هنيئاً لك العلم والحكمة في الدنيا والآخرة ، فأنت ممن قال الله فيهم : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وأنت ممن قال الله تعالى فيهم . « اقمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون » ، فأنت المؤمن الذي خصك الله بالايمن .

وهذه الروايات من موضوعات الغلاة ، الذين قالوا إن صوت الرعد هو صوت علي في السماء ، وهي إما من الاخبار التي دسها أصحاب المغيرة بن سعيد في كتب اصحاب الباقر ، أو مما دسه أصحاب ابي الخطاب في كتب اصحاب الصادق عليه السلام وجعلوا لها اسانيد من اصحاب الأئمة ، كما جاء عن

يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام على حد تعبير التسعري في كتابه الاخبار الدخيلة (١) .

ولو لم يكن في سندها الا محمد بن علي الصيرفي ابو حمزة لكفاها عيباً ، وقد جاء عنه انه كان فاسد الاعتقاد ، معروفاً بين أهل الكوفة بالكذب والغلو ، لا يلتفت إليه ولا يكتب حديثه على حد تعبير المرزا محمد والفضاري وغيرهما من المؤلفين في احوال الرواة ، هذا بالإضافة الى انها قد اشتملت على بعض الاوصاف التي لا يصح ان يوصف بها غير الله سبحانه ، وقد قال الامام الصادق لمن كان يصفهم بمثل هذه الصفات ، وينسب لهم العلم بما كان وسيكون والقدرة على جميع الكائنات ، قال : لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا .

ولو افترضنا صحة هذا الامر ووقوع هذا النوع من الحوادث بمحض هذا الحشد من المهاجرين والانصار كما يزعم الراوي ، فلماذا لم يحتج به الامام عليه السلام يوم اقصي عن حقه في الخلافة ، ويوم الشورى وقد احتج عليهم بسوابقه وعلمه وتصحياته والتنصيص عليه من الرسول صلى الله عليه وآله مع ان حادثة من هذا النوع وبحضور هذا الجمع الغفير كما يزعم الراوي تكفي وحدها لدحض مزاعمهم واباطيلهم مهما كان نوعها .

على ان حديث رد الشمس ومكالتها للبشر ليس من غتصات الشيعة ، بل هو موجود بين مرويات السنة للخلفاء ولجماعة من العلماء والاولياء بشكل أوسع وافظع كما سنشير الى ذلك في أواخر هذا الفصل .

وجاء في عيون المعجزات وغيرها من كتب الفضائل عن العباس بن الفضل عن موسى بن عطية الانصاري عن حسان بن الازرق عن ابي الاخوص وعمار

(١) انظر ص ٢٤٠ من الكتاب المذكور .

الساباطي ان أمير المؤمنين لما دخل المدائن بايوان كسرى وكان معه دلف بن منجم كسرى ، فلما جاء الزوال قال لدلف قم معي ، وكان معه جماعة من أهل ساباط ، فما زال يطوف في مكان كسرى ويقول لدلف : كان لكسرى هذا المكان لكذا وهذا لكذا ودلف يقول له : هو والله كذلك ، حتى طافا بالمكان كله ودلف يقول له : قد وضعت الأشياء كلها في مكانها لم يغيب عنك شيء ، ثم نظر الى جمجمة نخرة بالية ، فقال لبعض أصحابه : خذ هذه الجمجمة وكانت مطروحة على وجه الارض ، فأخذها وجاء بها الى الايوان ودعا بطشت فيه ماء ووضع الجمجمة فيه ، ثم قال لها : أقسمت عليك الا ما اخبرتني من أنا ومن انت ، فنطقت الجمجمة بلسان فصيح وقالت : أما أنت فأمر المؤمنين وسيد الوصيين ، وأما أنا فعبد الله وابن امة الله كسرى انوشروان ، فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط الى أهاليهم وأخبروهم بما كان وما سمعوه من الجمجمة ، فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين وجاؤوا اليه وقالوا : قد افسد هؤلاء قلوبنا بما أخبروه عنك ، وقال بعضهم فيك ما قالت النصارى في المسيح وما قاله عبد الله بن سبأ ، فان تركتهم على هذا كفر الناس ، فلما سمع ذلك قال : ما تحبون ان اصنع بهم ، قالوا : تحرقهم كما احترقت عبد الله بن سبأ وأصحابه ، فدعاهم لأن يرجعوا عن مقاتلتهم فيه فأبوا وقالوا : لا يخاطب الجمجمة إلا الله ، فأمر بالنار وأحرقهم فيها ، ولما احرقوا أمر بسحقهم وذرى رمادهم بالهواء ، ولما كان اليوم الثالث من احراقهم رجعوا الى منازلهم بأحسن ما كانوا عليه ، فجاء أهل ساباط وقالوا : يا أمير المؤمنين ، الله الله في دين محمد ، ان الذين أحرقتهم قد رجعوا الى منازلهم بأحسن ما كانوا عليه ، فقال : لقد أحرقتهم وذريتهم في الهواء ، ولكن الله سبحانه أحيائهم ، فانصرفوا وهم يقولون فيه بمقالة ابن سبأ .

والرواة لهذه الرواية بين من ورد له ذكر في كتب الرجال كأبي الاخوص وموسى بن عطية من غير ان يتعرضوا لها بقدرح أو مدح ، وبين من لم يرد له ذكر فيها كالعباس بن الفضل وحسان بن احمد الازرق ، والراوي الأخير لها عن الامام وهو عمار الساباطي كان من المعاصرين للامامين موسى بن جعفر والرضا (ع) وهو فاطمي المذهب ، وقد رواها عن امير المؤمنين بلا واسطة وبينه وبينه أكثر من تسعين عاماً .

ومها كانت حالة الرواة لها فلا شك بأنها من صنع الغلاة ، أو أعداء أهل البيت ، ومن النوع الذي أشار اليه الامام الرضا كما جاء في رواية أبي عمود التي نقلناها في الفصول السابقة ، وأنا على يقين بأن أكثر الذين دونوها بين المرويات في الفضائل والكرامات لا يترددون في كذبها على ان الكرامات انما يحريها الله سبحانه على يد الانبياء والاولياء اذا كانت تؤكد دعوتهم وترفع الشك والريب من قلوب المرتابين والمشككين ، أما إذا لم تضع حقاً ولم ترفع باطلاً بل توجب الكفر والضلال كما جرى لاهل ساباط الذين اعتنقوا فكرة السبائية ونسبوا اليه الربوبية حين كلمته جمجمة كسرى واحرق المرتابين ونسفهم في الهواء نفساً ، ثم احياهم ورجعوا الى بيوتهم بأحسن مما كانوا على حد زعم الراوي فلا تصح على الله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الشرك والجهود الى نور الايمان بإله واحد لا شريك له ولا نظير ، ومن ظلمات الجهل الى نور المعرفة والعلم ، ومن عبادة الاشخاص والاصنام والشهوات الى عبادة الخالق المنعم الرؤوف الرحيم .

وروي في مدينة المعاجز عن أبي رواحة عن المغربي ان أمير المؤمنين لما انتهى من حرب النهروان أبصر جمجمة نخرة بالية فقال : هاؤها فحركها بسوطه ، ثم قال لها : اخبريني من انت ، فقير ام غني ، شقي أم سعيد ، ملك أم رعية ، فقالت بلسان فصيح : يا أمير المؤمنين أنا ابرويزن هرمز ملك الملوك ، ملكت مشارقها ومغاربها ، وسهلها وجبلها ، وبرها وبحرها ،

أنا الذي أخذت ألف مدينة في الدنيا ، وقتلت ألف ملك من ملوكها ، أنا الذي بنيت خمسين مدينة ، وفضضت خمسين جارية بكر واشترت ألف عبد تركي وأرميني وزنجي ، وتزوجت بسبعين ألفاً من بنات الملوك ، وما من ملك في الأرض إلا غلبته وظلمت أهله ، فلما جاءني ملك الموت قال : يا ظالم يا طاغي يا باغي خالفت الحق ، فتزلزلت أعضائي وارتعدت فرائصي ، وعرض علي أهل حبسي ، فإذا هم سبعون ألفاً من أولاد الملوك ، فلما رفع ملك الموت روحي سكن أهل الأرض من ظلمي فأنا معذب في النار أبداً الأبدية ، وكل الله بي سبعين ألف من الزانية ، في يد كل واحد مرزبة من نار ، لو ضربت على جبال أهل الأرض لتدكدكت ، فكلمنا ضربني الملك بواحدة من تلك المرازيب تشتعل في النار فيجبني الله تعالى ويعذبني بظلمي لعباده ، وكل الله تعالى بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني ، وكل ذلك احسن به كالحى في دنياه ، فتقول لي الحيات والعقارب : هذا جزاء ظلمك للعباد ، ثم سكنت الجمجمة فبكى جميع عسكر أمير المؤمنين وضربوا على رؤوسهم وقالوا : يا أمير المؤمنين ، جهلنا حقك بعد ما علمنا رسول الله وأنت لم ينقص منك شيء ، فاجعلنا في حل فيما فرطنا فيك ورضينا بفسيرك على شرفك ومقامك ، فأمر بتغطية الجمجمة في التراب ، فعند ذلك وقف ماء النهر عن الجري وصعد على وجه الماء كل سمك وحيوان كان في النهر وتكلم كل واحد مع أمير المؤمنين ودعا له وشهد بامامته .

وهذه الرواية أقطع من سابقتها وأسوأ حالا منها وفي متنها ألف شاهد وشاهد على أنها من نوع الكذب الخالص الذي لا يجوز تدوينه ولا السكوت عنه .

ولعن الله المغيرة بن سعيد وأبا سمينة وأبا خديجة وغيرهم من الكذبة

والزنادقة ، ولعن الله أعداء الأئمة الذين لم يتركوا وسيلة من وسائل التشويش والتشفيع عليهم إلا وخاضوا فيها، وغفر الله للشيخ رجب البريسي الذي دون هذه الخرافة وغيرها من الخرافات والاساطير في كتابه مشارق انوار اليقين وعدها من أسرار أمير المؤمنين ، وبلا شك فان أمير المؤمنين بريء منها ومن المغالين فيه ومن كل من ينشرون هذه الخرافات ويتاجرون بها، ولنا وقفة مع البريسي وكتابه في موضع آخر من هذا الكتاب .

وجاء في مدينة المعاجز وعيون المعجزات عن محمد بن هرون بن موسى عن أبيه هرون بن موسى عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عن محمد بن علي وادريس بن عبد الرحمن عن داود الرقي انه قال: اتيت المدينة فدخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام فلما استويت في المجلس بكيت ، فقال ابو عبد الله عليه السلام : ما يبكيك يا داود ، فقلت : يا ابن رسول الله ، ان قوماً يقولون لنا: لم يخصكم الله بشيء سوى ما خص به غيركم ، ولم يفضلكم بشيء سوى ما فضل به غيركم ، فقال : كذبوا، ثم قام فرفس الارض برجله وقال: كوني بقدره الله ، فاذا هي سفينة حمراء وسطها درة بيضاء ، وعلى أعلى السفينة راية خضراء عليها مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يقتل القائم أعداء الله وينصره بالملائكة ، واذا وسط السفينة أربع كراسي من أنواع الجواهر ، فجلس ابو عبد الله على واحدة واجلس موسى على واحدة واسماعيل على واحدة واجلسني على واحدة ، ثم قال لها: سيدي على بركة الله فسارت في بحر عجاج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فسرنا بين جبال الدر والياقوت حتى انتهينا الى جزيرة وسطها قباب من الدر الأبيض محفوفة بالملائكة ينادون مرحباً يا ابن رسول الله ، فقال : هذه قباب الأئمة من ولد محمد ﷺ كلما افتقد واحد اتى هذه القباب حتى يأتي الوقت الذي ذكره

الله في كتابه ، ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين ، ثم ضرب
يده الى اسفل البحر فاستخرج منه درأً وياقوتاً وقال : يا داود ، ان كنت
تريد الدنيا فخذها ، فقلت : لا حاجة لي في الدنيا يا ابن رسول الله ، فألقاها
في البحر ، ثم نهض وقال : قوموا حق تسلموا على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى
أبي محمد الحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر الباقر ، فقمنا حتى
انتهينا الى قبة وسط القباب ، فرفع الستر ، فاذا أمير المؤمنين جالس فسلمنا
عليه وخرجنا ، ثم أتينا قبة الحسن وبقية الأئمة فسلمنا عليهم جميعاً ، ثم قال :
انظروا الى يمين الجزيرة ، فاذا قباب لا ستور عليها ، فقال : هذه لي ولن
يأتي من بعدي ، وفي وسط الجزيرة قبة للقائم من آل محمد ، ثم قال : ارجعوا
فرجعنا الى مجلسنا كما كنا في الدار ، وعادت الدار الى ما كانت عليه .

وهذه الاسطورة التي صورها الرواة وكان داود الرقي من أحد رواةها على
حد زعمهم بهذا اللون الغريب ليست مما يستعصي على الامام بقدرة الله
سبحانه ومشيتته ، ولكن السؤال الذي قد يطرحه حتى المؤمن بقدرة الامام
على هذه الأحداث الجسام ، هو ان الامام هل يطلب من الله سبحانه ان يوفر
له القدرة على هذه الامور العظام لمجرد كلمة سمعها من بعض المتشيعين له حتى
ولو لم يترتب عليها ارشاد الحائرين وهداية الضالين .

ان سير الاحداث يؤكد لنا انهم لم يلجأوا الى الاعجاز حتى في أدق
المراحل وأشدّها خطراً على أنفسهم وعلى الاسلام ، وفي الحالات العصيبة كانوا
يظهرون لاصحابهم بمظهر سائر الناس العاجزين عن مجابهة الاخطار ، وقد
سمعوا وشاهدوا من أعدائهم شق أنواع العسف والجور والتهم ، وقابلوا كل
ذلك بالصبر الجميل والتسليم لقضاء الله وقدره ، مع أنهم لو سألوا الله سبحانه
لوفر لهم ما يحبون ويرغبون .

هذا بالاضافة إلى أن داود الرقي الذي رافق الامام في هذه الرحلة كان

منها في دينه ومروياته ، فقد نص النجاشي في ترجمته على أن الفلاة يدعون بأنه من أركانهم ويروون عنه الغرائب والمناكير .

وقال ابن الفضائري : انه كان فاسد المذهب ، ضعيف الرواية لا يلتفت إليه ، وقد حاول جماعة تركيته مما نسب إليه ، ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة حاسمة بشأنه تجعله فوق الشبهات ، كما وأن محمد بن هارون أحد الرواة لهذه الاسطورة من المتهمين في وضع الأحاديث (١) .

وروي عن الحسن بن شبيب ومحمد بن سنان عن يونس بن ظبيان أنه قال : استأذنت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام فخرج إليّ معتب فأذن لي فدخلت ولم يدخل غيري ، فلما صرت في الدار نظرت الى صورة ابي عبد الله الصادق عليه السلام ، فسلمت عليه وكان بين يديه رجلان كان على رؤوسهما الطير ، فقال لي : ادخل ، فدخلت الثانية ، فاذا رجل على صورته عليه السلام وإذا بين يديه جمع كثير كلهم صورهم واحدة ، فقال : من تريد ، قلت : أريد أبا عبد الله ، فقال : قد وردت على أمر عظيم إما كفر أو إيمان ، ثم خرج من البيت رجل حيث بدا به الشيب فأخذ بيدي وأوقفني على الباب وغشى بصري من النور ، فقلت : السلام عليك يا بيت الله ونوره وحجابه ، فقال : وعليك السلام يا يونس ، فدخلت البيت ، فاذا بين يديه طائران يحكيان فكانت أفهم كلام ابي عبد الله ولا أفهم كلامهما ، فلما خرجا قال يا يونس : سل ، نحن النور في الظلمات ، ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمناً ، نحن عزة الله وكبرياؤه ، قلت : جعلت فداك ، رأيت شيئاً عجيباً ، رأيت بطاً على صورتك ، قال : يا يونس ، إنا لا نوصف ، ذاك صاحب السماء الثالثة سألني ان استأذن الله له ان يصير مع أخ له في السماء

(١) انظر منهج المقال للمرزا محمد وغيره من المؤلفين في احوال الرواة .

الرابعة ، فقلت : هؤلاء الذين في الدار ؟ قال : هؤلاء أصحاب القوائم من الملائكة ، فقلت له : فهذان ! قال : جبرائيل وميكائيل نزلا الى الأرض فلم يصعدا حتى يكون هذا الامر ان شاء الله وهم خمسة آلاف ، يا يونس ، بنا اضاءت الابصار وسمعت الاذان .

ويكفي هذه الرواية عيباً أن بطلها يونس بن ظبيان الذي قال فيه الامام الصادق : لعن الله يونس بن ظبيان ألف لعنة تلعبها ألف لعنة ، كل لعنة تبلغه قعر جهنم ، والذي قال فيه : اما ان يونس مع ابي الخطاب في أشد العذاب مقرونان وأصحابها مع فرعون وآل فرعون في أشد العذاب ، وبقية الرواة لها عن يونس بين متهم في وضح الاحاديث والانحراف عن التشيع كمحمد بن سنان وبين مجهول لم يرد له ذكر في كتب الرجال (١) .

وجاء في مدينة المعاجز وعيون المعجزات عن يونس بن ظبيان عن المفضل ابن عمر انه قال : دخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام وهو جالس على بساط أحمر في وسط داره وأنا أقول : اللهم اني لا أشك في أن حججتك على خلقك وامامنا جعفر بن محمد عليه السلام فوفق لي منه ان يزيد في بياننا وبقيننا ، فرفع رأسه إلي وقال : قد أوتيت سؤالك يا موسى ، يا مفضل ، ناواني تلك النواة ، وأشار بيده الى نواة في جانب الدار ، فأخذتها وناولته إياها ، فنصبها على الأرض ووضع سبابته عليها وغمزها وغيبها في الأرض ودعا بدعوات سمعت منها ، اللهم فائق الحب والنوى ولم أسمع الباقي ، فإذا تلك النواة قد نبئت نخلة وأخذت تملو حتى صارت بازاء عداو الدار ، ثم حملت حملاً حسناً وتهدلت ويسرت ورطببت رطباً وأنا أنظر إليها ، فقال لي :

(١) انظر ص ٣٠٩ و ٣١٠ من الكشي .

امرزها يا مفضل، فبرزتها فنثرت علينا رطباً في الدار جنباً أصفى من الجوهر وأعطى من رائحة المسك والعنبر ، فقال لي : التقط وكل ، فالتقطت وأكأت وأطعمت ، ثم قال لي : اجمع كل ما يسقط من هذا الرطب واحده الى مخلصي شيعتنا الذين أوجب الله لهم الجنة ، فلا يحل هذا الرطب إلا لهم ، وأهدى الى كل نفس منهم واحدة ، قال المفضل : فضممت ذلك الرطب وظننت اني لا اطيع حمله الى منزلي فخفف عليّ حق حملته وفرقته فيمن امرني به منهم في الكوفة فخرج باعدادهم لا يزيد رطبة واحدة فرجعت اليه ، فقال لي : اعلم يا مفضل ان هذه النخلة تطاولت وانبسطت في الدنيا فلم يبق مؤمن ولا مؤمنة من شيعتنا بالكوفة وغيرها إلا وظهرت له بمقدار مضيك الى منزلك ورجوعك اليها ، فهذا من فضل الله اعظم مما اعطى داود وان كنا قد اعطيناه واعطينا ما لم يعطوا كرامة من الله لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وان كنت من شيعتنا سارد اليها واليك من طول الدنيا وعرضها رسائل بأن النخلة وصلت الىهم وطرحت الى كل واحدة رطبة منها ، قال المفضل : فلم تزل الكتب ترد اليها من سائر الشيعة في سائر الدنيا بذلك ، فمرفت والله عددهم من كتبهم .

ومقتضى هذه الرواية ان الكتب التي ارسلت الى المفضل بلغت حدود الملايين ، لأن كل شيعي في أنحاء الدنيا الواسعة قد ظهرت لديه تلك النخلة وألقت له رطبة من ثمارها وكتب بذلك الى المفضل على حد زعمه ، والشيعة في عصر الامام الصادق كانوا أكثر من أي زمان مضى .

واذا جاز لنا ان نقول بأن الامام عليه السلام قد يصنع المعجزات التي من هذا النوع بقدره الله سبحانه ، فمن غير المعقول ان يصنعها بحضور المفضل ويونس ابن ظبيان وامثالهما من الغلاة وضعاف الايمان والكذب على اهل البيت الذين لعنهم هو والأئمة من بعده ووصفهم بالكفر والشرك ، وهل يصح على الامام

الصادق عليه السلام ان يلعن المفضل عشرات المرات ويقول له : يا كافر يا مشرك
ثم يأخذ نواة ويغرسها في داره فتنبو لساعتها وتبلغ النضاية فتثمر وتنساقط
رطباً أصفى من البلور بلحظة واحدة ، ويكلفه بتوزيع ثمارها على الشيعة في
مختلف أنحاء العالم في لحظات معدودات فيأكلون ويكتبون الى المفضل تلك
اللحظات القصار ملايين الكتب ، ثم يلعنه بعد ذلك في النوادي والجمععات
لا لشيء إلا لأنه وضعه فوق مستوى المخلوقات ، وهل يعدو ذلك ان يكون
إلا لمن القى انساناً مكتوفاً في المم ، وقال له اياك ان تبطل بالماء .

ومجمل القول ان هذه الرواية كسابقتها من موضوعات الغلاة واعداء الأئمة
وقد دونها حشوية الشيعة ومن يرى رأي الغلاة كالبريسي والبحراني وغيرهما ،
كما دونوا غيرها بدون محاكاة لمثونها ولا تمحيص لاسانيدها فضلت بها وبأمثالها
فئات ، وتاهت بمعناها عقول واقهام . نسأله سبحانه ببركة الأئمة الهداة ان
يلهمنا السداد في القول ، والتوفيق في العمل ، انه قريب مجيب .

ومن امثلة الفرائب التي رواها في مدينة المعاجز ان رجلاً من اكابر بلخ
كان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله ويحمل معه الهدايا الثمينة الى الامام زين العابدين
فاستمر على ذلك اعواماً حتى انكرت عليه زوجته صنيعه لان الامام لم يكافئه
على هداياه فحج في تلك السنة واكل من طعام الامام ، ثم صب الماء على يد
الامام في طشت كبير فامتأ الطشت بأنواع الجواهرات الثمينة ، فأمره
الامام ان يحمله معه الى زوجته ، فحمله اليها فطلبت منه ان ترافقه في تلك
السنة لزيارة الامام زين العابدين ، فمرضت في الطريق وماتت في القرب من
مدينة الرسول ، فجاء الرجل الى الامام باكياً حزيناً وأخبره بما جرى لزوجته
فأمره الامام ان يرجع الى المسكان الذي توفيت فيه وقال له انك تجدها حية
تنتظر قدومك ، فان الله قد احيها بقدرته وحكمته ، فخرج الرجل مسرعاً
وهو بين مصدق ومكذب ، فلما دخل الخيمة وجد زوجته سالمة ، فقال لها :

كيف أحيأك الله ، فقالت : لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمّ أن يصعد بها ، وإذا برجل صفته كذا وكذا وجعلت تعدد أوصاف الامام وهو يقول صدقت انه الامام زين العابدين ، فلما رآه ملك الموت مقبلاً انكب على قدميه وقبلهما ويقول : السلام عليك يا حجة الله في ارضه ، السلام عليك يا زين العابدين ، فقال له : يا ملك الموت ، اعد روح هذه المرأة الى جسدها فانها قاصدة الينا وقد سألت ربي أن يبقيا ثلاثين سنة اخرى ، ويحييها حياة طيبة ، فقال له الملك : سمعاً وطاعة ، ثم اعاد روحي الى جسدي وانا انظر الى ملك الموت قد قبل يده الشريفة وخرج عني ، فأخذ الرجل بيد زوجته واتى بها الى مجلس الامام وهو مع اصحابه ، فانكبت على ركبتيه وقبلها ولم تنزل مع بعلها في جوار الامام الى ان مات .

وهذه الرواية كغيرها من مرويات الغلاة والقصاصين البعيدة عن واقع الأئمة (ع) الذي تؤكد هواقفهم الكثيرة التي كانوا يتجنبون فيها عن كل ما من شأنه ادخال الشبه على ضعفاء شيعتهم .

والسلام على الامام زين العابدين القائل لجماعة من المتشيعين: ما برج حبكم لنا حتى أصبح علينا عاراً ، لقد بغضتمونا الى الناس بما قلموه فينا .

هذا بالإضافة الى ان الراوي لهذه الاسطورة بينه وبين الامام مئات السنين وقد ارسلها من غير ان يذكر احداً من رواتها، فهي من أسوأ أنواع المراسيل التي لم يتأكد مضمونها بشاهد من كتاب او سنة .

ومن الموضوعات ما رواه في مدينة المعاجز والخرائج عن دحبل الخزاعي عن الرضا عليه السلام عن ابيه وجده انه قال : كنت عند الامام الباقر اذ دخل عليه جماعة من الشيعة فيهم جابر بن يزيد فقالوا : هل رضي ابوك علي عليه السلام بخلافة الأول والثاني ، فقال : اللهم لا ، فقالوا : لم نكح من سيدهم خولة

الحنفية إذا لم يرض بامامتهم ، فقال عليه السلام : امض يا جابر الى منزل جابر ابن عبد الله الانصاري وقل له : ان محمد بن علي يدعوك ، قال جابر بن يزيد فأثيت منزله وطرقت عليه الباب. فناداني جابر من داخل الدار اصبر يا جابر بن يزيد ، فقلت في نفسي من أين علم جابر الانصاري اني جابر بن يزيد ولا يعرف الدلائل إلا الأئمة من آل محمد ، والله لأسأله إذا خرج إلي ، فلما خرج قلت له : من أين علمت اني جابر بن يزيد وانت داخل الدار ، قال : خبرني مولاي الباقر البارحة انك تسأله عن الحنفية في هذا اليوم وانه سيبعثك إلي تدعوني اليه ، فقلت صدقت ، فسرنا جميعاً حتى أتينا المسجد فلما بصر مولانا الباقر بنا ونظر إلينا ، قال للجماعة قوموا إلى الشيخ فأسأله حتى ينبشكم بما سمع ورأى ، فقالوا : يا جابر ، هل رضي إمامك علي بخلافة من تقدمه ؟ فقال : اللهم لا ، فقالوا لم نكح من سببهم إذا لم يرض بامامتهم ، فقال جابر : اه اه لقد ظننت اني أموت ولا أسأل عن هذا ، اما إذ سألتهموني فاسمعوا وعوا ، حضرت السي وقد أدخلت الحنفية فيمن أدخل ، فلما نظرت إلى جمع الناس عدلت إلى تربة النبي صلى الله عليه وآله فرنت رنة وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب ، ثم نادى : السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك من بعدك ، هؤلاء امتك سبونا سي التوب والديلم ، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلا الميل إلى أهل بيتك فجعلت الحسنة سيئة ، والسيئة حسنة فسبيننا ، ثم انعطفت إلى الناس وقالت لم سببتمونا وقد أقررنا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالوا : منعتمونا الزكاة ، قالت : : هب الرجال منعوكم فما بال النساء ، فسكت المتكلم كأنما ألهم حجباً ، ثم ذهب إليها طلحة وخالد بن عфан يرميان إليها ثوباً ، فقالت : لست بعريانة فتكسوني ، قيل لها : انها يرغبان أن يتزايدا عليك فأبها زاد على صاحبه اخذك من السابقين ، فقالت : هيهات والله لا يكون ذلك أبداً ،

لا يملكني ولا يكون لي بعل إلا من يخبرني بالكلام الذي قلته ساعة خرجت من بطن أمي ، فسكت الناس ينظر بعضهم إلى بعض وورد عليهم من ذلك الكلام ما ابهر عقولهم وأخرس ألسنتهم وبقي القوم في دهشة من أمرها ، فقال أبو بكر : ما لكم ينظر بعضكم إلى بعض ، قال الزبير : لقولها الذي سمعت ، قال أبو بكر : ما هذا الأمر الذي احصر أفعالكم ، انها جارية من سادات قومها ولم تعتمد على ما رأت ولقيت وقد دخلها الفزع ، فقالت ما لا تحصيل له ، فقالت له : لقد رميت بكلامك غير مرمى ، والله ما داخلي جزع أو فزع وما قلت إلا حقاً ولا نطقت إلا فصلاً ولا بد وأن يكون كذلك ، وتحق صاحب هذه البنية ، ثم سكنت وأخذ خالد وطلحة بثوبيهما وجلست هي ناحية من القوم ، فدخل علي بن أبي طالب فذكروا له جمالها وقصتها فقال : هي صادقة فيما قالت ، وكانت حالتها وقصتها كيت وكيت ، وكل ذلك مكتوب في لوح معها ، فرمت باللوح لهم لما سمعت كلامه فقرأوه ، فإذا هو كما قال علي بن أبي طالب لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ، فقال أبو بكر : خذها يا أبا الحسن ، بارك الله لك فيها ، فأخذها وسلمها الى أسماء بنت عمير إلى أن قدم أخوها وتزوجها بالعقد لا بالملك .

ورواها في المناقب في باب اخباره بالمنايا وزاد فيها أن علياً بن أبي طالب قال لها : يا خولة ، اسمعي الكلام وعي الخطاب ، لما كانت أمك حاملة بك وضربها الطلق واشتد بها الأمر نادت : اللهم سلمني من هذا المولود سالماً ، فسبقت الدعوة لك بالنجاة ، فلما وضعتك ناديت من تحتها لا إله إلا الله محمد رسول الله سيملكني سيد يكون لي منه ولد ، فكتبت ذلك الكلام في لوح من نحاس ودفنته في الموضع الذي سقطت فيه ، فلما كانت الليلة التي قبضت فيها أمك أوصت إليك بذلك ، ولما كان وقت سبيك لم يكن لك همة إلا

أخذ ذلك اللوح فأخذتيه وشددتبه على عضدك ، هاتي اللوح فأنا صاحبه وأنا أمير المؤمنين وأب ذلك الفلام الميمون واسمه محمد ، فدفعت اللوح الى أمير المؤمنين وقرأه عثمان لابي بكر فما زاد حرفا واحداً، وقال الناس صدق الله ورسوله إذ قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقد رويت قصة الحنفية في البحار بشكل أوسع وأغرب مما ورد في هاتين الروایتين، وجاء فيها انها قد أخبرت امها وهي حمل في بطنها بما يجري عليها وبما سيكون من امرها وأمر ولدها محمد .

ان الكرامات التي نسبها القصاصون الى خولة الحنفية هي اعظم مما وقع لعيسى بن مريم عليه السلام فلقد تكلم في المهد تزكية لأمه السيدة مريم التي حامت حولها الشبه بعد حملها بقدرة الله فأنطقه الله بعد ولادته وبرأها مما الصق بها زوراً وبهتاناً ، ولكن خولة نطقت حين حملها وحين ولادتها وأقرت بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامامة علي عليه السلام واخبرت برؤيا امها وبما يجري عليها وسجلت امها كل ذلك في لوح وعرضته عليها بعد سنتين من ولادتها ووضعته في عقيصتها لتكون لها الحجة بذلك يوم سبها كما جاء في رواية المجلسي .

الى غير ذلك من الغرائب التي لم تصدر من الانبياء فضلاً عن سائر الناس على ان هذا الاختلاف الواقع بين الروايات الثلاث يكفي لضعفها وعدم الاعتداد بها حق ولو كانت من حيث سندها مستوفية لسائر الشروط المعتبرة في الراوي، في حين انها من المراسيل التي لم تتوفر حق بالذين ارسلوها لشروط العمل بالرواية .

هذا بالاضافة الى أن المؤرخين لم يتفقوا على رأي واحد فيما يعود لهذه الحادثة فلقد ذهب المدائني الى انها من سبي علي عليه السلام حينما بعثه النبي لقمع حركة الردة التي قام بها عمر بن معدي كرب ، وكانت خولة لبني زبيد الذين جنحوا الى الارتداد ، وقبل ذلك قد غزوا بني حنيفة وسبوا منهم خولة

الحنفية ، فلما رجع علي من غزوته ومعه السي كانت من سهامه وبقيت عنده الى ان توفيت فاطمة (ع) فاولدها محمداً المعروف بابن الحنفية .

ونص البلاذري في فتوح البلدان انها من سي بني اسد في خلافة ابي بكر في قصة ذكرها بما حاصله ان بني اسد أغارت على بني حنيفة فسببت منها خولة واشتراها منهم علي عليه السلام ولما عرف أهلها بكانها وفدوا على علي عليه السلام وأخبروه بحالها فأعتقها وتزوجها ، الى غير ذلك مما جاء حول الحنفية وقصتها .

وبلا شك فان رواية البلاذري لا يمكن الأخذ بها بشكلها الحالي ، لأن هذا النوع من الغزو والسي لا يسوغ ملكية السي ولا تفره الشرائع .

ومن غير الجائز ان يقدم علي عليه السلام على ثرائها وتملكها بهذا النحو ، إلا أن يكون اقدامه على ذلك لاجل انقاذها من هؤلاء الغزاة ، ولا بد ان يكون زواجه منها بعد انقاذها وارجاعها الى أهلها بالمقد لا بالملك .

وعلى أي الاحوال فان المرويات التي من هذا النوع المنتشرة في كتب الحديث هنا وهناك لا تثبت في مقابل النقد ولا تنسجم مع مبدأ أهل البيت ومنطقهم السليم الذي وصفه الامام الرضا بقوله : فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نور ، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك قول الشيطان .

وجاء في الكتاب المعروف بقضاء علي بن ابي طالب تأليف الشيخ محمد تقي التستري ان تسعة اخوة او عشرة - على حد تعبير الراوي - كانوا في حي من أحياء العرب ، وكانت لهم اخت واحدة ، فقالوا لها ، كل ما يرزقنا الله نطرحه بين يديك على شرط ان لا تتزوجي ، فوافقتهم على ذلك وقعدت في خدمتهم ، فخافت يوماً ، فلما ظهرت وأرادت أن تغتسل ذهبت الى عين كانت في القرب من حيهم ، فلما دخلت الماء دخلت فيها علقة صغيرة وهي لا تعلم ، ومضت أيام على ذلك والعلقة تكبر حتى علت بطنها وظهر عليها الحمل

فظن اخوتها أنها حلت سفاعاً ، فأرادوا قتلها ، فرجع بعضهم أنت يرفعوا
أمرها الى علي عليه السلام ، فوفدوا عليه وقصوا له أمرها ، فاستحضر طشتاً
مملوءاً بالحما وأمرها أن تقعد فيه ، فلما أحست العلقه برائحة الحما نزلت من
جوفها ، فقالوا يا علي : أنت ربنا العلي ، تعلم الغيب ، فزبرهم وقال : ان
رسول الله أخبرني بذلك عن الله ان هذه الحادثة تقع في هذا اليوم من هذا
الشهر وفي هذه الساعة .

والرواية من المراسيل كأكثر مرويات هذا الكتاب الذي لفقه التسري
وغيره ، ونسبوه الى أمير المؤمنين عليه السلام بدون تحقيق في مصادر مروياته ،
ولا وعي لمتونها التي لا تثبت في وجه النقد والمحاكمة ، وهذه الرواية من أكبر
الشواهد على ذلك .

لقد ادعى الذين وضعوا هذه الاسطورة ان العلقه وهي حيوان صغير للغاية
يتولد في الماء ، وأكثر ما يوجد في الماء الراكد قد دخلت في فرج تلك الفتاة
التي لا تزال عذراء ، ومن الجائز أن يكون الأمر كذلك ، وقد يطول بها
الأمم فتمتص من دماء الحمل الذي تكون فيه ، ولكن مهما بلغ بها الحال لا
يمكن أن يتجاوز حجمها حجم الجرادة الصغيرة ، وعندما تبلغ هذا الحجم
ترافق وجودها آلام قاسية وعوارض لا يمكن لأي إنسان أن يتحملها لأنها
تنهش باللحم وتمتص الدماء ، ومن المعلوم ان هذا الحجم لا يوجب ارتفاع
البطن كما جاء في الرواية ولا تلازمه عوارض الحمل ، وعلى تقدير ان تلك العلقه
قد بلغت حجم الجنين كما يظهر من الرواية ، فكيف خرجت بتلك السهولة
وهي لا تزال عذراء كما يبدو من الرواية .

وبلا شك ان الذين وضعوا هذا النوع من المرويات قد قعمدوا فيها تلك
الفعوات من الاضطراب والتهافت لينفذوا من خلالها الى التشكيك بالأئمة
المهداة كما ذكرنا في الفصول السابقة .

وقد دون التستري في نفس الكتاب حادثة أخرى من هذا النوع من غير أن يذكر لها سنداً يربطها بالامام عليه السلام جاء فيها ان جماعة تتكون من ألف فارس جاؤوا يجارية الى علي عليه السلام فقال له أبوها : لقد خطبها ملوك العرب ونكست رأسي لأنها عاتق حامل ، فقال علي عليه السلام لداية الكوفة انظريها هل هي حامل أم لا ، فلاحظتها وقالت له : هي حامل يا أبا الحسن ، فقال عليه السلام : من يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة ، فقال أبوها : ان الثلج في بلدنا كثير ولكنه يبعد مائتين وخمسين فرسخاً، فمد عليه السلام يده وكان على منبر الكوفة ، وردّها وفيها قطعة ثلج ، فأمر بطشت وضعه تحت الجارية ووضع قطعة الثلج مما يلي فرجها ، فرمت الجارية علقه وزنها سبعماية وخمسون درهما ودانقان ، وكان الامام قد أخبرهم حينما قدموا عليه بما جرى للجارية وهي في العاشرة من عمرها وكيف دخلت العلقه في فرجها ، كما أخبرهم بوزنها ، فنهض أبوها وهو يقول : أشهد أنك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر .

وهذه الرواية كسابقتها من المراسيل التي لا يحوز الاعتماد عليها حسب الاصول المقررة في علمي الرجال والدراية ، هذا بالإضافة الى انها قد اشتملت على أمور لا يمكن الالتزام بها لأن وجود علقه بهذا الحجم في جوف انسان يكفي وحده للقضاء عليه ، ومهما توفرت للعلقه أسباب الحياة والنمو لا يمكن أن تبلغ هذا الوزن ، في حين أن قدرة الله سبحانه فوق الحدود والقيود ، ولكن المقدور لا بد وأن يكون مسيراً للقدرة ، فالله سبحانه قادر على أن يجعل الجراداة أو الوزه بحجم الفيل ، ولكن الوزه بماهيتها وحقيقتها غير قابلة لذلك ، فاستحالة وقوع مثل ذلك يرجع الى المقدور لا الى القدرة ، على أن حضور ألف فارس على خيولهم مع فتاة متهمة بتلك التهمة الى الخليفة الحاكم في منتهى البعد والغربة لا سيما من تلك المسافة البعيدة التي تقدر بمئات للفراسخ .

ومن مرويات التستري الذي وصف نفسه بالتحقيق ما رفعه الى ميثم التمار أنه قال : كنت بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكأناه البدر بين الكواكب إذ دخل علينا طويل عليه قباء خزري أدكن وقد اعتم بعمامة خضراء وهو متقلد بسيفين فدخل وبرك بغير سلام ولم ينطق بكلام ، فتطاوت اليه الأعناق ونظروا اليه وقد وقف عليه الناس من جميع الآفاق وأمير المؤمنين عليه السلام لا يرفع رأسه ، فلما هدأت من الناس الأنفاس والحواس أفصح عن لسان كأنه حسام جذب من غمده وقال : أيكم المجتبي في الشجاعة والمعمم بالبراعة ، أيكم المولود في الحرم ، والعالى في الشم ، والموصوف في الكرم الأصلع البطل الدعاس المضيق للأنفاس والآخذ بالقصاص ، أيكم غصن ابي طالب وبطله المهيب والسهم المصيب ، أيكم خليفة محمد الذي نصره في زمانه واعتز به سلطانه وعظم به شأنه ، فعند ذلك رفع أمير المؤمنين اليه رأسه وقال : مالك يا أبا سعد بن الفضل بن ربيع بن مدركة بن الأشعث بن أبي اسحق الرومي ، سل عما شئت ، قال : قد بلغنا عنك انك وصي رسول الله وخليفته على قومه من بعده ، انك محل المشكلات وأنا رسول إليك من ستين ألف رجل يقال لهم العصمة وقد حملوني ميئاً من مدة قد اختلفوا في سبب موته وهو بباب المسجد فان أحبيته علمنا انك صادق نجيب الأصل وتحققنا انك خليفة محمد على قومه وإن لم تقدر على ذلك رددناه الى قومه وعلمنا أنك تدعي غير الصواب ، وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه ، قال أمير المؤمنين : يا ميثم ، اركب بعيرك وناد في شوارع الكوفة ومحالها ، من أراد أن ينظر إلى ما اعطى الله علياً اخا رسوله وزوج ابنته من العلم الرباني فليخرج الى النجف ، فخرج الناس إلى النجف ، فقال عليه السلام : يا ميثم ، هات الاعرابي وصاحبه ، قال ميثم : فخرجت فرأيت راكباً تحت القبة التي فيها الميت فأثبت بها إلى النجف ، فعند ذلك

قال علي بن الحسين : قولوا فينا ما ترون وأروا عنا ما تشاهدون منّا ، ثم قال : يا اعرابي ، ابرك الجمل واخرج صاحبك انت وجماعة من المسلمين ، قال ميثم : فاخرجنا فأبوتاً فيه غلام أول ما تم عذاره على خده بذوائب كذوائب المرأة الحسناء ، فقال علي بن الحسين : كم لبيتم هذا ؟ قالوا احدى وأربعون يوماً ، قال : وما سبب موته ؟ قال الاعرابي : ان اهله يريدون ان تحبسه ليخبرهم من قتله لأنه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من اذنه الى اذنه ويطالب بدمه خمسون رجلاً يقصد بعضهم بعضاً فاكشف الشك والريب يا أخا محمد ، قال علي بن الحسين : قتله عمه لأنه زوجه ابنته فخلها وتزوج من غيرها فقتله حقاً عليه ، فقال الاعرابي : لا نقتنع بقولك فلما نريد ان يشهد لنفسه عند أهله لترفع الفتنة والسيف والقتال ، فعند ذلك قام الامام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : والله ما بقرّة بني اسرائيل بأجل عند الله مني قدراً ، ثم دفن من الميت وقال له : قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن غسان بن بحر بن فهر فقد أحياك الله على يد علي بن ابي طالب ، قال ميثم التمار : فنهض غلام أضوا من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً وقال لبيك لبيك يا حجة الله على الأنام المتفرد بالفضل والإنعام ، فقال له الامام : من قتلك ، قال : قتلني عمي الحارث بن غسان ، فقال له الامام : انطلق الى قومك ، فقال : يا مولاي ، لا حاجة لي إليهم ، أخاف أن يقتلوني مرة أخرى ، فالتفت الامام إلى صاحبه وقال له : امض الى قومك واخبرهم ، وبقي للغلام مع أمير المؤمنين الى ان قتل بصفين .

لقد حارب أمير المؤمنين فكرة الغلو بشدة حينما ظهرت بوادرها بقيادة عبد الله بن سبا كما يدعي الاخباريون والمحدثون وعاقب عليها بالقتل والاحراق بالنار ، وكان يحرص أشد الحرص على أن يبقى في الأذهان والأفكار صورة

للإنسان الخالق الذي لا يستطيع أن يفعل شيئاً ما لم تمده القدرة الإلهية بعنايتها ورعايتها ، ولم يقدم على أي عمل تضيق به عقول العامة ويستغله المشعوذون لتنفيذ مخططاتهم وأغراضهم التي تستروا بالتشيع والولاء لتحقيقها.

ولو تغاضينا عن كل ذلك ، فإذا صح أنه قد دعا الناس في الكوفة دعوة عامة لمشاهدة هذا الحدث العظيم ، فمن المقطوع به أنه لم يتخلف عن الحضور إلا القليل النادر .

وحادثة من هذا النوع لا يمكن أن يتجاهلها التاريخ وتتناسها تلك الألوف التي تكدست يوم ذاك لمشاهدتها كما يزعم الراوي في حين أنه لم يتعرض لها إلا التسري في القضاء المنسوب لعلي عليه السلام وغيره من حشوية الشيعة الذين لا يفرقون بين الجوهر والخصى ، مع العلم بأن التاريخ قد أحصى أصغر الحوادث ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، وقد اختار الوضاعون والقصاصون ميثاً لأن يكون بطل هذه الاسطورة لأنه كان صدوقاً فيما يحدث وصادق الحب والولاء لعلي وآله الكرام ، وإذا جاءت الرواية عن طريقه فستكون في حسابه أقرب إلى التصديق مما لو كانت عن طريق غيره من المشبوهين والمجهولين .

وهكذا كان يضع الوعاظ والقصاصون فيخترعون أحياناً سنداً لأساطيرهم من أشخاص لا وجود لهم في هذه الدنيا ويربطونه بأحد المعاصرين للامام أو النبي أو غيرهما ممن عرفوا بالوثاقة والاستقامة .

ومن المرفوعات التي أوردتها التسري في القضاء المنسوب لعلي عليه السلام أن غلاماً طلب مال أبيه من عمر بن الخطاب وذكر له أن والده توفي والولد طفل في المدينة ، فصاح عليه عمر وطرده من مجلسه ، فخرج الغلام يتظلم منه فلقبه علي وقال لمن معه : انتوني به إلى الجامع حتى اكشف أمره ، فجاء به وسأله عن حاله ، فأخبره بخبره ، فقال : لاحكن فيكم بحكمة حكم بها الله

من فوق سبع سموات ، لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعله ، ثم استدعى بعض أصحابه وقال : هات مجرفة ، وسار معهم إلى قبر والد الصبي وأمرهم بنبشه واخراجه واستخراج ضلع من أضلاعه ، فأخذ الضلع ودفعه الى القلام وقال شمه ، فلما شمه انبعث الدم من سحريه ، فقال له : انت ولده ، فقال له عمر بانبعث الدم أتسلم اليه المال ؟ فقال علي عليه السلام : انه أحق بالمال منك ومن سائر الناس أجمعين ، ثم أمر الحاضرين بشم الضلع ، فشموه فلم ينبعث الدم منهم ، فأمر أن يعاد اليه ثانياً ، فلما أعيد اليه وشمه انبعث الدم ثانياً أكثر من المرة الاولى ، فقال عليه السلام : انه ابوه سلم له المال ، والله ما كذبت ولا كذبت .

وهذه الرواية كغيرها من مرويات القضاء الذي نسبته للتستري لعلي عليه السلام وأكثرها لم يستوفِ شروط العمل بالرواية ، لا من حيث السند ولا من حيث المتن .

هذا بالإضافة الى ان علياً عليه السلام كان له من علمه الغزير الواسع بالقضاء وغيره من غوامض الكون وأسرار الكائنات ما يغنيه عن الالتجاء الى هذه التمثيلية الغريبة التي لا تقبلها العقول ولا تحيط بها الافهام ، وفي الوقت ذاته فإنها تفسح للمشعوذين والمضللين ان ينفثوا سمومهم وأباطيلهم التي تلوث التشيع وتلقي عليه ضباباً كثيفاً يحول الانظار عن واقعه الذي يعكس القرآن وسيرة الرسول الكريم وسلته .

وروي عنه في الفصل السادس الذي أجاب به عن بعض المسائل الحسابية والرياضية على حد تعبير للتستري ، روي أن ثلاثة رجال جاؤوه يختصمون في سبعة عشر بعيراً ، يدعي احدهم نصفها والثاني ثلثها والثالث تسعها ، وطلبوا منه ان يقسمها بينهم بدون كسر ، فقال لهم : أترضون أن أضع بينها بعيراً من مالي واقسمها بينكم بدون كسر ، فقالوا نعم ، فوضع بعيراً معها فصارت

ثمانية عشر ، فأعطى لمدعي النصف تسعة ، ولمدعي الثلث ستة ، ولمدعي التسع اثنين ، وبقي له بغيره .

وبلا شك ان هذا التقسيم يخالف للواقع ، لان كلا منهم قد أخذ أكثر من حقه ولا يصح على علي عليه السلام ان ينحرف عن الحق أو يفضل أحداً من الناس .

كما روي عنه أن رجلاً سألوه وهو يخطب على منبر الكوفة عن تقسيم ميراث من مات وترك زوجة وأبوين وبنيتين ، فأعطى المرأة التسع ، أي ثلاثة من سبعة وعشرين ، والبنيتين ستة عشر سهماً ، وللابوين ثمانية أسهم ، وهو العدل الذين أعلن رأيه فيه بصراحة في مقابل من ذهب اليه من المسلمين ومضى عليه الأئمة (ع) وشيعتهم ، ولم يخالف في ذلك أحد من فقهاء الشيعة .

وروي عنه أيضاً في توزيع الميراث أنه ورث الأخت والأخوة مع البنين وهو عين التعصيب الذي أعلن رأيه فيه وفي مقابل من ذهب اليه من الصعابة والمعروف من مذهب الامامية بطلانه منذ أقدم العصور ، والخلاف بين السنة والشيعة في العدل والتعصيب من أبرز الخلافات بينهم في توزيع الميراث .

وقد روى التستري في كتابه الذي يحمل اسم القضاء ألواناً من القصص والنوادر ، بعضها بعنوان الالغاز ، وبعضها بعنوان النجوم والفلك ، وبعضها بعنوان الكيمياء والنحو والصرف ، الى غير ذلك من المواضيع التي طرقها في الكتاب المذكور ، وأكثر مروياته من نوع المراسيل التي لا يصح الاعتماد عليها ولا الأخذ بها ، هذا بالإضافة الى بعض القصص والحكايات التي لا يصح نسبتها الى الامام عليه السلام ولا الى أحد من العلماء .

والشيء الغريب أن مؤلف القضاء الذي نتحدث عنه قد ألف كتاباً بعنوان « الاخبار الدخيلة » ، وما أبعد ما بين الكتابين ، فكتابه الثاني يدل على علم بالرواة والروايات ، وعلى عمق في التفكير وذوق سليم ، وعلى أساس

المنهج الذي سلكه في نقد الروايات ، فلا يسلم من مروياته في الكتاب الاول
إلا القليل النادر .

واني إذ أقف عند هذا الحد اعتقد بأنني قد قمت بواجبي من التشهير بهذا
النوع من الكتب حتى لا تكون سلاحاً بيد الداسين والمرجفين والله من
وراء القصد .

وجاء في مختصر بصائر الدرجات عن جماعة منهم احمد بن محمد بن خالد
البرقي عن أبي حمزة الثمالي عن ابي جعفر الباقر: أن علياً عليه السلام كان يقول: أنا
صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقبات والدولات المعجيات
وأنا قرن من حديد وأنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وصاحب الجنة والنار
وإليّ إياب الخلق جميعاً ، وأنا بارز الشمس ودابة الارض ، وأنا الذي علمت
علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والانساب ، وأنا صاحب المعصي
والميسم ، وانا الذي سخرت لي السحاب والرعد والبرق والظلم والانوار
والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر ، وانا الذي اهلكت عاداً وثمود
واصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً ، وانا صاحب مدين ومهلك فرعون
ومنجي موسى ، الى غير ذلك من الصفات التي وصف بها نفسه على حد زعم
الرواة لهذه الرواية ، تلك الصفات التي لا تليق بغير الله سبحانه ولا تجوز على
غيره كائناً من كان ، وتأويل بعضها وان كان ممكناً ، إلا أن البعض الآخر
يأبى عن التأويل مثل قوله : انا بارز الشمس وانا الذي اهلكت فرعون
وأنجيت موسى بن عمران ، وإليّ إياب الخلق وحسابهم ، وانا صاحب
الكرات والرجعات والدولات المعجيات ونحو ذلك .

ومن الغريب ان الرواة لهذه الرواية كلهم من الموثقين والمدوحين إذا

استثنينا احمد بن محمد بن خالد البرقي (١) ومن الجائز ان تكون الرواية من جملة الموضوعات التي دسها الوضاعون في كتب الموثقين من اصحاب الصادق وابيه الباقر (ع) كما تشير الى ذلك رواية الامام الرضا عليه السلام التي جاء فيها ان اصحاب ابي الخطاب يدسون الى يومنا هذا في كتب اصحاب الصادق ، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن ، فإننا إذا حدثنا لا نحدث إلا بموافقة القرآن والسنة ، ان كلام آخرنا لكلام أولنا ، وكلام أولنا مصدق لكلام آخرنا ، وإذا اتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه ، فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نور ، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان .

وجاء في مختصر البصائر عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن سعد الجلاب عن جابر الجعفي ان الامام الباقر قال : ان الحسين بن علي (ع) قال لاصحابه قبل ان يقتل : ان رسول الله قال لي : يا بني ، انك ستساق الى أرض العراق وهي أرض قد التقى فيها النبيون وأوصياء النبيين ، وانك تستشهد ويستشهد معك جماعة من اصحابك لا يجدون ألم مس الحديد ، ثم تلا : يأتاك كوفي برداً وسلاماً على ابراهيم ، فوالله لئن قتلونا فإننا نرد على نبينا، ثم أمكت ما شاء الله فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأخرج خرجة توافق خروج أمير المؤمنين وقيام قائمتنا وحياة رسول الله ، ثم لينزلن عليّ وفد من السماء من عند الله سبحانه لم ينزل الى الأرض قط ، ولينزلن إليّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجنود من الملائكة ، ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من آمن الله عليه في حمولات من حمولات الرب على خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثم ليهزن محمد لواءه وليدفعنه الى قائمتنا عليه السلام مع سيفه ، ثم إنا نمكث بعد ذلك ما شاء الله ونخرج الله من مسجد الكوفة

(١) فلقد جاء عنه انه كان يعتمد الضعفاء والراشيل ويروي الغرائب ولا يبالي عن اخذ كما جاء في منهج المقال وغيره .

عيناً من دهن وعيناً من لبن وعيناً من ماء ، ثم يدفع لي أمير المؤمنين سيف رسول الله ويبعثني الى المشرق والمغرب ، فلا آتي على عدو من أعداء الله إلا أهرقت دمه ، ولا أدع صنأ إلا أحرقتة حتى أقع الى الهند فأفتنحها ، وان دانيال ويوشع يخرجان مع أمير المؤمنين عليه السلام ويبعث الله معهم سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم ، ويبعث بعثاً الى الروم فيفتح الله لهم ، ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب ، وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل الاسلام ، فمن أسلم مننت عليه ، ومن كره الاسلام اهرق الله دمه ، ولا يبقى على وجه الأرض رجل من شيعةنا إلا أنزل الله عليه ملكاً يسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنازله في الجنة ، ولا يبقى على وجه الارض أعشى ولا مقعد ولا معتل إلا كشف الله عنه بلاءه .

وهذه الرواية يبدو عليها الاضطراب والتشويش والتهافت في متنها ، وقد نصت على أمور لم يلتزم بها أحد حتى من القائلين بالرجعة لأن الذين قالوا برجعة الأئمة (ع) يدعون أن النبي صلى الله عليه وآله يرجع أولاً ومعه من كان في عصره من المشركين والمنافقين لينتقم منهم ، ثم يرجع علي عليه السلام وهكذا غيره من الأئمة واحداً بعد واحد ، والرواية تنص على ان الحسين يرجع مع المهدي في وقت واحد يوافق خروج أمير المؤمنين وان محمداً في ذلك الوقت وعلياً ينزلان من السماء مع الملائكة في حمولات الرب ، وان الحسين يخرج مع والده علي (ع) في وقت واحد ، هذا بالإضافة الى بقية الغرائب التي اشتمل عليها الحديث .

ويكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات ابي سعيد سهل بن زياد وهو من المشهورين بالكذب ووضع الأحاديث ، والمعروفين بالغلو ، وجاء عنه انه كان فاسد الرواية والمذهب ، وقد رواها عن سعد الجلاب وهو من الجهولين ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، والراوي الأخير لها هو جابر الجعفي ،

وجاء عنه انه كان مغلطاً يعتمد الضعفاء والمراسيل ويروي عن لا يجوز الاعتماد على مروياته (١) .

وروي أيضاً عن الفضل بن شاذان عن الحسن بن محبوب عن عمر بن أبي المقداد عن جابر الجعفي انه قال : سمعت ابا جعفر يقول : والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعا ، قلت متى يكون ذلك ؟ قال : بعد القائم ، قلت : ولم يقوم القائم في عالمه ؟ قال : تسع عشرة سنة ، ثم يخرج المنتظر فيطلب بدم الحسين ودم أصحابه ، فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح .

ووردت هذه بطريق آخر وجاء فيها : ان المنتظر يقتل ويسبي حتى يخرج السفاح وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

ويبدو من هذه الرواية ان القائم غير المنتظر وان القائم يخرج أولاً ، ثم يخرج رجل من أهل البيت يملك ثلاثمائة وتسع سنوات ، ثم بعد ذلك يخرج المنتظر فيطلب بدم الحسين ~~عليه السلام~~ وكلمة المنتظر تشير الى الامام الثاني عشر .

وجاء في بعض المرويات حول هذا الموضوع ان الحسين نفسه يخرج ليأثر لنفسه من قاتليه وأنصارهم .

هذا النحو من الاضطراب والتهاافت يدعو الى الوقوف موقف الحذر من هذه المرويات ويدعو الى التساؤل لا سيما بعد التعبير عن علي بالسفاح كما جاء في الرواية الثانية .

أما الرواية لهذه المجموعة من الاحاديث فلا تكاد تجد رواية منها يمكن الاطمئنان لسندها ، فقد جاء في عمر بن أبي المقداد عن الامام الصادق ما يشعر

انظر ص ٢٩٨ من منهج المقال ترجمة سهل بن زياد وص ٢٦٦ ترجمة جابر الجعفي .

بذمه ، وقد ضعفه الغضائري ، وأما جابر الجعفي الذي تنتهي اليه أكثر أسانيد هذه الرويات ، فقد تحدثنا عنه أكثر من مرة في هذا الكتاب ، ولو افترضنا أن رجال السند كلهم من الموثوقين فيكفيننا ما جاء في متنها من الاضطراب والتشويش كما ذكرنا .

وروي في البصائر عن الحسين بن علي بن سفيان البزفوري عن علي بن سنان الموصلي عن علي بن الحسين عن احمد بن محمد بن الخليل عن جعفر بن محمد المصري عن عمه الحسن بن علي عن الامام الصادق : ان رسول الله ﷺ قال لعلي في الليلة التي كانت فيها وفاته : يا أبا الحسن ، أحضر صحيفة ودواة فأملئ رسول الله وصيته ، وجاء فيها : يا علي سيكون بعدي اثنا عشر اماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا ، فأنت يا علي أول الاثنى عشر من الأئمة ، سمالك الله في سمائه عليا المرتضى وأمير المؤمنين والصديق الأكبر والفاروق الأعظم والمأمون والمهدي ، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك .

ومضى الراوي يعدد الأئمة بأسمائهم حتى انتهى الى الثاني عشر محمد بن الحسن ، واستطرد يقول : ثم يأتي من بعدهم اثنا عشر مهديا ، فاذا حضرته الوفاة فليسلمها الى ابنه أول المهديين له ثلاثة أسماء ، اسم كاسمي واسم كاسم ابي عبد الله واحمد والاسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين .

والرواة لهذه الرواية كلهم من المجهولين ما عدا البزفوري فلقد عده القمي في الكنى والألقاب من اجلاء الطائفة وثقاتها وكذا غيره من المؤلفين في أحوال الرواة والبزفوري المتهم بالكذب والموصوف بالضعف هو ابن زكريا العدوي كما تنص على ذلك كتب الرجال (١) ولو افترضنا ان الرواة لها من الثقات

(١) فقد جاء عن احمد بن محمد بن الخليل انه مجهول الحال، وجاء ذلك أيضاً عن علي بن سنان الموصلي كما جاء عن جعفر بن محمد المصري انه كان مجهولاً وهو من عهدي القرن الرابع روى عنه التلمكبري سنة ٣٤٠ .

الممدوحين فلا يمكن الالتزام بضمونها لانها تنص على اثني عشر اماماً واثني عشر مهدياً من بعدهم والمذهب الشيعي لا يعترف غير الأئمة الاثني عشر ، والمهدي المنتظر عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري وهو الامام الثاني عشر لا عبد الله ولا احمد كما جاء في هذه الرواية ، وبلا شك فان الذين وضعوا اسطورة الاثني عشر مهدياً وضعوها للتشويش على الأئمة الاثني عشر .

وروي في البصائر عن محمد بن عيسى بن عبيد عن الحسن بن علي عن جعفر بن بشير عن عمر بن ابان عن معتب غلام الصادق عليه السلام انه قال : كنت مع ابي عبد الله الصادق بالعريض فجاء يتمشى حتى دخل مسجداً كان يتعبد فيه والده وهو يصلي في موضع من المسجد ، فلما انصرف قال : يا معتب أترى هذا الموضع ، قال : نعم ، قال : بيننا ابي قائم يصلي في هذا المكان إذ دخل شيخ يمشي حسن السميت فجلس فيينا هو جالس إذ جاء رجل آدم حسن الوجه والسمه ، فقال للشيخ : ما يحلسك ، ليس بهذا امرت ، فقاما وانصرفا وتواريا عني فلم أر شيئاً ، فقال لي أبي : يا بني ، هل رأيت الشيخ وصاحبه ؟ قلت : نعم فمن هما ، قال : الشيخ ملك الموت والذي جاء وأخرجه جبرائيل .

والرواية لهذه الرواية بين مجهول الحال كجعفر بن بشير ومعتب غلام الصادق ، وبين من اتهمه المؤلفون في احوال الرواية بالكذب والغلو كمحمد بن عيسى بن عبيد ، واما الحسن بن علي ، فسواء اريد به الحسن بن علي الهمداني ، أو الحسن بن علي بن زكريا البزفوري ، أو الحسن بن علي الملقب سنجادة أو الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني ، فهؤلاء كلهم من المتهمين بالكذب والانحراف عن التشيع الصحيح لاهل البيت .

وروي الصدوق في اكمال الدين واثام النعمة عن محمد بن احمد الطوال عن الحسن بن علي الطبري عن محمد بن علي بن ابراهيم بن مهزيار عن جده علي

بن ابراهيم بن مهزيار انه قال: كنت نائماً في مرقدني اذ رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي: حج فانك تلقى صاحب زمانك، فانتبھت وانا فرح مسرور لما زلت في الصلاة حتى الفجر والصبح، فلما فرغت من صلاتي خرجت أسأل عن الحاج فوجدت فرقة تريد الخروج فبادرت مع أول من خرج فما زلت كذلك حتى خرجوا وخرجت معهم اريد الكوفة، فلما وافيتها زلت عن راحلتي وسلمت متاعي الى ثقات اخواني وخرجت أسأل عن آل ابي محمد فلم أجد أثراً ولا سمعت خبراً، ثم خرجت مع أول من خرج اريد المدينة، فلما دخلتها لم أتمالك، ان زلت عن راحلتي وسلمت رحلي الى ثقات اخواني وخرجت أسأل عن الخبر وأقفوا الأثر، فلا خبراً سمعت ولا أثراً وجدت، فلم أزل كذلك الى ان نفر الناس الى مكة وخرجت مع من خرج حتى وافيت مكة ونزلت واستوثقت من رحلي وخرجت أسأل عن آل محمد، فما زلت بين اليأس والرجاء متفكر في أمري وعائلاً على نفسي وقد جن الليل، فقلت أرقب الى ان يخلو لي وجه الكعبة، فلما قمت الى الطواف اذا أنا بفتى ملبح الوجه طيب الرائحة فرعته، فالتفت إلي وقال: من الرجل؟ فقلت: من الاهواز، فقال: اتعرف بها ابن الخطيب؟ فقلت رحمه الله، دعي فأجاب، فقال: رحمه الله، لقد كان بالنهار صائماً وبالليل قائماً وللقرآن تالياً ولنا موالياً، فقال: اتعرف علي بن ابراهيم بن مهزيار، قلت: أنا علي بن مهزيار، فقال: مرحباً وأهلاً بك وسهلاً، فقال: اتعرف الصريحين قلت: نعم، قال: من هما؟ قلت محمد وموسى، ثم قال: علمت العلامة التي بينك وبين ابي محمد، فقلت: معي، فأخرجتها اليه، فاذا هي خاتم علي فسه محمد وعلي، فلما رأى ذلك بكى بكاءً طويلاً، ثم قال: سر الى رحلك وكن على أهبة السفر.

ومضى الراوي في حديث طويل يصف المراحل التي مر بها والصعوبات التي اعترضته حتى انتهى الى كثيب من رمل فوقه بيت من شعر يتوقد نوراً ، فاستأذن له ، فدخل على الامام عليه السلام وأخبره بما سيكون ووقت له خروجه .

وفي رواية ثانية انه وجده مع اخيه موسى بن الحسن العسكري شريكه في الامر فأقام معها أياماً يستفيد من علمها ، ثم ودعها وانصرف ، في رواية طويلة يبدو عليها التكلف والافراط في الوصف .

وأغرب ما فيها انها تنص على ان للامام الحجة محمد بن الحسن عليه السلام اسماً موسى كانا معاً غائبين عن الناس وهو مخالف لاجماع الامامية والمؤرخين أيضاً ، ونص المؤرخون على ان جعفر ابن الامام الهادي قد ادعى الامامة بعد أخيه بحجة انه مات عقيماً ، وحاول الحكم بكل ما لديهم من قوة ان يحصروا أرث الامام العسكري بأخيه جعفر المذكور ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، وأظهر الله الحق للجماعة من الشيعة فرجعوا الى امامة ولده الوحيد محمد بن الحسن ، ولم يدع أحد من الفريقين ان له أخاً يدعى موسى كما يزعم الراوي ، هذا بالإضافة الى الاضطراب والتشويش في متني هاتين الروايتين ، فلقد جاء فيها انه جد واجتهد على أن يجد خبراً وذكراً لآل محمد فلم ينته الى نتيجة ، مع ان حديث السفراء الاربعة كان مشهوراً ومعالمواً في ذلك العصر ، وكان الشيعة على اتصال دائم به بواسطة سفرائه .

وجاء في الروايتين أيضاً انه اجتمع اليه وطالت اقامته عنده ، في حين ان اكثر النصوص تؤكد على انه لا يظهر لأحد ظهوراً كاملاً بحيث يعرفه بشخصه ويأنس اليه .

كما جاء في الروايتين انه رآه أولاً بمكة ، وذكر صفاته وخصائصه ، ثم

قال بعد ذلك : انه طلب منه ان يدلّه عليه ، فأخذه وعرفه عليه ، الى غير ذلك من التخليط والتشويش في متن هاتين الروايتين .

وجاء في ترجمة الرازي للحديث ابراهيم بن مهزيار ، انه كان من سفراء الامام الحجة ، ومن أبواب الامام العسكري ، وكان دليله .

ويروون عنه ان أباه دفع اليه مالاً عظيماً ليسلمه الى الحجة ان طالب بالمال من تلقاء نفسه وبين مقدار الأموال ، فخرج من الاهواز لبغداد فأخبره العمري عن المال فدفعه اليه بأمر الامام (١) .

والرواية تنص على انه فحص واجتهد أولاً فلم يجد لذكره أثراً وان الذي دفعه الى الفحص والتفتيش عنه طيف كان قد رآه ، وبهذا الدافع خرج من الاهواز وكان في حيرة وشك من أمره .

ومها كان الحال فلقد ذكرنا أكثر من مرة أن صحة السند وسلامته من العيوب لا تمنع من رد الرواية اذا لم يكن متنها سليماً من العيوب ، ويكفيها عيباً اشتغالها على ولدين للامام العسكري عليه السلام .

وجاء في الاخبار الدخيلة للتستري ان الذين استقصوا أخبار الحجة لم يذكروا ابراهيم بن مهزيار فيمن شاهده واجتمع اليه (٢) .

وقد رجح جماعة من المحدثين ان وفاة ابن مهزيار كانت بعد وفاة العسكري بزمان يسير .

وعلى أي الأحوال فاني اترك الحديث عن المرويات حول محمد بن الحسن

(١) انظر رجال الرضا محمد حرق المعزة .

(٢) الاخبار الدخيلة ص ١١٧ .

الحجة المنتظر عليه السلام والرجعة وغيرها من المواضيع الى كتاب آخر يستوعب هذه المواضيع بحول الله وقوته ، وأعود الى مرويات الشيخ رجب البرسي^(١) في كتابه مشارق انوار اليقين في اسرار أمير المؤمنين ، هذا الكتاب الذي طبع مراراً في العراق وايران وأخيراً في بيروت (دار الأندلس) والذي حشد فيه مؤلفه مئات الاحاديث المكذوبة على أهل البيت (ع) والكتاب يقدره الشيعة والكشفية والغلاة لانه يمثل الغلو ويؤيد عقائدهم الفاسدة المزيفة التي تتنافى مع اصول الاسلام فضلاً عن اصول التشيع ، والشيء المؤسف ان يعاد طبع الكتاب في ايران والعراق بدون تعليق عليه حتى لا تتخدع العامة ولا يتخذة اعداء الشيعة وصمة على التشيع وسلاحاً يطعنون به التشيع في الصميم ، وفي الوقت ذاته يمكن ان يكون للتعليق عليه والتنويه بأخطاره أثره في ردع بعض المحترفين لتجارة الكتب والمتاجرين بالدين كبعض المؤسسات المشبوهة الموجودة حالياً في بيروت وغيرها التي تتاجر بمثل هذه الكتب التي تسيء الى أهل البيت وتخدم أخصامهم لاغراض تدعوني الحاجة فعلاً الى تقييمها وتحديد أخطارها ، غير اني لا استطيع ان امر بهذه الكتب وانا أرى كتاب البرسي والقضاء المنسوب لعلي عليه السلام تأليف التساري وغيرها من كتب الحديث التي قبّاع في اسواق بيروت وتعرض في مواقع الزحام كالفجل والبصل وتتناقلها ايدي الطوائف المختلفة وكلها تقدس علماً وتجهل لانه

(١) هو الشيخ رجب بن الشيخ محمد بن رجب البرسي من علماء الامامية وفقهائهم في القرن التاسع الهجري ؛ وجاء في الكنى والالقب في ترجمته ان العلامة المجلسي قال : ان له كتاب مشارق الانوار وكتاب الألفين ولا اعتمد على ما ينفرد بنقله لاشتمال كتابيه على الحبس والخلط والارتفاع ، وقال الحر العاملي : ان في كتابه افراطاً وربما نسب الى الغلو ، والبرسي ينسب الى قرية بين الكوفة والحلة يقال لها برس ومن مؤلفاته كما جاء في غدير الآمينين الدر الثمين في خاتمة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتفاق أكثر المفسرين على حد تعبيره .

قدم من سيرته وسياسته يوم كان حاكماً ومحكوماً أقصى ما يمكن ان يقدمه انسان هذه الدنيا من المثل في جميع المجالات لجميع بني الانسان - لا لانه يستمد عظمته من الاساطير والقيبيات التي تقدمها هذه المؤلفات التي تضر ولا تنفع ، وتفسد ولا تصلح ، وتسيء إلى الأئمة الهداة ولا ترشد احداً الى واقعهم الذي يهب العطاء والبذل بسخاء لكل من يريد ان يتلمس مواقع الخير ومصادر الرشد والفوز والهداية في جميع المجالات .

ولم أجد من وضع البرسي وكتابه من المعاصرين في قفص الاتهام وحذر من اقتنائه وقرأته سوى البعثة حجة الاسلام المغفور له السيد الأمين في كتابه « اعيان الشيعة » ولكنه ومع الأسف الشديد تعرض لهجمات عنيفة قاسية من الشيخ الأميني في المجلد السابع من غديره من غير ان يقدم ولو دليلاً واحداً على براءة البرسي مما نسب اليه سوى بعض المرويات التي يعتمدها البرسي نفسه بالإضافة الى بعض التشويهات والألفاظ الفارغة ، مع أن أكثر المترجمين للبرسي قد اتهموه بالغلو والخطب والخلط ، ومع ذلك فلقد اتجه الأميني للسيد الأمين وحده ، ولا بد وأن يكون لذلك سر لا يعيننا تحديده في هذا الكتاب .

ولا اريد بذلك ان ادافع عن السيد الأمين ، فالسيد أرفع شأناً من أن يرسل كلامه بدون قصد وتدبر كما يدعي الشيخ الأميني في غديره ، ففي كتاب المشارق عشرات الشواهد على تبني البرسي لأراء الغلاة التي لا تتفق مع التشيع السليم ، ويبدو من تحيزه للبرسي انه لم يتدبر مشارق الأنوار ولم يعن النظر في اساطيره ومروياته ولو انه أمعن النظر فيها لوقف منها نفس الموقف الذي وقفه السيد الأمين وغيره من الباحثين الذين لا يهمهم الا احقاق الحق ومحاربة البدع .

وسأقدم في كتابي هذا بعض الأمثلة من مشارق البرسي لاثبات هذه الحقيقة ، فقد جاء في ص ٢٣ ان سورة الفاتحة هي سورة الحمد ، وقد شرفها الله في الذكر وأضاف اليها القرآن ، فقال عز اسمه : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني » فأفردتها في الذكر وذكرها اجمالا وافرادا لشرفها ، وهذا مثل قوله : « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » أدخلها اجمالا وأفردتها إجمالا ، والصلوة الوسطى هي صلاة المغرب ظاهرا ، وفي وقت أدائها تفتح أبواب السماء ويجب التمجيل بها لقوله : عجلوا في المغرب ، وأما في الباطن والرمز فهي فاطمة الزهراء لأن الصلوات الخمس في الحقيقة هم السادة الخمسة الذين اذا لم يعرفوا ولم يذكروا فلا صلاة ، فالظهر هي رسول الله ومن ثم بدا النور أول ما خلقه الله نوره وأول ما خلق الله اللوح وأول ما خلق الله القلم ، فالعقل نور محمد واللوح والقلم علي وفاطمة ، واليه الاشارة بقوله : « تَوَالِقَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » وفريضة العصر أمير المؤمنين ، والمغرب الزهراء ، أمر الله بالمحافظة على حبها وتعظيمها وحب عترتها ، فصغروا قدرها وحقروا عظيم أمرها لما غربت عنها شمس النبوة ، وحبها الفرض وتقام الفرض وقبول الفرض ، لأن النبي حصر رضاه في رضاها ، فقال : يا فاطمة ، لا يرضى الله حق ترضي ، ومعنى هذا الرمز ان فاطمة ينبوع الأسرار وشمس العصمة ، لأنها بضعة النبي ﷺ . الى غير ذلك من السخف الذي اشتمل عليه هذا الفصل وغيره من الفصول التي عقدها لبيان اسرار الحروف وحساباتها التي لا تحصى الواقع على حد زعمه .

وقد نسب لعلی بن ابي طالب انه قال : بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبين العابد من المعبود ، وما من شيء الا والباء مكتوبة عليه ، فاذا قلت الله فقد نطقت بسائر الأسماء ، واذا كتبت الألف فقد نطقت بسائر الحروف ، واذا نطقت

بالواحد فقد ضمننت سائر الأعداد ، وإذا قلت النقطة فقد حصرت سائر
العوامل ، و اضاف الى ذلك قوله :

يا رب بالآلف التي لم تعطف وبنقطة هي سر كل الاحرف
وبقافها الجبل المحيط وصادها البحر الذي بظهوره لا يختفي

ويعني البرسي في علم الرموز فيصف الاعداد وبعض النقط والكلمات
وأسرارها الحفية وحقايقها التي لم يطلع عليها الا امثال البرسي .

ويقول بعد ذلك : واليه الاشارة بقوله تعالى : « الله خلق السماوات
والأرض في يومين » ويضيف الى ذلك والى هذا الاشارة بقوله عز وجل : اول
ما خلق الله نورين ، ثم فتق منه نور علي عليه السلام فلم نزل نتردد في النور حق
وصلنا الى حجاب العظمة في ثمانين الف سنة ، ثم خلق الخلائق من نورنا ،
فنحن صنائع الله والخلق من بعد صنائع لنا ، اي مصنوعين لاجلنا ، ويؤيد
ذلك على حد زعمه ما رواه جابر في تفسير قوله تعالى : « كنتم خير أمة
أخرجت للناس » ان رسول الله قال في تفسيرها : اول ما خلق الله نوري
ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته ، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل
الى جلال العظمة في ثمانين الف سنة ، ثم سجد لله تعظيماً فتفتق منه نور
علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة ، ثم خلق
العرش والروح والشمس والقمر والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار والعقل
والمعرفة وأبصار المباد واسماعهم وقلوبهم من نوري ، ونوري مشتق من
نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن الشافعون. وهكذا
يعني الراوي فيقول : ان النبي ما زال يقول فنحن الى ان مل السامعون. الى
غير ذلك من غرائب المشرق للبرسي المطبوع اخيراً في بيروت بواسطة بعض
محرفي تجارة الكتب بوحى من بعض الجهات المشبوهة حسماً اظن .

وبعد ان ينتهي البرسي من اسرار الحروف والنقط والكلمات ينتقل الى فضائل علي عليه السلام فيروي عن عبيد السكسي عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام ان علياً لما رجع من صفين وقف على شاطئ الفرات وأخرج قضيباً أخضر ضرب به الفرات والناس ينظرون اليه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً كل فرق كالطود العظيم ، ثم تكلم بكلام لم يفهموه فأقبلت الحيتان رافعة أصواتها بالتكبير والتهليل وقالت السلام عليك يا حجة الله في أرضه وسمائه وعين الله الناضرة لعباده خذلك قومك كما خذل هارون بن عمران قومه .

والراوي لهذا الحديث من المجهولين كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرواة ، ومن غرائب ان رجلاً من الخوارج مرّ بأمير المؤمنين ومعه حوتان من الجري على حد تعبیر البرسي قد غطاهما بثوبه ، فقال له امير المؤمنين : بكم اشتريت ابويك من بني اسرائيل ، فقال له الرجل ما اكثر ادعاءك الغيب ؟ فقال له امير المؤمنين اخرجها فأخرجها ، فقال لها من انتما ؟ فقالت احداهما انا ابوه وقالت الاخرى انا امه .

ومنها ان رجلاً قدم الى امير المؤمنين فاستضافه فاستدعى قرصاً يابساً من شعير وقعباً فيه ماء ، ثم كسر قطعة من القرص فألقاها في الماء ، ثم قال للرجل تناولها ، فأخرجها الرجل فإذا هي فخذ طائر مشوي ، ثم رمى أخرى وقال له تناولها فتناولها فإذا هي قطعة من الحلوى ، فقال الرجل يا مولاي : تضع لي كسراً يابساً فأجدها من أنواع الطعام ، فقال امير المؤمنين عليه السلام : نعم هذا هو الظاهر وذاك الباطن وان امرنا هكذا (١) .

ومنها ان فرعون لما لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً فأوجسا خيفة منه فإذا فارس يقدمها ولباسه من ذهب وفي يده سيف من ذهب وكان

(١) انظر البرسي ص ٨ .

فرعون يحب الذهب، فقال لفرعون: اجب هذين الرجلين وإلا قتلتك، فانزعج فرعون لذلك وقال عودا إليّ غداً ، فلما خرجا دعا البوابين وعاقبهم وقال كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن ، فحلفا بعزة فرعون ما دخل عليه إلا هذان الرجلان وكان الفارس مثال علي الذي أيد الله به النبيين سرّاً وأيد به محمداً جهرّاً لأنه كلمة الله الكبرى التي أظهرها لأوليائه فيما شاء من الصور فنصرهم بها وبذلك الكلمة يدعون الله فيحييهم وينجيهم ، وأضاف الى ذلك وإليه الإشارة بقوله : ويحمل لكم سلطاناً فلا يصلون إليكم بآياتنا^(١) .

ومنها ما رواه عن علي بن عاصم انه قال: دخلت على ابي محمد العسكري عليه السلام فقال لي يا علي بن عاصم : انظر الى ما تحت قدميك فإنك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين ، فقلت يا سيدي: ألا انتعل ما دمت في الدنيا إكراماً لهذا البساط ، فقال يا علي : ان هذا النعل الذي في رجلك نجس ملعون ، وقلت في نفسي ليتني أرى هذا البساط فلم ما في ضميري فقال : أدن مني فدنوت منه فمسح يده الشريفة على وجهي فصرت بصيراً ، فرأيت في البساط اقداماً وصوراً ، فقال هذه قدم آدم وموضع جلوسه ، وهذا أثر هابيل ، وهذا أثر شيث وهذا أثر نوح ، وهذا أثر فيدار ، وهذا أثر مهلائيل ، وهذا أثر اخنوخ ، وهذا أثر ادريس، وهذا أثر نوح وسام وافرخشيد وهود وصالح وهكذا يمضي البرسي فيعدد جميع الانبياء والملائكة وأجداد النبي والأوصياء الى الامام الثاني عشر، وذلك قبل وجوده ، ولا تزال آثار جلوسهم على البساط بارزة الى زمان الراوي ، كما لم يذكر نوع المادة التي صنع منها هذا البساط الذي عاصر جميع النبيين والملائكة والأوصياء .

(٢) نفس المصدر ص ٨١ .

وقد رواها البرسي عن علي بن عاصم المعروف بالحديجي الأصغر الذي يلمّهي نسبه من قبل الأم الى خديجة بنت خويلد ، ونص المؤلفون في احوال الرواة انه كان ضعيفاً فاسد المذهب لا يلتفت اليه ^(١) .

وجاء في مشارق البرسي ان علياً لما شطر مرحباً شطرين وألقاه مجندلاً جاءه جبرائيل باسمًا متعجباً فقال له النبي مم تعجبت ، فقال ان الملائكة تنادي في صوامع وجوامع السموات لا فتي إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار ، وأما إعجابي فإني لما أمرت ان أدمر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن في الارض السابعة السفلى الى الارض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها حتى سمع حملة العرش صباح ديكتهم وبكاء اطفالهم ووقفت بها الى الصبح انتظر الأمر ، ولم اثقل بها ، واليوم لما ضرب علي ضربته الهاشمية وكنت امرت ان أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الارض فتصل ضربته الى الثور الحامل لما فيشطره شطرين فتقلب الارض بأهلها ، فكان فاضل سيفه اثقل علي من مدائن لوط ، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء .

ولم يكتف البرسي بنقل الأساطير وأحاديث الغلاة بل استرسل في التعليق على هذه الاسطورة وشرحها بما يزيدا غرابة واستهجاناً وبعداً عن واقع الأئمة (ع) فقال لمن يشكك في مثل هذه الاسطورة : يا بعيد الفكرة وجامد الفطرة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل خلق الله ، خلقوا من شمع نور محمد وعلي ، وعلي ومحمد خلقا من جلال ذي الجلال ، فهم صفة الله وأمر الله وكلمة الله ، ولهذا قال رسول الله : لو كانت البحار مداداً والفيافي اقلاماً والسموات صحفاً والجن والإنس كتاباً لنفد المداد ، وكل الثقلان أن يكتبوا معشار فضائل امام يوم القدير .

(١) انظر الاتقان ص ٣٢٨ .

لقد سطر البرسي هذه الكلمات التي يكررها في اكثر المواضع وهو يحسب انه قد اقنع المشككين وأزاح الشبهة من أذهان الجاحدين ، وإن دلت تعليقاته على شيء فإنها تدل على اسرافه في الغلو وافراطه في الأخذ بكل ما سمع وما رأى بدون تحقيق في الاسانيد ولا تدبر في المضامين ، ولا تفكير في اخطار هذه الأساطير .

وجاء في الكتاب المذكور: انه في اليوم الذي ضرب علي مرحباً بالسيف جاءت صفية الى الرسول وكانت احسن الناس وجهاً فرأى في وجهها شجة ، فقال لها ما هذه وأنت ابنة الملوك ، فقالت ان علياً لما قدم الحصن هز الباب فاهتز الحصن بكامله وسقط من كان عليه من النظارة وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي فشجني جانب السريز ، فقال لها رسول الله : يا صفية ان علياً عظيم عند الله وانه لما هز الباب اهتز الحصن واهتزت السموات السبع والارضون السبع واهتز عرش الرحمن غضباً لعلي ، وفي ذلك اليوم لما سأله عمر فقال يا ابا الحسن لقد اقتلعت منيعاً ولك ثلاثة أيام خيصاً فهل قلمتها بقوة بشرية ، فقال ما قلمتها بقوة بشرية ولكن بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة مرضية .

وهذه كغيرها من الاساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإينا اتجهت في كتاب « المشارق » للبرسي لا تقع العين إلا على أمثال هذه الغرائب التي تنفّر ولا تقرب وتفرق ولا تؤلف وتمد أعداء الشيعة بأشد الأسلحة فتكاً في التشيع لأهل البيت (ع) .

وروى البرسي عن عمار بن ياسر ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال : باسمي تكونت الكائنات والأشياء ، وما سمى ودعا سائر الانبياء ، وأنا اللوح والقلم

وأنا العرش والكرسي ، وأنا للسموات السبع والسموات الحسنى والكلمات العليا ، وابن كان اسم محمد كان اسم علي ولا عكس .

ومضى يقول : والى ذلك الاشارة في قوله تعالى في صدد القرآن : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فالكتاب علي لا ريب فيه ، والتقوى هي حب علي عليه السلام والذين يؤمنون بالغيب ، أي يؤمنون بالرجعة .

ومضى يفسر الآيات بعلي والقائم من ولده معتمداً على المرويات التي رواها علي بن حسان وعبد الرحمن بن كثير وغيرهما من الغلاة في تفسيرهم المعروف بتفسير الباطن .

وقد نسب الشيخ البرسي رحمه الله وغفر له الى علي امير المؤمنين الكثير من الأوصاف والنعوت التي لا تجوز على غير علام الغيوب زاعماً أن علياً وصف نفسه بها في خطبته التي اسمها التنجبية وهي خطبة طويلة جاء فيها ان علياً قال : أنا الواقف على التنجبيين^(١) ، أنا الناظر الى المغربين والمشرقين رأيت رحمة الله والفردوس رأي العين وهو في البحر السابع يجري في الفلك في زخاخيرته النجوم والحبك ، ورأيت الأرض ملتفة كالتفاف الثوب القصور وهي في زخرف من التننج الأيمن مما يلي المشرق ، والتننجبيان خليجان من ماء كأنها ايسار تننجين .

ومضى يقول : ولقد علمت فيها ما كان وما يكون ، ولقد علمت في الفرد الأول مع من تقدم من آدم الأول ، ولقد علمت ما في الفردوس الاعلى وما تحت السابعة السفلى وما في السموات العلى وما بينها وما تحت الثرى ، كل ذلك علم احاطة لا علم اخبار ، اقسم برب العرش العظيم

(١) التننجيين كما يزعم البرسي خليجان من ماء.

لو شئت اخبرتكم بأبائكم واسلافكم اين كانوا ومن كانوا واين هم الآن وما صاروا اليه ، فكم من آكل منكم لحم أخيه وشارب برأس أبيه وهو يشتاقيه ويرتجيه الى ان يقول : أنا صاحب الخلق الاول قبل نوح الاول ولو علمتم ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها وامم اهلكتها فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون ، أنا صاحب الطوفان الاول ، أنا صاحب الطوفان الثاني ، أنا صاحب سيل العرم ، أنا صاحب الاسرار المكنونات ، أنا صاحب عاد والجنات ، أنا صاحب ثمود والآيات ، أنا مدمرها ، أنا مزلزلها ، أنا مرجعها أنا مهلكها أنا مدبرها ، أنا بانيها وأنا داحيها ، أنا بميتها وأنا محييها ، أنا الاول أنا الآخر ، أنا الظاهر أنا الباطن ، أنا مع الكور قبل الكور ، أنا مع الدور قبل الدور ، أنا مع القلم قبل القلم ومع اللوح قبل اللوح ، أنا صاحب الازلية الاولى ، أنا مدبر العالم الاول حيث لاسماؤكم هذه ولا غبراؤكم هذه الى غير ذلك من الصفات التي لا قليق بغير علام الغيوب .

وجاء في خطبة غيرها نسبها البرسي اليه انه قال : أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله الا أنا ، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الاولى ، أنا صاحب خاتم سليمان ، أنا ولي الحساب ، أنا صاحب الصراط ، والموقف ، أنا آدم الاول ، أنا نوح الاول ، أنا آية الجبار ، أنا موري الاشجار ، أنا مفجر العيون ، أنا مجري الانهار ، أنا خازن العلم ، أنا الراجفة ، أنا الصاعقة ، أنا اقتت السماوات بأمر ربي ، أنا الذي لا يبديل القول لدي وحساب الخلق لي ، أنا المفوض اليه امر الخلائق ، أنا مقدر الاقوات ، أنا ناشر الاموات ، أنا منزل القطر ، أنا منور الشمس والقمر والنجوم . الى غير ذلك في حديث طويل لا يدع صفة من صفات الله ولا ميزة لله إلا ويلصقها بنفسه كما تنص على ذلك الخطبة المزعومة (١) .

(١) انظر ص ١٦٦ و ص ١٧٠ و ص ١٧١ من مشارق البرسي .

وكما ذكرنا ، فأينما التجهت في مشارق البرسي لا تجد فيه الا الغرائب
والمعجائب والافتراء على الأنفة الهداة ، لذلك فاني أكتفي بتقديم هذه الامثلة
من مروياته وأساطيره وعلى هذه فقس ما سواها .

واني إذ أقف عند هذا الحد من مرويات المشارق ، وأحاول ان اهتم
هذه الحلقة من كتابي هذا ببعض المرويات في الفضائل من طريق السنة تاركا من
احاديث الفضائل وغيرها أكثر مما دونت وجمعت ، مما لم يستوف شروط
الاخذ والعمل بالرواية ، اترك ذلك رغبة في الاختصار وعدم التطويل الممل ،
وفي الوقت ذاته فاني حسب اعتقد قد وضعت في ذهن القاريء الكريم ان
ليس كل ما هو موجود في كتب الحديث مما كان نوعها يستعصي على النقد
والتجريح ، ولا يقبل المراجعة ، لان كتب الحديث ليست من صنع الوحي
الذي لا يأتيه الباطل ولا تحوم حوله الشبهات ، بل هي من صنع الانسان
الذي قد تطفه الاهواء والشهوات وتسلط به المصالح والاغراض ، ويعتمد على
الاجتهاد الذي قد يخطئ احيانا ويصيب احيانا اخرى مع العلم بأن
التشكيك في هذه المرويات لا يعني ان الله قد حجب العلم عن الأنفة من أهل
البيت وأقام بينه وبينهم السدود والحصون المنيعه التي تحجب عنه دعواتهم
وتمنع عنه طلباتهم ، فما لا شك فيه بأنهم قد احاطوا بشيء من علمه
واستطاعوا يجاهدوا واخلاضهم ان يكونوا على صلة بالله في جميع الاوقات
والحالات ، ولكنهم كانوا مع ذلك يحرسون على ان يظهروا بمظهر من لا
يستطيع ان يحلب لنفسه خيراً ويدفع عنها سوءاً حتى لا يفسحوا المجال لاعداء
التشيع والزنادقة فيستغلوا لصالحهم ولضعفاء الايمان فيضلوا بها .

على ان حشوية أهل السنة قد نسبوا للخلفاء الثلاثة وحق لعشرات
الاولياء من الكرامات والمعجزات اكثر مما نسبة حشوية الشيعة لأئمتهم ،

وسنقدم للقراء أمثلة من تلك المرويات في كل حلقة من حلقات هذا الكتاب.

فمن ذلك ما ذكره ابراهيم العبيدي المالكي في كتابه « عمدة التحقيق في
بشائر آل الصديق » ، والمصفوري في « نزهة المجالس عن عيون المجالس »
ان النبي قال يوماً لعائشة : ان الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة
بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرة وجعلها على عجلة ، وخلق للعجلة ثمانمائة
وستين عروة ، وجعل في كل عروة سلسلة من الياقوت الأحمر ، وأمر ستين
ألفاً من الملائكة المقربين ان يحروها بتلك السلاسل مع قوتهم التي اختصهم
الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء
وتجاول جبالها على أهل الغبراء ، وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فوق
الكعبة لانها مركز الارض وتقول : يا ملائكة ربي ، اني لاستحيي من الله
عز وجل اذا وصلت الى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين ان اجوز عليها
والملائكة تجر الشمس لتعبر على الكعبة بكل قوتها ، فلا تقبل ، وتمعج
الملائكة عنها ، والله سبحانه وتعالى يوحى الى الملائكة وحي إلهام فينادون :
ايتها الشمس بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير الا رجعت
الى ما كنت فيه من السير ، فاذا سمعت ذلك تحركت بقدره المالك ، فقالت
عائشة : يا رسول الله ، من هو الرجل الذي اسمه منقوش عليها ؟ فقال هو
ابو بكر الصديق ، يا عائشة قبل ان يخلق الله العالم علم بعلمه القديم انه
يخلق الهواء ويخلق على الهواء هذه السماء ، ويخلق بجرأ من الماء ، ويخلق عليه
عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا وان الشمس تتمرد على الملائكة إذا
وصلت الى الاستواء ، وان الله سبحانه قدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً
مفضلاً على الانبياء وهو بملك يا عائشة على رغم الأعداء ، ونقش على وجه
الشمس اسم وزيره ابي بكر صديق المصطفى ، فإذا اقسمت الملائكة به زالت

الشمس وعادت الى سيرها بقدرة المولى ، وكذلك إذا مر العاصي من امقي على نار جهنم وأرادت النار أن تهجم على المؤمنين فمحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار هاربة ولغيره طالبة .

وجاء في روض الرياحين للياقعي عن ابي بكر الصديق انه قال : بينا نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام^(١) وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ ، فقال من يقضيني حاجة في حب لنبي ، فقال ابو بكر ما حاجتك يا شيخ؟ فقال ان لي أهلا وليس عندي ما نقتات به وأريد من يدفع لنا شيئا في حب رسول الله ، فنهض ابو بكر الصديق وقال : انا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله ، ثم قال هل من حاجة أخرى ؟ قال نعم : ان لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حبا برسول الله ، فقال ابو بكر : أنا اتزوج بها في حياتك حبا برسول الله ، هل من حاجة أخرى ؟ قال نعم أريد أن اضع يدي في شية ابي بكر حبا برسول الله ، فنهض ابو بكر ووضع شيبته في يد الاعمى ، وقال امسك لحيتي في حب محمد ، فقبض الاعمى بلحمة ابي بكر وقال : يا رب اسألك بجرمة شية ابي بكر إلا رددت علي بصري ، قال فرد الله عليه بصره لوقته ، ونزل جبرائيل على النبي وقال : السلام يقرئك السلام ويخلصك بالتحية والإكرام ويقول لك : لو اقسم علي كل أعمى بجرمة شية ابي بكر لرددت عليه بصره وما تركت أعمى على وجه الارض ، وهذا كله ببركتك وعلو شأنك وقدرتك عند ربك .

(١) روض الرياحين للياقعي طبع على هامش المرائس للثعلبي ص ٤٤٣ وقال عنه الزرقاني في شرح المواهب انه مؤلف حسن ، والياقعي مؤلف آخر يحمل هذا الاسم ولكنه غير المطبوع على هامش المرائس .

وجاء في مروياتهم ان النبي كان إذا اشتاق الى الجنة قبل شيبه ابي بكر .
ونص العجلوني في كشف الحفاء ج/ ١٠ ص ٢٣٣ ان لابرهم الخليل وأبي
بكر شيبه في الجنة (١) .

وجاء في تاريخ بغداد جلد ١٤ ص ٧٨ بسند ينتهي الى القاسم بن عبد الرحمن
عن ابي امامة انه قال قال رسول الله : دخلت الجنة فسمعت فيها خشقة بين
يدي فقلت ما هذا؟ قال بلال : قضيت فإذا اكثر اهل الجنة فقراء المهاجرين
وذري المسلمين ولم أر فيها احداً أقل من الاغنياء والنساء ، ومضى الراوي
يحدث حتى انتهى الى احد ابواب الجنة الثانية ، فلما كان عند الباب قال
النبي : فأتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت امقي في كفة فرجحت بها ، ثم
أتى بأبي بكر فوضع في كفة ووضعت جميع امقي في كفة فرجح ابو بكر ،
ثم أتى بعمر فوضع في كفة ، وجيء بجميع امقي فوضعوا في مقابله فرجح
عليهم ثم رفع الميزان الى السماء (٢) .

وجاء في نزهة المجالس ج ٢ ان النبي ﷺ قال عرض علي كل شيء ليلة
المعراج حتى الشمس فلاني سلمت عليها وسألتها عن كسوفها فانطقها الله وقالت :
لقد جعلني الله على عجلة تجري حيث يريد فانظر الى نفسي بعين العجب فتنزل
بي المجلة فأوقع في البحر ، فأرى شخصين يقول احدهما لصاحبه احد احد ،
ويقول الآخر صدق صدق ، فأتوسل بها الى الله تعالى فينقذني من الخسوف
فأقول يا ربي من هما ، فيقول الذي يقول احد احد هو حبيبي محمد ، والذي
يقول صدق صدق هو ابو بكر الصديق .

(١) انظر ص ٢٣٧ و ٢٤٠ ج ٧ من غدير الاميني .

(٢) الغدير جلد ٧ ص ٢٨٦ .

وجاء في عمدة التحقيق للمبيدي المالكي ص ١٠٥ عن انس بن مالك انه قال : كنا جلوساً عند رسول الله إذ اقبل عليه رجل من اصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النبي ما هذا : قال يا رسول الله مررت بكلبة فلان المناقق فنهشتني ، فقال ﷺ اجلس فجلس بين يدي النبي ، فلما كان بعد ذلك بساعة إذ اقبل اليه رجل آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً ، فقال مثل قول الاول ، قال انس فنهض النبي وقال لأصحابه هلموا بنا الى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلهم وحمل كل رجل منهم سيفاً ، فلما أرادوا قتلها وقفت الكلبة بين يدي رسول الله وقالت لا تقتلني يا رسول الله فلاني مؤمنة بالله وبرسوله ، فقال لها ما لك نهشت هذين الرجلين ، فقالت يا رسول الله : اني كلبة من الجن مأمورة ان انهش كل من سب أبا بكر ، فقال النبي ﷺ لها : أما سمعتما ما تقول الكلبة ، قالوا نعم يا رسول الله إنا تائبان الى الله عز وجل .

وجاء في الكتاب المذكور عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : قال علي رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله وليس معنا ثالث إلا الله فقال يا علي : أتريد أن أعرفك بسيد كهول أهل الجنة وأعظمهم قدراً عند الله ومنزلة يوم القيامة ، فقلت أي وعيشك يا رسول الله فقال هذان المقبلان ، قال علي : فالتفت وإذا ابو بكر وعمر ، ثم رأيت رسول الله تبسم وقطب وجهه حق ولجا المسجد ، فقال ابو بكر يا رسول الله لما قربنا من دار ابي حنيفة تبسمت لنا ثم قطب وجهك فليمن ذلك ، فقال رسول الله : لما صرنا بجانب دار ابي حنيفة عارضنا إبليس ونظر في وجوهنا ، ثم رفع يده الى السماء ، اسمعه واره وأننا لا نسمعانه ولا ترياناه وهو يدعو ويقول : اللهم اني أسألك بحق هذين الرجلين ان لا تعذبني بعذاب باغض ابي بكر وعمر ، فقال

ابو بكر : ومن الذي يبغضنا يا رسول الله وقد آمننا بك وأزرتنا وأقرنا بما جئت به من عند رب العالمين ؟ قال نعم يا ابا بكر : قوم يظهرون في آخر الزمان يقال لهم الرافضة يرفضون الحق ويتأولون القرآن على غير صحته وقد ذكروا الله في كتابه العزيز بقوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » ، فقال يا رسول الله : فما جزاء من يبغضنا عند الله ؟ فقال يا ابا بكر حسبك ان إبليس يستجير بالله تعالى ان لا يعذبه بعذاب من يبغضك ، فقال يا رسول هذا جزاء من أبغض فما جزاء من أحب ، فقال رسول الله : ان تهديا له هدية من اعمالكم ، فقال ابو بكر أشهد الله وملائكته اني قد وهبت لهم ربع اجري منذ آمنت بالله ، وقال عمر وأنا مثل ذلك ، فقال رسول الله : فضما صكا بذلك ، قال علي عليه السلام : فأخذ ابو بكر زجاجة وكتب صكا بذلك وفعل عمر مثله ، فلما فرغ القلم من الكتابة هبط جبرائيل وقال : يا رسول الله الرب يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك هات ما كتبته صاحبك ، فأخذه جبرائيل وعرج به الى السماء ، ثم عاد الى رسول الله فقال له أين ما اخذت يا جبرائيل فقال هو عند الله وقد شهد الله عليه وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله : هو عندي حتى يفي ابو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة (١) .

وجاء في الكتاب المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما كان قاب قوسين او أدنى اخذته وحشة ، فسمع في حضرة الله تعالى بصوت ابي بكر فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه (٢) .

(١) انظر المصدر السابق ص ١٠٥ و ١٠٧ .

(٢) انظر ص ٢٨٦ من الفدير ج ٧ ص ٢٨٨ وما بعدها .

وجاء في الرياض النضرة ج / ١ ص ٧١ ومرواة الاصول ص ١١٤ ان
عبدالله بن العباس قال: لما كان ابو بكر مع النبي في الغار عطشاً شديداً
فشكا الى النبي ﷺ فقال له: اذهب الى صدر الغار فاشرب، قال ابو بكر
فانطلقت الى صدر الغار فشربت ماء احلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكي
رائحة من المسك ، ثم عدت الى النبي ﷺ فقال : شربت ، قلت نعم .
فقال : ألا أبشرك يا ابا بكر ، قلت : بلى يا رسول الله . قال : ان الله
تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة ان ينزل نهراً من الجنة الفردوس
الى صدر الغار ليشرب ابو بكر ، فقلت يا رسول الله : ولي عند الله هذه
المنزلة ، فقال النبي نعم وأفضل منها والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة
مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً .

وجاء في الرياض النضرة لحب الدين الطبري ج ١ ص ٣٠ وفي الصواعق
ص ٥٠ عن انس بن مالك انه قال : سمعت رسول الله يقول اخبرني جبرائيل
ان الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده امرني ان آخذ تقاحة من
الجنة وأعصرها في حلقه فمصرتها في فيه فخلقك الله من النطفة الأولى وخلق
ابا بكر من الثانية وخلق من الثالثة عمر بن الخطاب ومن الرابعة عثمان بن
عفان ومن الخامسة علي فقال آدم من هؤلاء الذين كرمهم فقال الله تعالى :
هؤلاء خمسة اشباح من ذريتك أكرم عندي من جميع خلقي ، ولما عصى آدم
استغاث بهم فتاب ربه عليه .

ومن ذلك ما رواه ميمون بن مهران عن المسيب بن عبد الرحمن عن
حذيفة اليماني انه قال : صلى بنا رسول الله صلاة الفجر فلما انتقل من صلاته
قال أين ابو بكر الصديق فأجابه ابو بكر من آخر الصفوف لبيك يا
رسول الله ، قال افرجوا لأبي بكر : فدنا منه وقال لحقت معي التكبيره
الاولى، قال يا رسول الله: أني كنت معك في الصف الاول فكبرت وكبرت
فاستمتعت بالمحمد فقرأتها فوسوس لي شيء من الطهور فخرجت الى باب

المسجد وإذا بهاتف يهتف ويقول وراءك ، فالتفت وإذا أنا بقدهج من ذهب مملوء ماءً أبيض من الثلج واعذب من الشهد والين من الزبد ، عليه منديل اخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله الصديق ابو بكر ، فأخذت المنديل ووضعتة على منكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدهج ولحقتك وأنت راكم الركعة الاولى وأتممت صلاتي معك ، فقال النبي ﷺ : ابشر يا ابا بكر الذي وضأك للصلاة جبرائيل والذي مندلك ميكائيل والذي مسك ركبتك حق لحقت الصلاة إسرائفيل .

وروى الزهري عن عائشة انها قالت: كانت ليلي من رسول الله فلما ضمني واياه الفراش قلت يا رسول الله أأنت أكرم أزواجك عليك ، قال : بلى . قالت : حدثني عن ابي بفضيلة ، قال : حدثني جبرائيل ان الله تعالى لما خلق الارواح اختار روح ابي بكر من بين الارواح فجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصرأ في الجنة من درة بيضاء مقاصيرها من الذهب والفضة ، وان الله تعالى آلى على نفسه ان لا يسلبه حسنة ولا يسأله عن سيئة واني ضمنت على الله كما ضمن الله على نفسه أن لا يكون ضجيعاً لي في حفرتي ولا أنيساً في وحدتي ولا خليفة على امتي من بعدي إلا ابوك ، بايع على ذلك جبرائيل وميكائيل وعقدت خلافته براية بيضاء وعقد لواؤها تحت العرش ، وقال الله للملائكة رضيتم ما رضيت لعبدي ، فكفى بأبيك فخراً أن يبايع له جبرائيل وميكائيل وملائكة السماء وطائفة من الشياطين يسكنون البحر ، فمن لم يقبل هذا فليس مني ولست منه . قالت عائشة فقبلت أنفه وما بين عينيه ، فقال حسبك فمن لست بأمة ما أنا بنبيه ، فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ منك ^(١) .

(١) نفس المصدر ص ٢٩٠ وقد عده السيوطي من الموضوعات ونسب وضعه الى احمد العلاف المعروف بالقطان .

ومن ذلك ما رواه انس عن النبي ﷺ انه قال : لما أسري بي رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة ، لاتروث ولا تبول ولا تمرق ، رأسها من الباقوت الاحمر ، وحوافرهما من الزمرد الاخضر ، وأبدانها من العقيان الاصفر ، ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبرائيل : هذه لمحبي ابي بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة .

وجاء في نزهة المجالس للعصفوري في تفسير قوله تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ » ان عبد الله بن عباس قال : اذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت احمر فيجلس ابو بكر على كرسي ، وعمر على كرسي ، وعثمان على كرسي ، ثم يأمر الله الكراسي فتطير الى تحت العرش ، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء ، ثم يؤتى بأربعم كاسات ، فأبو بكر يسقي عمر ، وعمر يسقي عثمان ، وعثمان يسقي علياً ، وعلي يسقي ابا بكر ، ثم يأمر الله جهنم ان تتمخض بأمواجها فتغذف الرافض على ساحلها ، فيكشف الله عن أبصارهم ، فينظرون الى منازل أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون : هؤلاء الذين أسعدهم الله ، وسعد الناس بتابعيهم ، وشقينا نحن بمخالفتهم ، ثم يردون الى جهنم بحسرة وندامة (١) .

ومن ذلك ان جبرائيل قال ل محمد ﷺ : يا محمد ، لو مكثت مئتي ألف سنة إلا خمسين عاماً لم انته من ذكر فضيلة من فضائل ابي بكر وعمر .
وانه قال لعائشة : ان لعمر بن الخطاب من الحسنات عدد نجوم السماء ، وهو مع ذلك حسنة من حسنات ابي بكر .

وانه قال : لو لم ابعث نبياً لبعث عمر بن الخطاب ، ولو كان بعدي نبي لكان عمر .

(١) القدير ج ١٠ عن ج ٢ ص ٢١٧ من نزهة المجالس .

كما جاء في رواية الترمذي، وأنه قال: إن لكل نبي خليلاً، وخليلي عثمان، وهو وليه في الدنيا والآخرة، وإن عثمان إذا تحول من منزل إلى منزل في الليل تهرق له الجنة ليبصر طريقه.

وأنه قال لمعاوية: أنت مني يا معاوية وأنا منك ولتراجني على باب الجنة كهاتين « السبابة والوسطى » وأنه أحد الأمان السبعة - اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل وجبرائيل ومحمد ومعاوية بن أبي سفيان^(١).

إلى كثير من أمثال هذه المرويات التي لا تقل من حيث السك والكيف عن مرويات الشيعة في الفضائل والكرامات إن لم تكن هذه أشد غرابة وغلواً من تلك المرويات.

ولو تركنا مروياتهم في فضائل الخلفاء والصحابة ورجعنا إلى كتبهم التي تتحدث عن العلماء والصلحاء والزهاد نجد فيها سبلاً من الكرامات والمعجزات التي نستبعد صدورها حتى من الأنبياء في أدق المراحل وأحرجها كرد الشمس وقطع المسافات البعيدة في لحظات معدودات، وإحياء الموتى والسير على وجه الماء، وغير ذلك مما أثبتوه لعلمائهم وأنكروه على علي وأبنائه الكرام وأتهموا الشيعة بالغلو والتخريف لأن بعض المحدثين نسب للأئمة بعض الكرامات والنبيات.

ونسوق على سبيل المثال بعض الكرامات التي أثبتوها لبعض الزهاد والعلماء، فمن ذلك ما رواه السبكي في طبقات الشافعية، والياقيني في مرآة الجنان، وابن العماد في المجلد الخامس من الشذرات، وقد جاء في هذه الكتب أن الشيخ إسماعيل الحضرمي قصد بلدة زبيد فكادت الشمس أن تغرب قبل

(١) انظر الموضوعات إلى محمد طاهر الهندي الفني ص ٩٤ و ١٠٠.

وصوله اليها ، فأشار اليها بيده ان تتوقف عن المسير فوقفت حتى دخل المدينة (١) .

وجاء في الفتاوى الحديثة لابن حجر أن من كرامات الحضرمي انه كان في طريقه الى زبيد وقد دنت الشمس من الغروب ، فقال لها : لا تغربي حتى ندخلها ، فوقفت ساعة كاملة ، فلما دخلها أشار اليها بيده ان تتابع مسيرتها ، فاذا الدنيا مظلمة والنجوم ظاهرة .

وفي رواية السبكي في الطبقات ان خادم الحضرمي قال لها : يقول لك الفقيه الحضرمي لا تغربي ، فوقفت مكانها ولم تتحرك الى ان امرها بالمسير .

وجاء في تاريخ الخطيب وغيره عن ابراهيم بن اسماعيل بن خلف ان احمد ابن نصر الخزاعي لما قُتل في الحنة التي وقعت بين المعتزلة والمحدثين وصاب رأسه ، كان رأسه يقرأ وهو على الخشبة : « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » .

وجاء عن احمد بن كامل القاضي عن ابيه انه قال : وكل برأس احمد من يحفظه بعد ان نصب برأس الجسر ، فقال الموكل به انه كان يراه بالليل يستدير الى القبلة بوجهه فيقرأ سورة « يس » بلسان طلق فصيح .

وبلا شك ان هذه الاسطورة قصد وضعها الحنابلة في مقابل الرواية التي رواها الشيعة وغيرهم عن رأس شهيد الشهداء الحسين بن علي (ع) ، وجاء فيها انه كان يقرأ وهو على رأس الرمح : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا » .

(١) انظر المجلد الخامس من الشذرات وجاء فيه بعد ان نقل هذه الاسطورة ان الحضرمي توفي سنة ٦٨٨ هجرية ، وقد أشار الياقعي الى هذه الحادثة بقوله : ومن جاءه أوماً الى الشمس ان قلبي فلم تمس حتى انزلوه بمقعد .

وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة يعقوب بن أبي سلمة وفي
المجلد الأول من شذرات الذهب وتاريخ ابن عساكر وابن خلكان وغيرهم ان
يعقوب الملقب بالمناجشون بعد ان مات وحضر الناس لنقله الى مقره الأخير
تحرك وبقي ثلاثة أيام يتحرك والناس ينتظرون مصيره ، ثم استوى جالساً
وطلب سويقاً فشربه وحدثهم بانه صعد به ملك الى السماء ومضى به الى ان
بلغ السماء السابعة ، وهناك قيل للملك الموت : من معك ، ولما أخبرهم أمره
بارجاعه الى الدنيا وقالوا له : لقد بقي من عمره عدد من السنين والاشهر
والساعات ، فأرجعه ملك الموت الى الدنيا ، وفي طريقه رأى محمداً وأبا
بكر عن يمينه وعمر بن الخطاب عن شماله ، وعمر بن عبد العزيز بين يديه ،
وعاش بعد ذلك مدة من الزمن الى ان كانت وفاته سنة ١٦٤ في الساعة التي
حدد بها نهاية حياته (١) .

وجاء في تاريخي ابن الجوزي وابن كثير ان احمد الإسوري كان قد تولى
تفسير اسماعيل بن محمد الحافظ ، جاء عنه انه قال : اردت ان انهي الحذقة
عن سوائه لأغسل عورته ، فجذبها من يدي وغطى فرجها بها ، فراعني ذلك
وقلت هذه هي الحياة بعد الموت (٢) .

وجاء في روضة الناظرين ان الشيخ عقيل بن شهاب الدين احمد المنبجي
العمري حفيد عمر بن الخطاب كان يلقب بالغواص ، ويقول : لقد أعطاني الله
الكلمة النافذة في كل شيء ، ثم داخله وجد ، فقال : يا هوام ويا حجارة ،
ويا أشجار صدقوني فيما أقول ، فوفدت عليه الوحوش من كل مكان وقد
ملأ زئيرها وصراخها البقاع ودارت حوله ، ورقصت الحجارة صاعدة ونازلة ،
واشتبكت أغصان الأشجار بعضها ببعض ، ثم عاد كل شيء على ما كان عليه ،

(١) انظر شذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٩ وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٧٩ .

(٢) انظر تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢١٧ .

وقد سمي بالفواص لأنه كان يفرش سجادة على وجه الماء ويجلس عليها ، ثم ينفوس في الماء مدة من الزمن ويخرج بعدها وليس على ثيابه أثر من الماء وكأنه كان في نزهة بين البساتين والرياحين .

وجاء في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي عن اليونيني انه قال : قال لي عدي بن مسافر يوماً : اذهب الى الجزيرة السادسة في البحر المحيط ، تجد فيها مسجداً فيه شيخ فقل له : يقول لك الشيخ عدي بن مسافر لا تختر لنفسك أمراً ليس لك فيه ارادة ، فقلت : ياسيدي ، وأن لي بالبحر المحيط فدفعني بين كتفي وإذا أنا بتلك الجزيرة والبحر محيط بها ، فدخلت المسجد فرأيت فيه شيخاً مهيباً يفكر ، فسلمت عليه وبلغته الرسالة فبكى ، وقال : جزاه الله خيراً ، فقلت : ياسيدي ، ما الخبر ؟ فقال : اعلم انه قد خطر لي ان اكون احد السبعة الخواص في النزاع ، ولم يكمل هذا الخطر حتى أتيتني ، ثم دفعني في كتفي وإذا أنا بزاوية الشيخ عدي بن مسافر وبين تلك الزاوية والجزيرة مئات البحور وآلاف الأميال .

وجاء عن عبد القادر الكيلاني انه قال : لما عرج يجدي رسول الله ليسة المرصاد الى السماء وبلغ سدره المنتهى بقي جبرائيل الأمين متخلفاً ، وقال : يا محمد ، لو دنوت انملة لاحتزقت ، فأرسل الله روعي اليه في ذلك المقام وكانت هي البراق الذي ركب رسول الله وعناني بيده حتى وصل وكان قاب قوسين أو أدنى وقال لي : يا ولدي ، هذه قدمي على رقبتك ، وقدماك على رقاب كل أولياء الله .

وجاء في ترجمة عبد القادر من كتاب تفريح الخاطر طبع مصر ، ان احد خدامه قد توفي ، فجاءته زوجته وتضرعت اليه تطلب احياءه ، فتوجه الشيخ الى المراقبة فرأى في عالم الباطن ان ملك الموت يصعد الى السماء ومعه

الارواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فقال : يا ملك الموت ، قف واعطني روح خادمي فلان ، فقال ملك الموت : اني اقبض الارواح بأمر ربي وأودعها اليه ولا يمكن ان اعطيك اياها فكرر عليه عبد القادر الطلب وامتنع ملك الموت عن اجابته ، وكان بيد ملك الموت زنبيل فيه الارواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فجر الزنبيل وأخذه من يده ففرقت الارواح ورجعت الى ابدانها ، فنادى ملك الموت ربه وقال : انت اعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك فلقد أخذ مني ما قبضته في هذا اليوم ، فخطبه الله جل جلاله : انه محبوبي ولو انك اعطيته روح خادمه لما ذهبت تلك الارواح من قبضتك .

وجاء في الكتاب المذكور ان الله سبحانه قد أرسل كتاباً مع عزرائيل الى الشيخ عبد القادر قبل وفاته بسبعة أيام يعلمه فيه بموته فحمل الكتاب ملك الموت وسلمه الى ولده الشيخ عبد الوهاب وعلى ظهر الغلاف : يصل هذا الكتاب من المحب الى المحبوب، ودخل على والده مع عزرائيل وسلمه الكتاب وكان ذلك معلوماً لديه ، فدعا للناس بالمغفرة ووعدهم بالشفاعة وضع عالم الناسوت بالبكاء وابتهج عالم الملكوت بلقاء الشيخ عبد القادر .

وجاء في روضة الناظر، والمعقود الجوهري وغيرهما ان السيد احمد الرفاعي لما زار مدينة الرسول ﷺ واتجه الى قبر النبي ظهرت له يد النبي ﷺ من قبره فأخذها وقبلها بمحضر جمع من الناس ، واشتهر أمرها بين الخاصة والعامة ، ونظمها الشعراء وتحدث بها الخطباء على حد تعبير المؤلفين في ترجمة الرفاعي .

ومن نظم هذه الاسطورة الشيخ تقي الدين الفقيه النهر وندي المتوفى سنة ٥٩٤ في أبيات جاء فيها :

مدّ طه يمينه للرفاعي	فانجلت عندها له الاشياء
لا تقل كيف تم هذا وأيقن	يفعل الله ربنا ما يشاء

وقد ترجمه ابن العماد الحنبلي في الشذرات واشاد بكراماته ومقامه الرفيع (١) .

وجاء في الجزء ١٣ من التاريخ الكبير للحافظ ابن كثير ان الشيخ عبد الله اليونيني المتوفى سنة ٦١٧ كان يحج في بعض السنين في الصحراء فيقطع المسافة من الشام الى مكة في دقائق معدودات .

وأضاف الى ذلك ابن كثير في تاريخه ان ذلك قد وقع لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد .

وجاء في شذرات الذهب انه بقي تسعين يوماً صائماً ، يفطر في كل ليلة على حبة حمص لا يدخل جوفه غيرها ، وأضاف الى ذلك انه في سائر أيامه كان لا يأكل إلا مرة في كل عشرة أيام وهو من اصحاب الكرامات والمعائب (٢) .

وجاء في الطبقات للناوي ان احمد بن يحيى الشاذلي المتوفى سنة ٨٤١ قصده جماعة من الزيدية الذين لا يؤمنون بكراماته وقصدوا امتحانه ، وكان عنده بئر في داره ، فجعل يغرف منها قارة لبناً وقارة سمناً وأخرى عسلاً حسبما يقترحون عليه ، ودخل على القاضي عثمان بن محمد الناصري وهو يعالج الموت ، فطلب من ربه ان يمهله ثلاث سنوات ، فقام من ساعته وعاش ثلاث سنوات لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً (٣) .

وجاء في روضة الناظرين في ترجمة السيد محمد سراج الدين الرفاعي انه

(١) انظر ج ٤ من الشذرات ص ٢٦٠ .

(٢) انظر الشذرات ج ٥ ص ٧٤ وجاء فيها انه من قرية يوفين من بلاد بعلبك وله قبر تتوافد اليه الناس للزيارة .

(٣) انظر مجلد ٧ من الشذرات ص ٢٤٠ .

مس بيده ظهر رجل احذب فقوم الله ظهره وصار على أحسن حال وكأن لم يكن به شيء ، ومر في الشام على قصاب قد ذبح شاة وقطع اوداجها ووضع السكين في فمه والشاة تصارع الموت ، فأمره ان يعيد السكين الى رقبته ، فانتفضت الشاة سليمة لا جراحة فيها وكأنها لم تصب بشيء .

وجاء في طبقات المناوي وشذرات الذهب ان حسين الصوفي كان يتطور حسبما يشاء ، يدخل عليه انسان فيجده سبعا ، ثم يدخل عليه آخر فيجده جديا ، وآخرون يحذونه فيلا وهكذا ، ودخل عليه أعداؤه ليقتلوه ، فلم يتمكنوا منه وقطعوه بأسياقهم وحملوه الى المكان بعيد والقوه فيه ، فلما أصبحوا وجدوه قائما يصلي في زاويته ، ومكث أربعين سنة لا يذوق فيها الطعام والشراب (١) .

وجاء في شذرات الذهب عن الشيخ عبد القادر الشاذلي ان السيوطي رأى النبي ﷺ في اليقظة وقال له : يا شيخ الحديث ، وأخبره بأنه من أهل الجنة .

وجاء عن خادم السيوطي انه كان معه في مصر ، فقال له : أتريد أن نصلي العصر بمكة ؟ فقال له : نعم ، فأخذ بيده واذا هما بمكة ، فوصلا الحرم وطافا وشربا من ماء زمزم وصليا العصر ، ورجعا الى مكانها في لحظات معدودات .

وجاء في ترجمة ابي بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٤ انه لما رجع من الحج دخل زيلع وكان الحاكم فيها محمد بن عتيق فماتت له أم ولد كان مشغوقا بها فدخل عليه ليعزيه فلم تنفع معه التعزية وانكب على رجله وطلب منه إحياءها ، فكشف عن وجهها وقادها باسمها فأجابته ، ولم يخرج من البيت حتى رجعت اليها روحها ، وعاشت بعد ذلك زمنا طويلا (٢) .

(١) انظر الشذرات ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٢) انظر شذرات الذهب ج ٨ ص ٦٣ .

الى كثير من أمثال هذه الاساطير التي لو أردنا احصاءها لبلغت مجلداً من أضخم المجلدات .

ومهما بلغت مرويات الشيعة في علي وبنيه الهداة الطيبين فلم تبلغ هذا النوع من الغلو ، ولم يدع أحد من الشيعة ان جبرائيل لو بقي ألف سنة إلا خمسين عاماً يحدث في فضائله لم ينته من فضيلة واحدة منها .

كما جاء في هذه المرويات عن ابي بكر وعمر ، ولم يدعوا بأن علياً يزاحم النبي على باب الجنة كما يزاحمه معاوية بن هند على حد زعم الراوي لهذه الرواية الى غير ذلك من المرويات التي هي أفحش من مرويات الغلاة والزنادقة ، ومع وجود هذه المرويات بين احاديثهم التي لا تقل عن مرويات الغلاة ان لم تكن افحش منها ، فلم ينسب لهم أحد الغلو في الخلفاء بما فيهم معاوية كما نسبوه الى كل متشيع لأهل البيت (ع) ، في حين انه اذا جاز على من لحظهم التاريخ بكل أنواع الخزي والعار ان يزاحموا النبي على باب الجنة ، وان يكونوا من امناء الله على وحيه مع جبرائيل وميكائيل ، فيجوز على علي وابنائيه الهداة الميامين الذين لم يستطع اعداؤهم ان يلصقوا بهم حتى ابسط العيوب ، كما يجوز عليهم بطريق أولى لا لبس فيه ولا غموض إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك مما يستعصي على سائر الناس بإذن الله ومشيتته .

وعلى أي الاحوال فاني إذ أقف من بعض المرويات في علي والأئمة من ولده هذا الموقف وأرجح ان تكون من صنع الغلاة والحاكمين والزنادقة الذي اندسوا في صفوف الشيعة ، لا أتردد ولو لحظة في ان علياً وأبنائه الأئمة بإمكانهم ان يصنعوا المعجزات التي تتعسر على غيرهم من الناس ، وقد صنعوا بإذن الله شيئاً من ذلك ، لا لأن الله سبحانه قد فوض اليهم امور العباد وأمدهم بالقدرة على كل شيء ، ولا لأنهم يعلمون ما كان وما سيكون الى قيام يوم الدين ، بل لأنهم عرفوا الله كما يجب ان يعرف ، وعبدوه مخلصين كما يجب ان يعبد ، وبذلوا في سبيله فوق ما يمكن ان يتصوره انسان من أبناء هذه الدنيا ،

فاستجاب لهم كما استجابوا له ، وامدهم بعلم من عنده لم يتوفر لاحد سواهم من الناس .

لقد أقسم علي عليه السلام بالله صادقاً بأنه لو اعطي الاقاليم السبعة على ان يعصي الله في غلة يسلبها جلب شميرة لم يفعل ، وحينما تولى الخلافة كانت في حسابه احقر من نعل بالية اذا لم تكن وسيلة لإحقاق الحق وإماتة البدع ، وحكم غيره فصنع ما تقتضيه مصلحته كعناكم يريد ان يكون حاكماً قبل كل شيء ، واقسم معاوية صادقاً مع انه لا يعرف غير الغدر والكذب والخيانة حينما دخل الكوفة ونشوة الظفر تجري في دمه وعروقه ، انه لم يقاتل علياً وأهل العراق إلا ليتأمر عليهم ويتسلط على عباد الله الاحرار ، ومع ذلك فهو عند محدثي السنة احد الأمناء السبعة ويزاحم النبي على باب الجنة .

وأعود لاكرر بأن هذه المرويات التي نقلتها عن بعض محدثي السنة ، كما وانها لا تعبر إلا عن رأي المغالين في خلفائهم وأوليائهم ، فكذلك بعض المرويات الشيعية في علي وبنيه الأئمة الأطهار فانها لا تعبر عن رأي الشيعة وبعضها يتناقى مع اصول الاسلام والتشيع ، اقول ذلك وأنا واثق من ان عدد كبيراً من الشيعة ، بل ومن الممسين في النجف الاشرف وغيرها ممن لا يفهمون الأئمة على واقعهم ولا يدركون سر عظمتهم وخالودهم إلا عن طريق الغيبيات والالوهام لا يرضيهم ذلك وسوف يغضبون ، ولكني لن استوحش من ذلك ما دمت واثقاً بأن ما أقوله وأكتبه يرضي الله سبحانه وينزه الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام مما الصق بهم زوراً وبهتاناً .

والله سبحانه من وراء القصد ، والهادي الى سبيل الرشاد .

أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا الكتاب

أصول الكافي	لمحمد بن يعقوب الكليني
الوافي	للاحسن الفيض
أكمال الدين وإتمام النعمة	للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي
معالم الزلفى	للسيد موسى البحراني
مختصر بصائر الدرجات	للشيخ حسن بن سليمان الحلي
مشارك انوار اليقين	للشيخ رجب البرسي
مرآة العقول	للمجلسي
مدينة المعاجز	
غاية المرام	للبحراني
الارشاد	للشيخ المفيد
الغيبة	للشيخ الطوسي
الشيعة بين الاشاعة والمعتزة	للمؤلف
الرسائل في اصول الفقه	للشيخ مرتضى الانصاري
التقريرات في اصول الفقه	للشيخ محمد علي الكاظمي
الوجيزة في علم الحديث	للشيخ عبد الصمد الحارثي
مقياس الهداية في علم الدراية	للشيخ عبدالله المقمقاني
دراسات في الكافي والصحيح للبخاري للمؤلف	

الدراية في علم الحديث	للشهيد الثاني
اتقان المقال في علم الرجال	للشيخ محمد طه نجف
نهج المقال في احوال الرجال	للمرزا محمد
الرجال	للتجاشي
الرجال	للكشي
المعدة في الاصول	للشيخ الطوسي
خاتمة الوسائل في احوال الرواة	للمحرر العاملي
الخلاصة في علم الرجال	للمعلامة الحلبي
الأخبار الدخيلة	للشيخ محمد تقي التستري
قضاء الامام علي	=
معجم رجال الحديث	للمرجع الأعلى للطائفة الشيعية السيد الخوئي
القدير	للشيخ عبد الحسين الايني
السنة قبل التدوين	لمحمد عجاج الخطيب
السنة ومكانتها من التشريع	للشيخ مصطفى السباعي
علوم الحديث	لصبحي الصالح
شرح النهج	لابن ابي الحديد
المذاهب الاسلامية	للشيخ محمد ابو زهره
الباعث الحديث	للمحافظ ابن كثير
البداية والنهاية	=
شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي
الموضوعات	لمحمد طاهر القفي
الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي	
تدريب الراوي	=
فجر الاسلام	لأحمد امين
ضحى الاسلام	=

أحكام القرآن	للجصاص
لسان الميزان	لابن حجر
تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلاني
التاريخ	لابن واضح اليعقوبي
الترغيب والترهيب	لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري
الكفاية في علم الحديث	للبيهقي
طبقات المحدثين	لأبي نعيم الإصمعي
سيرة اعلام النبلاء	للذهبي
الله والانسان	لعبد الكريم الخطيب
مروج الذهب	للمسعودي
الكفى والألقاب	للمشيخ عباس القمي
الطبقات الكبرى	لعبد الوهاب الشمراني
الصحيح	للبخاري
الصحيح	لمحمد بن مسلم النيسابوري
نهاية الارب في احوال العرب	لشهاب الدين النويري

فهرس المواضيع

الصفحة
٧

الموضوع
المقدمة

الفصل الاول

١١	السنة في عرف المشرعين والمحدثين
١٢	موقف المسلمين من أحاديث الرسول
١٣	الفرق بين الكتاب والحكمة
١٤	رجوع المسلمين الى الكتاب والسنة
١٥	الاسلوب الذي اتبعه النبي في التبليغ
١٧	حرص الطبقة الأولى من المسلمين على تتبع أقواله وأفعاله
١٩	لمحات عن موقف الرسول والمسلمين من تدوين الحديث
٢٣	المفاسد التي ترتبت على عدم التدوين بعد وفاته
٢٤	تقديس الصحابة وأثر ذلك على الحديث
٢٥	الأسباب التي دعت لأعطاء الصحابة صفة القداسة
٢٨	إدخال الجن والملائكة في الصحابة
٢٩	طبقات الصحابة في كتب السنة
٣٠	رأي الشيعة في الصحبة

الصفحة

الموضوع

- ٣١ موقف محدثي السنة من عمر بن عبد العزيز ومعاوية
٣٢ ما نسبته ابن كثير وغيره الى موقف الشيعة من الصحابة
٣٣ رأي الشيعة في الصحابة

الفصل الثاني

- ٣٧ في المؤلفين في الحديث وأصنافه
٣٨ الصحاح الستة والكتب الأربعة
٣٩ موقف الطبقة الأولى من الشيعة في الحديث والمحدثين
٤١ المؤلفون في الحديث من السنة في اوائل القرن الثاني
٤٢ غلو المحدثين في صحيح البخاري ومسلم
٤٣ منزلة الكافي عند متقدمي الشيعة
٤٤ تصنيف الحديث الى الاصناف الأربعة
٤٥ مقومات الأخذ بالحديث والاعتماد عليه
٤٧ المتواتر والآحاد
٤٨ التواتر اللفظي والمعنوي
٤٩ المشهور والمستفيض والغريب
٥٠ تحديد الشيعة لأخبار الآحاد
٥٣ الحسن والموثق والضعيف
٥٥ المسند والمتصل عند محدثي السنة
٥٦ المسلسل والمضمر والمجهول والمرفوع عند الشيعة والسنة
٥٩ الموقوف والمنقطع والمعضل
٦٠ الشاذ والمنكر والقريب والمضطرب
٦١ التدليس في الحديث عند الشيعة والسنة
٦٢ ما جاء في كفاية البغدادي وتوضيح الافكار حول التدليس

الموضوع	الصفحة
موقف السيد رشيد رضا في المنار من المدلسين	٦٣
موقف السيوطي في تدريب الراوي من المدلسين	٦٤
الادراج في الحديث عند الشيعة	٦٥
أصناف الحديث عند السنة	٦٧
الناسخ والمنسوخ عند الشيعة	٦٨
موقف الشيعة من أخبار الآحاد وأدلة القائلين بحجيتها وعدمه	٦٩
الآيات التي استدلت بها القائلون بالاعتماد على أخبار الآحاد	٧٠
رأي الشيخ الانصاري في هذه المسألة	٧٢
موقف الشيعة من أخبار الآحاد في الموضوعات	٧٥
موقف الشيعة من اصول الإسلام	٧٧
موقف السنة من أخبار الآحاد وشروط الشيخين مسلم والبخاري منها	٨٠

الفصل الثالث

الكذب في الحديث	٨٥
متى ابتدأ الكذب في الحديث	٩٠
مع السباعي وغيره ممن نسبوا الكذب في الحديث الى الشيعة	٩١
الصحابة المتهمون في الكذب على الرسول	٩٦
اسطورة تميم الدارمي وغيرها من مرويات البخاري	١٠٠
موقف كعب الأحبار ووهب بن منبه وبعض مروياتها الدخيلة	١٠٥
مع السباعي فيما جاء في كتابه السنة ومكانتها من التشريع	١٠٩
الأسباب التي دعت بعض المتشيعين الى الكذب في الحديث	١١٢
ما جاء في بعض خطب امير المؤمنين حول الحديث وأحاديث بعض الصحابة .	١١٣

الموضوع	الصفحة
ما جاء عن الامام الباقر <small>عليه السلام</small> حول موقف الامويين من الشيعة وتلاعيبهم في الحديث .	١١٥
ما جاء في شرح النهج عن الاسكافي وغيره حول الحديث	١١٦
ما جاء في فجر الإسلام وضعا لأحمد أمين حول هذه المواضع	١١٨
موقف اتباع أئمة المذاهب من للتلاعب بالحديث	١٢١
موقف الاحزاب والفرق الإسلامية من الحديث	١٢٢
تلخيص الأسباب الداعية الى الكذب في الحديث منذ البداية الى ان اتخذ طابعاً سياسياً واستغله المرتقة	١٢٤
دور الموالي في وضع الاحاديث	١٣٠
موقف الزهري وأبو بكر بن حزم من الحديث	١٣٣
مع السباعي في دفاعه عن الزهري راوية الامويين	١٣٥
الاحاديث الموضوعة في فضل البلدان والبقاع	١٣٩
موقف العباسيين واتباعهم من الشعراء والعلماء من اخصامهم السياسيين	١٤١
موقف المعتزلة والمرجئة والقدرية من الحديث والمحدثين	١٤٢
موقف انصار الرأي والحديث من الفقهاء والمحدثين	١٤٦
موقف الشيعة والمندسين في صفوفهم من الحديث	١٤٩
رواية ابراهيم بن ابي محمود عن الامام الرضا حول الاحاديث المكذوبة	١٥١
القصص والقصاصون	١٥٣
القصاصون القدامى وأحاديثهم عن الجن والكهنة وغيرهما	١٥٤
أحاديث القصاصين عن اسلام عمر بن الخطاب وغيره	١٥٥
دور العناصر الاجنبية المعادية للإسلام في وضع الاحاديث	١٥٨
أمثلة من أحاديث القصاصين	١٦٠
الاساليب التي استعملها القصاصون في تحويل الانظار اليهم	١٦٢
أحاديث ممن بلغه ثواب على عمل فعمله اوتيته وإن لم يكن صحيحاً	١٧١

الفصل الرابع

- تلخيص موقف الحاكمين من علي وبنيه وموقف أئمة الشيعة الذي
 يتجسد في سيرة الرسول وسنته وقرآنه
 ١٧٨ الاحاديث المنسوبة الى الائمة في تقرير شيوخ الصحابة
 ١٨٠ من الموضوعات في المثالب
 ١٨٣ من مرويات معالم الزلفى حول هذا الموضوع
 ١٨٧ رواية كعب الاحبار حول وفاة عمر بن الخطاب
 ١٩٠ رواية بصائر الدرجات عن ظهور المهدي والمراحل التي توافقه
 ١٩٢ من مرويات الكافي والوافي وغيرهما حول هذه المواضيع
 ١٩٣ من مرويات عروة بن الزبير وغيره في الطعن على علي عليه السلام وبنيه
 ١٩٦ أمثلة من المرويات في الفضائل حول ميلاد النبي وعلي عليها السلام
 ٢٠٠ استغلال المستشرقين وغيرهم لتلك المرويات للتشكيك في الاسلام
 ٢٠٢ خروج النبي مع ابي طالب الى الشام وما رافق ذلك من الكرامات
 ٢٠٤ حديث اسلام سلمان الفارسي والمراحل التي مر بها قبل اسلامه
 ٢٠٨ حديث الاسقف عن اسلامه ووصفه للدابة التي أرشدته للاسلام
 ٢٠٩ رواية السنة لهذه الاسطورة بما يؤيد اتجاههم
 ٢١١ حديث الجام الذي نزل على النبي بحضور المهاجرين والانصار
 ٢١٣ رواية ابي مخنف لوط بن يحيى عن مولد الإمام وما رافق ذلك
 ٢١٤ من مرويات الفلاة عن مولد السيدة فاطمة (ع)
 ٢١٥ رواية كعب الاحبار في مجلس معاوية عن مولد النبي وفضائل عترته
 ٢١٨ مقتطفات من مرويات بن شهر آشوب وغيره حول هذه المواضيع
 ٢٢١ من مرويات الشيخ رجب البرسي في كتابه مشارق الانوار
 ٢٢٢

الموضوع	الصفحة
رأينا في تلك المرويات وجامعها وكتابه	٢٢٦
مقتطفات من الوافي وغيره مما دسه الغلاة بين أحاديث الائمة	٢٣٠
من مرويات الكافي التي لا يثق بها الشيعة	٢٣٤
مقتطفات من مرويات علي بن حسان وسلمة بن الخطاب وعبد الرحمن بن كثير	٢٥٠
من مرويات مدينة المعاجز للبحراني	٢٥٦
أحاديث رد الشمس لعلي بن الحسين وكلامه معها	٢٦٠
أحاديث المججمة مع علي بن الحسين	٢٦٤
الحديث عن خولة أم محمد بن الحنفية كما جاء في الاخبار الدخيلة وغيرها	٢٧٢
من مرويات القضاء المنسوب لعلي بن الحسين للشيخ محمد قمي للتستري	٢٧٥
من مرويات مختصر بصائر الدرجات عن رجوع الائمة الى الدنيا	
وعدمهم المخالف لما عليه الشيعة .	٢٨٤
من مرويات اكمال الدين واثام النعمة عن المهدي واجتماعه بعلي بن ابراهيم	
ابن مهزيار .	٢٨٩
مع الشيخ رجب البرسي وكتابه المشارف	٢٩٣
من مرويات البرسي وأساطيره	٢٩٦
الخطب التي نسبها البرسي الى امير المؤمنين عليه السلام	٣٠١
وأبي الشيعة في تلك المرويات المنتشرة بين أحاديثهم	٣٠٢
من مرويات السنة في فضائل الخلفاء والاولياء	٣٠٣
أحاديثهم عن فضائل ابي بكر وكلامه مع الشمس	٣٠٥
فيما رواه العبيدي حول فضائل ابي بكر	٣٠٦
من مرويات الرياض النضرة ومرقاة الاصول في فضائل الشيعين	
من مرويات الزهري .	٣٠٨
من مرويات نزهة المجالس عن فضائل الثلاثة ومعاوية	٣١٠
معاوية يزاحم النبي على باب الجنة	٣١١

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
من كرامات الاولياء والصلحاء من السنة ورجوع الشمس لهم وأحاديثهم مع الموتى .	٣١٢
فيما رواه ابن العباد الحنبلي في شذراته عن اليونيني والكيلاني من الكرامات والمعجزات وركوب النبي عليه ليلة المعراج .	٣١٤
فيما رواه في روضة الناظر والمعقود الجوهريه من فضائل الرفاعي وغيره	٣١٧
خاتمة الكتاب	٣١٨
مصادر الكتاب	٣٢٥

الكتب التي صدرت للمؤلف :

- ١ - عقيدة الشيعة الامامية
 - ٢ - تاريخ الفقه الجعفري
 - ٣ - المبادئ العامة للفقه الجعفري
 - ٤ - الشيعة بين الاشاعة والمعتزة
 - ٥ - نظرية العقد في الفقه الجعفري
 - ٦ - دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري
 - ٧ - المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري
 - ٨ - الموضوعات في الآثار والأخبار
 - ٩ - سيرة المصطفى من المهدي الى العهد بأسلوب جديد ودراسة موضوعية
- طبع مرتين ونفذ من الاسواق
طبع مرتين

